





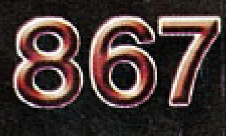
المهمة الاستوائية

(رواية)

تأليف

ديفيد . جى . مايلو

ترجمة وتقديم: صبرى محمد حسن



المشروع القومى للترجمة

المهمة الاستوائية

(روايـــة)

تأليـــــف : ديڤيد . جي . مايلو

ترجمة وتقـديم : صـبرى محمد حسن



٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٨٦٧
- المهمة الاستوائية
- ديفيد . جى . مايلو
- صبرى محمد حسن
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب :

Benni Kamba 009 in
The Equatorial Assignment
1st Edition
By: David G. Maillu

"First Published in English under the title
David G. Maillu, Benni Kamba 009 in The Equatorial Assignment,
1st editon by Macmillan Education Ltd.,
a divison of Macmillan Publishers Limited.
This editon had been translated and published
under licence from Palgrave Macmillan.
The Author has asserted the right to be identified as the author of this Work."

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 **Fax :** 7358084.

تقديم

رواية أفريقية من تأليف : ديڤيد چى. مايللو DIVID G. MAILLU الكينى الجنسية ، وهو أوسع الكتاب الروائيين انتشاراً فى كينيا . وقد ولد مايللو فى شرقى كينيا فى العام ١٩٣٩ الميلادى . وهو بحكم جرأته ، وبحكم كونه كاتباً يدور من حوله جدل كثير ، يتبوأ مكانة فريدة فى شرق أفريقيا . وهو يكتب بصراحة مطلقة وبشىء من خفة الظل . وهو صاحب بصيرة نافذة قادرة على عكس نكهة ومذاق المجتمع الذى يعيش فيه . وهو بالإضافة إلى كونه كاتباً يعد أيضاً ناشراً وفناناً ومغنيا ؛ هذا يعنى أنه متعدد المواهب ، وله روايات أخرى منها الحية ، ربيكا .

المهمة الاستوائية :

فى هذه الرواية ، يحاول بنى كامبا بطلها ، الذى يحمل الرقم ٩ فى قسم الخدمة السرية فى مؤسسة نيزا الاستخباراتية ، مخاطراً بحياته ، تدمير منظمة المافيا الأفريقية الدولية التى تحاول حكم أفريقيا كلها عن

طريق زرع رؤساء عملاء لها فى كل دولة من الدول . هؤلاء الرؤساء يقودهم جميعهم الدكتور ثندر Thunder. يقع بنى كامبا الذى يحمل الرقم ٩ فريسة للعقيد سويتا Swipta . تلك المرأة الجميلة . وينسى بنى كامبا حبه الصادق لتلك المرأة الجميلة عندما يبدأ فى اختراق القاعدة التى يعمل فيها كل من الدكتور ثندر Thunder وهذه المرأة الجميلة . يضاف إلى ذلك ، أن تلك الرواية تعد من بادرات أدب الخيال العلمى فى كينيا .

صبرى محمد حسن

أهدى هذه الرواية إلى

المناضلين من أجل حرية أفريقيا

الذين ، من أجل إعطاء

الطفل الأفريقى مستقبلا

مفعما بالأمل

والحياة

يتعين عليهم هم إنكار حياواتهم .

ناظر الفتاة السوداء

مرتديةً خمارا أسود .

من أفريقيا السوداء .

ناظر كيف

تبرز فى الضوء

كاشفةً عن سحرها

وهـى تسير حرة
فى الحقول
التـى تزخر بالثروة
وباللآلئ ، و
معادنَ أفريقيا .

ولكن ناظر ذلك الذى يأتى
من خلف الأيكة ، متغطرساً ...
أنا أخشى من ذلك الشخص
أن يقوم باغتصاب الفتاة الجميلة
انتبه !
بعد ذلك ، وبسبب الخطيئة
ستعطى الحقول من تحت قدميها
لا شىء سوى دموع
من الدم .
أليس فى هذا البيت أحد
سوى المخصيين ؟

الفصل الأول

لم يكن أى أحد منهم يشك فى أنه عميل فى جهاز بالغ السرية ، لا من حيث مظهره فى أضعف الأحوال ، أو حتى من طريقة كلامه . ولكن ، الاستخبارات شأنها شأن المعادن النفيسة التى تختفى تحت سطح التربة المعتادة ، هى أيضا تختبئ فى بعض الأحيان خلف وجوه ظاهرها البساطة والسذاجة .

هذا هو العقيد بنى كامبا Kamba، الذى يحمل الرقم الكودى ٠٠٩ فى قسم الخدمة السرية فى مؤسسة نيزا Nisa الاستخباراتية ، واقفٌ ينتظر خارج الفندق الذى ينزل فيه ، وذهنه مشغول بذلك الحادث الكريه الذى وقع فى الليلة السابقة ، والذى أنقذ فيه حياة فتاةٍ ترقد حاليا فى مستشفى نيروبى . انشغل ذهنه بالفتاة ... كيف استطاع أن يخمن أن ذلك الحادث كان يمكن أن يورط حياته مع حياة تلك الفتاة ؟

استطاع أن يباعد بين نفسه وبين تلك الأفكار وعلى الفور قفز ذهنه من فتاة الحادث إلى فتاةٍ أخرى - تلك الفتاة التى هو واقفٌ ينتظرها .

لم يكن ينتظرها حبا فيها ، وإنما لأنها هى ، جونيس والو Junis Walo ، تشغل منصبا مهما مع صاحب العمل الذى يستأجره . نظر بنى إلى الساعة ، ثم حملق فى الساعة وأطال النظر إليها كما لو كان قد اكتشف فيها عيبا من العيوب .

قال بنى لنفسه : "يا رجل ، فات المعاد ! هذه هى الساعة الواحدة والثلث !" .

"أوه ، هاهى أخيرا !" ، شاهد بنى سيارة ألفاروميو قادمة نحوه ، سيارة تشبه سيارة جونيس ، ولكن لا ، لم تكن تلك السيارة سيارتها التى تكتسح شارع جاكرافدا الفخم .

كان مفترضا أن يتناول بنى كامبا هو وجونيس الغداء معًا عند الساعة الثانية عشرة والنصف ، وكان من المفترض أيضا أن تحضر له جونيس رسالة مهمة من مركز رئاسة مؤسسة نيزا الاستخباراتية . ولكن أين جونيس ؟ ما الذى حدث لتلك السيدة القديرة التى كانت تعمل سكرتيرةً لوالدها ؟ كان السيد والو الرئيس الإقليمى المسئول عن العمليات فى كل من شرقى أفريقيا وموزمبيق ، ولإضفاء المزيد من السرية على الخدمة ، قام الدكتور تريبلو Tripio ، مدير مؤسسة نيزا بنقل جونيس من مركز الرئاسة للعمل سكرتيرة مع والدها . وكانت آخر المعلومات التى وصلت مركز الرئاسة ، والتى كانت جونيس تحملها إلى كامبا ، تفيد أن نيزا نفسها أصبحت هدفا لعملية بواعثها مادية يقودها

الدكتور ثندر Thunder، الشهير بأنه ألد أعداء مؤسسة نيزا الاستخباراتية .

نظر إلى ساعته مرةً ثانيةً وقال : 'إنها تحافظ دوما على المواعيد !' ، ومع ذلك لم تجد عليه حدائق فندق بانافريك Panafric الجميلة بجونيس ...

كان الهواء منعشا كما كانت السماء زرقاء تمامًا . وفى ذلك الصباح على وجه التحديد كان هناك عدد كبير من السياح الأوروبيين الوافدين على الفندق من منطقة الساحل . وبوسعك أن تعرف المكان الذى جاءوا منه فى كينيا . هؤلاء الذين يجيئون من منطقة الساحل بشرتهم سمراء ضاربة إلى الصفرة ، وتلك البشرة هى التى تجذب عددًا كبيرًا من الأوروبيين أصحاب البشرة التى تشبه الورق فى بياضها ، لتمضية الإجازة فى كينيا الجميلة . وهم يقولون : إن جمال كينيا وبلاجاتها تصنع المعجزات فى السائحين . وهذه هى حدائق الصيد ، وتلك هى العربات ذات العجلات ، وهاهن راقصات الأكامبا ، بالإضافة إلى المحاكاة الفنية للحضارة الغربية ، والتى يجرى عرضها فى كل شارع من شوارع البلاد ، مما يجعلها ذات شهرةٍ ذائعةٍ . وكل من زار كينيا أو عمل فيها ثم عاد إلى وطنه تتملكه رغبة العودة إليها مرات ومرات .

بينما كان بنى كامبا يقف منتظرا ، قال سائح أوروبى لواحد كينى : 'لقد شعرت بالغثيان عندما وصلت إلى المطار'.

سأله الكينى : 'لماذا ؟'.

'كنت أتوقع الهبوط فى أفريقيا'.

ضحك الكينى وقال : 'هل هبطت فى الهند ؟'.

'لا . لقد هبطت فى مدينة أوروبية تسمونها نيروبى'.

نظر المفكر الكينى إلى ذلك الأوروبى وهز كتفيه ، وتنهد وراح يدافع دفاعا فاترا ، 'أتعرف ماذا ؟ لقد قام البريطانيون بالاغتصاب وما تراه الآن هو اللقيط'.

لاحظ بنى كامبا أن الساعة تقترب من الثانية إلا ربع . ويبدو أن جونيس لن تجىء بصفة نهائية . عاد بنى كامبا إلى غرفته وطلب رقم والو Walo على الهاتف . انتظر ، ولكن لم يرد أحد .

فكر بنى ، 'هذا شىءٌ غريبٌ ! ألا يوجد حتى خادم هناك ؟'.

طلب رقما ثانيا ؛ ولكن ذلك الرقم كان مشغولا بصفة دائمة . ودارت بخلده مجموعة من الأشياء . هل ممكن أن تكون جونيس قد غيرت رأيها فى آخر لحظة وطارت مع والدها إلى الكاميرون ؟ مازال احتمال مجيئها أمراً قائما . ربما تكون قد مرضت وذهبت لمراجعة الطبيب . وربما قد وقع لها حادث .

خطر ببال الرجل : (أوه ، لا ، لا يمكن أن يكون هناك حادث آخر' .

خرج من الفندق وسار فوق المنحدر في اتجاه شارع كينياتا . كان عدد السيارات آخذ في التناقص . بعد فترة قصيرة ، سوف يتغير اتجاه المرور ويبدأ في التزاحم على المدينة بعد انتهاء فترة الغداء . قطع بني كامبا مسافة قصيرة على الطريق . ومازال يراوده أمل لقائه بجونيس .

خطر بباله : سوف أصل إلى منزلها بالسيارة بعد تناول الغداء ؛ تفكيره في الطعام جعله يحس بالجوع . قصد لتناول الغداء ، وهو ما يزال يأمل ويتطلع إلى مجيئها ، ولكنها لم تجئ . لم تجئ بتاتا .

وبينما كان ينتظر جونيس في ذلك اليوم ، كانت هناك رواية مثيرة تتعلق بجونيس ، وقد بدأت تلك الرواية في المدينة حوالي الساعة العاشرة .

رصد البوليس سيارة مرسيدس سوداء ٣٥٠ إس .إل . وهي تطارد سيارة الآنسة والو من طراز سبرنت الفتا Sprint-Alfetta . كان في السيارة المرسيدس أربعة بخلاف السائق : ثلاثة شبان في مقتبل العمر وفتاة واحدة . كان الأربعة مهندمين . في حين كانت الفتاة ترتدي زيا أبيضا : بنطلون طويل ، وإيشارب ، وقبعة .

قال مفتش الشرطة لسائق التاكسي الذي كان يجلس داخله : "إياك وأن يفلتوا منك" . حاول سائق التاكسي تخطي السيارتين اللتين كانتا أمامه ، ولكن شخصا ما كان خلفها فتح آلة التنبيه ، وهنا فقط

تعرف السائق على الدراجة النارية البيضاء التى تتقدم موكب سيارات الرئاسة . كان الرئيس ما يزال على بعد مسافة كبيرة فى الخلف . وهنا تقدم رجل الشرطة وأوقف حركة المرور بإشارة من يده التى كانت داخل قفاز أبيض .

صاح المفتش قائلا : 'بحق المسيح ، ستفلت منا السيارة المرسيدس !'.

عد السائق ست سيارات أمامهم ، كانت تفصله عن السيارة المرسيدس . ثم نظر السائق إلى المفتش ، 'سألحق بها ، صدقنى'.

مر موكب الرئيس ، وكان يسير الهوينا . واستؤنفت حركة المرور من جديد .

كانت هناك سيارة تاكسى بداخلها خمسة من رجال الشرطة الذين كانوا يرتدون الملابس المدنية ، ويلاحقون السيارة المرسيدس ، واصل هؤلاء الرجال تبديل السيارات التاكسى من حين لآخر . كانت تلك هى السيارة الأجرة الثالثة التى كانوا يحشرون فيها أنفسهم . كان ثلاثة منهم يجلسون فى الكرسى الخلفى فى حين كان المفتش ومعه شرطى آخر يجلسان فى المقدمة إلى جوار السائق . كان من بين الجالسين فى المقعد الخلفى رجل ضخم جعل السيارة تبدو كما لو كانت صغيرة . بذل السائق قصارى جهده وجعل السيارة تتقدم ، إلى أن أصبحت على بعد سيارتين فقط من السيارة المرسيدس . لم يكن رجال

الشرطة متأكدين مما كانت السيارة المرسيدس تحاول عمله . لقد بدءوا يلاحظون هذه السيارة المرسيدس على إثر بلاغ يقول إنها سيارةٌ مشبوهةٌ ، ولكن سرعان ما اتضح لهم أن السيارة المرسيدس نفسها كانت تلاحق سيارةً من طراز سبرنت ألفتا Sprint Alfetta كانت تقودها الآنسة والو بنفسها ، بالرغم من أن الشرطة لم تكن على علمٍ بذلك . لم تدرك جونيس أنها كانت مطاردة . كان بصحبة جونيس ابن عمها وعشيقته ، بالإضافة إلى أمها . كان اليوم يصادف يوم الخميس الذى يأتى قبل عيد القيامة . كانت حركة المرور كثيفة نظرا لانشغال الناس بالتسوق من أجل العطلة . كانت هناك سيارات كثيرة أخرى تحمل الناس إلى المدينة ليشاهدوا بداية سباق السيارات القارى الشهير . انطلقت السيارات من مركز مؤتمرات كينياتا . كانت جونيس قد أحضرت أمها إلى المدينة لتسوق بعض الأشياء المهمة بعد أن ودعت السيد والو فى المطار عند ذهابه إلى الكاميرون . بعد التسوق كانت الآنسة والو تنوى اصطحاب أمها وابن عمها إلى المنزل مرةً ثانيةً ، ثم تذهب بعد ذلك إلى فندق بانافريك Panafric لمقابلة بنى كامبا - كان ابن عمها هو وعشيقته قد رافقاها للتمتع برحلة السيارة . وعندما غيرا السيارة بسيارة أجرة ، بادرت الشرطة إلى الاتصال بمركز الرئاسة وطلبت من المركز اسم مالك السيارة الألفتا Alfetta وتعرف رجال الشرطة على رقم تسجيل السيارة .

وجدت السيارة المرسيدس شيئا من الصعوبة فى مطاردة الآنسة والو؛ والسبب فى ذلك أن سائق السيارة المرسيدس تحتم عليه التأكد من أن ما يفصله عن سيارة الآنسة والو إنما هو عدد قليل من السيارات . وقد ضاعت السيارة منهم مرتين عند بعض الإشارات المرورية لمجرد ظهور الضوء الأحمر فى الإشارة . ذلك كان يعنى بطبيعة الحال توقف المرسيدس انتظاراً للضوء الأخضر . وينطلق السائق ، ويوشك أن يقع فى حادث . طارده رجال الشرطة ، متجاهلين سباب ولعن السائقين الآخرين . كان رجال الشرطة يحرصون على ملاحقة السيارة المرسيدس التى أمامهم وذلك بفارق سيارتين فقط فيما بينهما .

كانت ذات الرداء الأبيض تعلق فى عنقها نظارة ميدان . كانت تداوم وضع تلك النظارة على عينيها ، وبخاصةٍ فى اللحظات التى كانت السيارة الألفتا فيها تمضى قدما ، ورجال الشرطة يخشون ويخافون من ضياع السيارة منهم .

تلقى أفراد الشرطة فى الرئاسة مكالمة هاتفية تفيد أن ضباطا آخرين يتمركزون فى مناطق ومواقع مختلفة فى الشوارع . وفى تلك اللحظة بالذات وصلت السيارات إلى شارع ستاندارد **Standard** .

فى النهاية ، عثرت الآنسة والو على موقف للسيارات ، مقابل لفندق بلو كات **Blue Cat** ، ويقع خلف سوق المدينة **City Market** نزلت الآنسة والو ومن معها من السيارة ، وكانوا جميعا يتصببون عرقا . وهنا

وصلت السيارة المرسيدس - التى كانت بعد الألفتا بأربع سيارات - إلى خط أصفر ووقفت عنده . وهنا اقتادت الآنسة والو جماعتها إلى داخل دكان من الدكاكين .

كان رجال الشرطة يحتلون أو يقفون فى مواقع مختلفة بالقرب من المكان ، محافظين على مسافةٍ بينهم وبين السيارة الألفتا . على الجانب الآخر من الشارع كان هناك واحد من رجال الشرطة ، مخبر من المخبرين ، يقف بجانب نافذة من نوافذ الطابق الأول من المبنى ، يراقب وجوه الرجال . كان ذلك المخبر قد وصل إلى المكان منذ برهة قصيرة .

وهنا بدأت الأحداث تتداعى . استطاع أحد الرجال - الذين يتسمون بالوسامة - الدخول فى حديث مع الآنسة والو التى كانت تمشى فى ذلك الوقت خارجة من الدكان . وتابعه الرجلان الآخران خارج الدكان ، كلٌّ فى الوقت المحدد له . كان كل من هذين الرجلين يركز اهتمامه على الفتاة ، فى الوقت الذى كانوا يحاولون فيه إخفاء اهتمامهم بالموضوع .

مشت الآنسة والو ، وهى لا تعرف ما يخبئه القدر لها ، خطوات قليلة فى اتجاه السيارة المرسيدس ، ومن خلفها الرجل الوسيم الذى كان يغازلها ويتودد إليها . كان ذلك الرجل الوسيم قد بدأ فى مغازلته لها بأن راح يناديها باسمها الأول ، جونيس ، محاولا إقناعها بأنه سبق

لهما الالتقاء مرات عدة فى مهام كثيرة متباينة . بدا الشك على وجه الآنسة والو ، وهى تحاول تذكر ذلك الوجه أثناء تبادلها الحديث مع الرجل الوسيم . حاولت الآنسة والو إبعاد تلك الشكوك عنها ، نظرا لاحتمال أن تكون قد التقته من قبل . وكيف لها - تحت ظرف من الظروف - أن تحفظ فى ذهنها كل تلك الوجوه التى سبق أن التقتها فى التجمعات الاجتماعية الكثيرة التى حضرتها ؟

أفلح ذلك الشاب الوسيم الماهر فى جعل الآنسة والو تقترب من السيارة المرسيدس . وهنا جرى إجلاس ذات الرداء الأبيض داخل السيارة كان الرجلان الآخران يقفان فى مكانين مختلفين ، أحدهما عند مقدمة السيارة متكئا على غطاء محرك السيارة . وينظر إلى الأمام ، ولكنه كان يصيخ السمع للحديث الدائر . كان الرجل الثالث على بعد ثلاثة سيارات ، ويقف ساكنا بلا حراك ، يضرب عقبيه فى الرصيف كما لو كان غارقًا فى تفكير عميق .

قالت السيدة والو ، وهى تنظر إلى ساعتها : 'سوف يتعين عليك يا سيدى لومبا أن تلتمس لى العذر ، فأنا لدى ألف شىءٍ وشىءٍ يتحتم علىَّ إيجازها خلال فترة قصيرة '. (كان الشاب قد أعطاها اسمه على أنه إرستو لومبا Erasto Lumba) .

سألها الشاب فجأة : ' كيف الاتصال بك يا جونيس ؟ هل تمانعين فى تناول الغداء معى اليوم أو غد فى أى مكان ؟ أو تناول مشروب ،

أو أى شىء يرضيك ؟' . كان الشاب قد نجح فى استدراج الآنسة والو إلى مؤخرة السيارة المرسيدس .

هزت رأسها ، وهزت كتفيها ، ثم قالت : 'ليس هذا الأسبوع . أنا آسفة يا سيد لومبا ' .

هز الشاب كتفيه وقال : 'كما تشائين ' .

سألته الآنسة والو : 'كم ستبقى فى المدينة ؟' .

فى هذه اللحظة نزل السائق من السيارة وفى يده المفاتيح وتظاهر بفحص العجلات الخلفية ، وراح يحملق فى هذا الإطار ثم فى ذاك بعد ذلك ، ثم فتح شنطة السيارة ، ثم أغلقها بعد برهة قصيرة وتركها دون أن يقفلها بالمفتاح . عاد إلى السيارة وأدار المحرك وراح ينتظر فى الوقت الذى كان الرجل الثالث يتجه فيه نحو السيارة .

رد إرستو قائلا : 'أنا من شباب المدينة ' .

وهنا بدأت الأشياء تتداعى على نحو سريع . فاجأ الرجال الثلاثة الآنسة والو : اختطفها اثنان منهم فى الوقت الذى كان فيه الرجل الثالث قد فتح شنطة السيارة . وألقوا الآنسة والو داخل الشنطة وأغلقوا عليها الباب على وجه السرعة . بعد أن ركبوا السيارة ، كان رجال الشرطة قد فتحوا النار على واحد منهم وأردوه قتيلا . كانت ذات الرداء الأبيض قد ردت على النار بالمثل من سلاح آلى ، وراحت توزع الطلقات من

حولها . مات فى ذلك المكان ثلاثة رجال كان من بينهم واحد من رجال الشرطة . قفزت الفتاة داخل السيارة التى اندفعت مثل الصاروخ ، محاولة تخطى السيارات الأخرى وهى تحاول الهروب . وهذه ستارة أو غلالة من الطلقات تندفع من ناحية الرجلين الآخرين ، الأمر الذى حال بينهما وبين الجهود المبذولة لفتح النار عليهما . أصيب كثير من الواقفين بجراح خلال فترة الرعب والفزع هذه . ارتطمت السيارات بعضها ببعض ، الأمر الذى أسفر عن دهس بعض الناس ؛ لاصطدام الناس ببعضهم البعض ، عندما كان كل واحد منهم يحاول النجاة بنفسه . كان الجو عامرا بالأصوات الناتجة عن فتح النار ، وعن الصراخ ، وعن ارتطام السيارات . ثم اختفت السيارة المرسيدس .

تسبب كل ذلك الرعب فى أن تفقد والدة الآنسة والو وعيها ، وهى تشاهد ابنتها يجرى اختطافها فى رابعة النهار . كانوا ينتظرون جونيس على بعد ياردات قليلة . أسفر الحادث عن وفاة تسعة رجال ، منهم أربعة ماتوا بفعل السيارات الهاربة ، كما جرح أكثر من خمسة عشر شخصا آخرين .

فى الوقت الذى كانت العصابة الأولى تحاول فيه اختطاف الآنسة والو ، كانت هناك عصابة أخرى قوية قد توجهت إلى منزل الآنسة والو فى منطقة مُثيجه **Muthaija**، وفتحوا البيت عنوة ، أولا : عن طريق قتل كلبى الحراسة بفتح النار عليهما ، وثانيا : بتهديد الخادمين ، بقوة السلاح ، بالتزام الصمت والسكون . وكسروا الخزانة ، وأخذوا منها الوثائق المهمة ثم اختفوا بعد ذلك .

عند الساعة الواحدة إلا عشرين دقيقة دخلت سيارة الآنسة ثمبا Thimba، وهي من طراز سيلستي Celeste ، إلى الضيعة وتوقفت بصورة مثيرة أمام المربع السكني . نزلت الآنسة ثمبا من السيارة ، وهي تلبس فستانا فضفاضا من الحرير كان يشبه فستان المرأة الحامل . تناولت الآنسة ثمبا حقيبةً من داخل السيارة ودفعت الباب مغلقةً إياه برجلها . ونتيجة العجلة تركت مفاتيح السيارة داخلها وهي في وضع التشغيل .

في الداخل ، خلعت الآنسة ثمبا نعليها ووضعتهما داخل الحقيبة مع بدلة بيضاء وقناع . ثم ارتدت فستانا آخر بسيطا ، ووضعت على رأسها غطاءً طويلا مزخرفا ، ثم علقت في أذنيها حلق كبير مستدير ، ثم ارتدت حذاءً خفيفا قبل أن تعود إلى السيارة السيلستي Celeste لتركبها من جديد وتندفع متجهة صوب المدينة ، ومرت على المكان نفسه الذي جرى فيه إطلاق النار . كانت جثث الموتى قد تم رفعها وعاد الشارع إلى وضعه الطبيعي. اللهم باستثناء تلك الجماعات الصغيرة التي كانت تنظر إلى بقع الدم . والصحفيين الذين كانوا يكتبون تقارير عن الحادث . كان فريق التليفزيون قد غادر للتو المنطقة التي تناثر فيها الزجاج المكسور .

زادت الآنسة ثمبا من سرعة سيارتها ، ثم أوقفت السيارة كيفما اتفق وبإهمالٍ شديدٍ ، ثم نزلت تجري من السيارة . وصل الأمر بها إلى حد نسيان وضع بعض النقود في عداد الانتظار في موقف السيارات .

تجاوزت ثلاثة مربعات سكنية وهى تتصبب عرقا وتلهث ثم دخلت بناية من البنايات . كان هناك عدد كبير من الرجال ينتظرون نزول المصعد الأمر الذى جعلها تفضل الصعود إلى الدور الخامس عن طريق الدرج (السُّلم) . اندفعت الآنسة ثمبا داخل مجمع مكاتب كبير تمتلكه شركةٌ استثماريةٌ كبيرةٌ . تجاوزت ثلاثة أبواب الواحد بعد الآخر ، دون إزعاج أى أحد من الناحية الشكلية . بل يبدو أن أحداً لم يلاحظها .

دخلت غرفةً خاصةً وأغلقت الباب خلفها . وأضاءت الأنوار ثم جلست مسترخية استرخاء تاما فى البداية . وبعد ذلك ، بعشر دقائق ، وبعد أن هدأت ضربات قلبها ، تناولت زوجا من سماعات الأذن ، وضعته على رأسها ، ثم شغلت الحاسب الآلى ، واستدعت رقما كوديا عن طريق لائحة المفاتيح ، ثم انتظرت بعد ذلك وراحت تراقب شاشة الحاسب، ثم ظهرت بعد ذلك الإجابة على شكل أحرف خضراء اللون . تكلمت الآنسة ثمبا فى الميكروفون قائلةً : "شما ١١٠/٥ إك سانتاكول . حول ".

كررت الآنسة ثمبا ذلك النداء ثانيةً . ورد عليها صوت صدر من سماعة كانت معلقة علي الجدار ، يفيد باستلام النداء .

أضافت الآنسة ثمبا : " المهمة رقم ثلاثة ، وأربعة وخمسة أنجزت . ولكن شما ١١٣ / ٧٢٧٢ تفككت بواقع ثلاثمائة وستين درجة . حوّل " .

ظهرت رسالة على الشاشة ، وراح كل سطر من السطور يختفى بعد ظهور السطر التالى . قرأت الآنسة ثمبا تلك الرسالة وردت عليها على النحو التالى : 'شما إك ، إدك ، أنا أقرؤك جيدا ... سانتاكول . لا ، لسوء الحظ . فضلا قدموا غطاءً . حول .'

أنزلت الآنسة ثمبا السماعات من فوق رأسها وكتبت بسرعة فائقة على لوحة مفاتيح الحاسب الآلى ، وكان الحلق فى أذنيها يهتز بفعل السرعة والعجلة . لم تتوقف لحظة واحدة لتدبر ما تفعل وإعمال العقل فيه . وفى النهاية ، راحت تنقر لوحة مفاتيح الحاسب خمس مرات وببطء على أعداد مختلفة .

وقفت الآنسة ثمبا ، تنهدت ، ثم خرجت من الغرفة بعد أن أطفأت الحاسب الآلى . انتقلت إلى المكتب المجاور الذى كان يجلس فيه رجل أبيض يمهر بعض الأوراق . تناولت الآنسة ثمبا سيجارةً من مكتب ذلك الرجل الأبيض ، ثم وضعتها بين شفتيها الناعمتين . أشعل الرجل السيجارة لها ، وسحبت نفسا طويلا من دخان السيجارة مدخلة إياه فى رئتيها وراحت تنفثه فى وجه الرجل الأبيض . ضحك الرجل فى وجهها وربت عليها وأخرجها من المكتب .

قالت وهى تنصرف خارجةً من المكتب ، وهى تهز أردافها وتنفث دخان السيجارة فى اتجاه السقف . 'أنت كرجل مهذب كريم المحتد يجب أن تأخذ فى حساباتك البدائية ، السيدات المرموقات' .



الفصل الثانى

لم يحاول بنى كامبا ، فى عصر ذلك اليوم ، اكتشاف ما حدث للآنسة جونيس . استشعر أن أمرا أهم من ذلك يتعين التعامل معه . هذا يعنى أن هيئة مؤسسة نيزا الاستخباراتية قد يواجهون أى شىء فى أى وقت من الأوقات .

ولولا إحساسه بالتعب والإرهاق والصداع لاستقل سيارته وقصد إلى منزل الآنسة والو . لكنه لم ينم اعتبارا من بعد وقوع ذلك الحادث بالأمس . كان صوت الفتاة المفعم بنبرات الألم ، هو ورائحة الدم ، تؤرقه طول فترة طويلة ، بعد أن نقلها إلى المستشفى .

خلع نعليه وألقاهما بعيدا عنه ، وتمدد على السرير ، وراح يتذكر اسم هذه الفتاة . ترى ، هل كان اسمها تريزى Tresi أم كرستينا Kristina ؟ ، عاد الحادث بكامله مرة ثانية وارتسم فى مخيلته .

كانت الساعة فى سيارة بنى كامبا الستروين الجديدة طراز س إكس ٢٠٠٠ ، تشير إلى الحادية عشرة وسبع عشرة دقيقة ، وكانت أضواء نيروبى تتلألأ عن بعدٍ فوق السهل ، الذى يبعد مسافة عشرين

ميلا عن هذا المكان . كانت السحب تتوهج فوق المدينة ، بل إن تلك السحب كانت مضاءة بفعل المصابيح و الأنوار الكثيرة في الشوارع . والمرء إذا ما نظر إلى السحب وإلى السماء ، قد يتخيل أن الوقت فجر ، أو أن الشمس على وشك الشروق من خلف المدينة .

كان بنى كامبا قد ذهب فى عصر ذلك اليوم إلى كانجوندا Kanqunda وهو عائد منها إلى نيروبى حاليا . كانت سيارته الستروين تطوى الأرض طيًّا فى صمت وهو يناجى نفسه وضميره . كان طريق ممبسا - نيروبى خاليا فى ذلك اليوم . قلة قليلة من السيارات هى التى كانت تتخطاه ، أما هو فقد تجاوز ثلاثا من الناقلات الليلية الكبيرة ، كما تجاوز أيضا بعض المقطورات التى كانت تسير متثاقلة محدثه جلبة ، ومقطوراتها تتراقص من خلفها . كان يسير برفق على الطريق ، إذ كان لديه متسعٌ من الوقت . كانت هناك سيارة واحدة ، ظلت تسبقه طوال عشرين دقيقة ، وتحاول ملاحقته بسرعة سيارته نفسها . كانت تدور بخلده تلك الأمسية الجميلة التى أمضاها مع بعض الرفاق ، ثم رأى شيئا يحدث للسيارة التى كانت أمامه . رأى فجأة أن أنوار تلك السيارة استدارت فجأة وتأرجحت فى السماء المظلمة . إنه حادث ، ثم زاد من سرعة سيارته .

جاءت بعد ذلك سيارة مجنونة ، كانت تسير فى طريقه ، وبسرعة عالية جدا وتترنح من جانب إلى آخر . كانت أنوار السيارة متفرقة وليست متجمعة . خطر بباله أن تلك السيارة ربما تكون من طراز

رينجروفر Ranqerover أو مرسيدس . أخافته تحركات تلك السيارة واحتاط بنى كامبا لاحتمال توقف السيارة والتزامها جانب الطريق . شقت السيارة طريقها بسرعة عالية من خلف بنى كامبا ، ثم تجاوزته محدثةً ضوضاء توحى بأن المركبة كانت على وشك الطيران فى الجو . لقد أدى ذلك إلى تكسير ماسورة العادم . عاد كامبا إلى الطريق ووصل بسرعة إلى مكان الحادث .

نعم ، لقد كان علي حق ؛ كان مجرد حادث . لم يستطع رؤية السيارة فى بداية الأمر ، ولكنه بعد أن نزل من السيارة سمع امرأة تصيح وتتألم على بعد ياردات قليلة على جانب الطريق ، وكانت تلك المرأة ملقاةً وسط الحشائش والأعشاب . تناول مصباحا كهربيا يدويا واتجه صوب تلك الأعشاب . وعندما وصل إلى الأعشاب . خرج رجل من السيارة المحطمة وراح يحاول إخراج ابنته من بين الأعشاب . استمر الرجل فى الصياح قائلا : 'يا ربى ! يا ربى !'، ثم بدأ يسب السائق ويلعنه ، سائق السيارة الرانجروفر Ranqerover. فقد انقلبت السيارة بهم مرتين أو ثلاث مرات واستقرت وظهورها إلى الأسفل وعجلاتها إلى الأعلى . كان الباب فى الجانب الذى كانت فيه الفتاة لا ينفتح . قدم بنى كامبا للرجل يد العون والمساعدة ، وقام الرجلان بإخراج الفتاة من السيارة على وجه السرعة . ووضعاها على العشب على وجه السرعة . كان الظلام حالكا ، وحتى النجوم كانت مختفية خلف السحاب .

رفع كامبا الفتاة كى تقف على قدميها ، واضعا كتفه تحت إبطها . أحس بشىء دافئ يسيل على ذراعها . لقد أصيبت بجرح خطير وكان ينزف بشكل مخيف . كانت الفتاة ما تزال تتكلم ، وهو كذلك ... أجلسها على الأرض بعناية وطلب المصباح الكهربى الذى كان قد أخذه . ولكن الرجل كان قد غاب واختفى عن الأنظار . قد تكون الصدمة أثرت على ذهنه الأمر الذى جعله يهرب فى جوف الليل .

نادى بنى كامبا : "هى ، يا رجل يا محترم !".

صاح بنى كامبا ، 'ابنتك يا رجل ! ناولنى المصباح الكهربى !'. لم يفلح النداء . وقد أكد ذلك مخاوفه من أن يكون الوالد فر هاربا . من أين لكامبا بالحصول على مصباح كهربى آخر ؟ خطرت بباله فكرة ، بوسعه أن يحضر سيارته بالقرب من المكان ويستفيد من نورها إذا لم تكن هناك عوائق فى الطريق .

أحضر السيارة وسلط أضواءها الكبيرة على الفتاة ، شاهد الدم وهو ينساب على وجهها . كانت تنزف بصورة غزيرة وكانت على وشك الاحتضار . شق قميصه ولفه بإحكام على ذراعها فى منطقة النزيف . وحتى الآن لم يظهر والدها . بدأت البنت تتلعثم وتتأوه وتقول أشياء غير مفهومة .

صاح كامبا : 'يا الله !' . إذا لم يتصرف بسرعة فسوف تموت بكل تأكيد . كان كامبا يحاول وضع الفتاة فى السيارة ، وشاء الله أن تتوقف سيارة أخرى ، قفز منها ثلاثة رجال لتقديم يد العون والمساعدة .

قال كامبا لهم :'فتشوا عن والدها حولنا هنا . وأنا لابد أن أعجل بنقلها إلى المستشفى . وربما يكون الرجل قد فقد صوابه بسبب الصدمة '.

قفز كامبا إلى داخل السيارة . وكانت المستشفى التى خطرت على باله هى تلك المستشفى القريبة من الفندق الذى ينزل فيه ، مستشفى نيروبى . سار بالسيارة بأقصى سرعة ممكنة عبر السهل ، ولم يفكر فى أى شىء سوى إنقاذ حياة هذه الفتاة .

كانت الحياة ما تزال تدب فى الفتاة عندما وصل إلى خارج المستشفى ، وكان منشرح الصدر لما قام به . كان يزهو فرحا عندما كان يملأ تذكرة الدخول . قبلوها على أنها مجهولة الشخصية ، ولكنه أعطاهم عنوانه .

قال : 'سأعود إليكم فى وقت لاحق '. بينما كانوا يقومون بإدخالها إلى أحد العنابر . غسل وجهه ويديه ، ثم ركب سيارته وعاد إلى الفندق الذى ينزل فيه ، وبدل ملابسه ثم اندفع بسيارته إلى مكان الحادث . ولكن السيارة التى تورطت فى الحادث لم تكن هناك ، ولم يجد أحد حتى يخبره بما حدث هناك . إذن كل شىء يمكن أن يحدث . قد يكون الرجال الثلاثة قد عثروا على الوالد وأخذوه هو أيضا إلى المستشفى ، وقد يكون فى سيارته إذا لم تكن قد تحطمت تماما . أو قد تكون الشرطة قد أخذت المصاب هو والسيارة إلى مركز الشرطة .

خطر ببال كامبا : 'أنا على يقينٍ من أن الوالد لابد وأن يكون قد قاد سيارته بنفسه' .

دق جرس التليفون وأيقظ كامبا من حلم جميل . كانت الساعة السادسة صباحًا ، ويبدو أنه قد راح في ثبات عميق منذ برهة قصيرة . تناول سماعة التليفون ورد ردا غليظا قائلا: 'بنى كامبا'. وكان يتوقع أن يكون المتحدث هو جونيس أو والدها .

'هل أنت السيد كامبا ، يا سيدى ؟' . هذا صوت غريب عليه .

'نعم . هل تطلب مساعدة ؟' .

'يا سيد كامبا ، أود أن أشكرك جزيل الشكر على إنقاذك حياة ابنتى' .

'هل تتفضل علىَّ وتقول لى : من الذى يتكلم ؟' .

'أشكرك . لقد كنت سأفعل ذلك . أود أن أشكرك جزيل الشكر على حنانك وعطفك الحقيقى ! اسمى متورى Muturi، وأنا فى واقع الأمر لا أستطيع التعبير عن شكرى وامتنانى بالكلام . أنا على يقين أن ابنتى كانت ستموت بسبب النزيف ، لولا عطفك وحنانك . بعد الحادث ، أظن أنى أصبت بنوع من التفكير' . ويذوب الصوت ويخبو ، ويخيم الصمت والسكون ، كما لو كان الرجل قد أصابته تلك النوبة من جديد .

تساءل كامبا : 'هل مازلت على الخط ؟' .

'نعم ... معذرةً....' .

تراجع كامبا وانكمش . هل كان يصيح متألمًا ؟ رجل يصيح !

عاد الصوت مرة ثانية . 'وآسف ، يا سيد كامبا ... أنت تعرف ... حسنا ... لقد عدت إلى المنزل بعد الساعة الخامسة ... كنت سأتصل بالمستشفيات الرئيسية تليفونيا لمجرد اقتفاء أثر ابنتى ، ولكنى كنت حسن الحظ إذ وجدتها فى ثانى مستشفى اتصلت بها تليفونيا .. تخيل هذا ! مستشفى نيروبى ، والمدهش أن تلك ، هى المستشفى التى أتردد عليها . و...' وهنا خبا الصوت وضاع من جديد .

'كيف حال ابنتك ؟' .

'أشكرك - هى على ما يرام وتتحسن . هل بإمكانى أن ألقاك اليوم ، أرجوك ، وفى أى مكان تشاء ؟' .

'وهو كذلك ، سنلتقى فى المستشفى الساعة الحادية عشرة . ولن يدوم لقاؤنا أكثر من ساعة لأنى لدى مهمة أخرى .' .

'عظيم جدا أشكرك ، نعم !' . كان الصوت رقيقا ، وكان صاحب الصوت يتكلم لغة ناعمة وإنجليزية صافية ؛ تلك الطلاقة التى يلاحظها الإنسان فى مجتمع كينيا الراقى . أردف السيد موتورى Muturi قائلا : 'سوف أحكى لك ما حدث ... ولكن ، أرجو يا سيد كامبا ، أن تتقبل منى عظيم شكرى وامتنانى' .

'لا داعى للتركيز على هذا الأمر يا سيد موتورى . لقد أديت خدمةً لشخص هو بحاجةٍ إليها . وأنا على يقين أنك كنت ستفعل الشىء نفسه لو كنت مكانى أستأذنك الآن ' . ثم وضع السماعة .

عند الحادية عشرة تماما أوقف بنى كامبا سيارته خارج المستشفى ثم اتجه نحو مكتب الاستقبال . وهنا فقط ، أدرك كامبا أنه لن يتمكن من العثور على السيد موتورى لأن أيًّا منهما لا يعرف الآخر . دار بخلد كامبا أنه ربما يجد هناك «جنتلمان» ، وقد يكون هو السيد موتورى . ولكنه لم يجد عند الاستقبال أى أحد من الرجال .

اتكأ بنى كامبا على مكتب الاستقبال وقال: 'معذرةً ، لدى سؤال سخيف' ، ويبتسم كامبا لموظفة الاستقبال ، 'ألم يسأل أحد عنى ؟ «جنتلمان» ؟ أو ، ألم يحضر إلى هنا «جنتلمان» ، كان يسأل عن «جنتلمان» آخر ؟'

ابتسمت موظفة الاستقبال وقالت : 'لا ، لم يجئ أحد إلى هنا' .

قال كامبا بأسلوبٍ خفيفٍ لطيفٍ : 'كان مفروضا أن تسألينى أولا عن اسمى' . ثم نهض واقفا بعد ذلك .

'كان مفروضا أن تقول لى اسمك فى البداية' .

وجد ترحيبا فى الوجه الجميل ، وهذا يعنى:

'هذا يعنى أنك لست متأكدة إن كان أحد قد سأل عنى أم لا' .

أطالت موظفة الاستقبال النظر إليه ، ثم تحولت عنه بابتسامة وراحت تعبث بشىء أسفل منها .

فاجأها قائلا : 'ماذا تفعلين بجمالك ؟' .

تمتمت وتلعثمت ، واشمأزت ، وراحت تفرك أصابعها . راح يراقبها كما لو كانت فريسة

'لا تفزعى . أنت جميلة لنا ، وليس لنفسك' .

'أنا لست جميلة ، لمعت عيناها ، وبدأت تشعر بالخجل ، ولم تجرؤ على النظر فى وجهه . وبينما كان يحاول التودد إليها نزل من سيارة أجرة رجل يميل إلى القصر يده اليسرى مربوطة بضمادةٍ وكذلك كانت جبهته مربوطة بضمادةٍ أيضا .

قال كامبا لها ، وهو يتقدم خطوات قليلة لملاقاة الرجل ، الذى خمن هو الآخر تخمينا صحيحا ، أن ذلك هو السيد كامبا : 'لابد أن يكون هذا الرجل هو «الجنتلمان» الذى أنتظر' .

قال موتورى بعاطفة متدفقة : 'لابد أن تكون أنت السيد كامبا' . تصافحا ، ولكن موتورى وجد أن المصافحة لا تكفى . احتضن كامبا وبكى . وعجزت موظفة الاستقبال عن الكلام . خطر ببال الموظفة : 'الرجال لا يبكون ، ما هذا الذى أراه ؟' .

قال موتورى وهو يجفف عينيه بمنديل ، بينما راح الاثنان يتوجهان صوب عنابر المرضى ، دون أن يكلما بعضهما بعضا ، ويمشيان متجاوران :" آسف " .

بدت ابنة موتورى لبنى كامبا ، وهى فى السرير ، أقصر مما رآها عليه فى الليلة السابقة . تحسس موتورى ذراعها ووجهها الذى كان مغطى بقطع من القطن الأصفر فى أجزاء كثيرة منه . كانت الفتاة شبه نائمة .

ناداها موتورى بصوت مفعم بالإحساس : 'جاثونى Gathoni، هذا هو «الجنتلمان» الذى أنقذ حياتك' .

قاومت الألم وجلست وهى تشعر بالألم ، ثم أطالت النظر إلى كامبا . حاولت أن تبتسم ، ولكن ذلك كان يؤلمها .

قال لها كامبا وهو يمسك يدها : 'أنا سعيد لأنك تتحسنين' . كانت يداها دافئة وجميلة . لم يكن على شفتيها الجميلتين تماما أى شىء من القطن . كان قد لاحظ ذلك الفم الجميل عندما استدارت لتنظر إليهما . وبعد أن ترك يدها ، راح يتعجب من ذلك الجمال الذى تخفيه تلك الضمادات هى وقطع القطن . وعندما رفع كامبا عينيه إلى أعلى ، وجد موتورى يحملق فيه ويطيل النظر إليه . وكانت عيناها قد اغرورقت بالدموع عندما بدأ ينظر إليها من جديد .

ناجى نفسه : 'مصير طريف ، أنهم جميعا يصيحون !' .

أشاحت بوجهها بعيدا عنه .

قال موتورى متوسلا : 'سيد كامبا ، أرجوك أن تتركنى لحال سبيلى . لابد أن أحضر إليك للقائك فى الفندق الذى تنزل فيه . لقد تذكرت أن لى موعد مع الطبيب وأن ذلك الموعد سيحين فى غضون عشر دقائق . يضاف إلى ذلك أن معى سيارة أجرة تنتظرنى فى الخارج . أرجوك ....!' .

'يمكنك أن تصرف السيارة الأجرة . أين عيادة طبيبك ؟ أستطيع توصيلك إلى العيادة' .

'لا ، لا ، أرجوك ، أنا لا يمكن أن أقبل ذلك . ستحصل السيارة الأجرة على الأجر تحت أى ظرف من الظروف . خذ راحتك مع جاثونى' .

لوح له كامبا وهو يقول : 'يتعين علىَّ الانصراف حالا' . وعندما اختفى موتورى ، استدار كامبا وجلس بجوار سرير جاثونى ، وراح ينظر إلى وجهها . كانت قد توقفت عن البكاء .

أمسك يدها من جديد وقال : 'جاثونى . ستكونين على ما يرام . أنا سعيد لسعادتك' ، ثم ضغط على يدها . أحكمت قبضتها على يده ولم تقل شيئا .

ابتسم ، 'ما اسمك الثانى ؟ ' .

'كرستينا' .

'اسم لطيف . وجهك جميل ياكرستينا' .

لم يتكلما طويلا . وقبل بنى كامبا يدها ثم غادر المكان ، وهو يلوح لها بيده .

رافقته صورة وجهها الجميل إلى خارج العنبر . كانت فى الثامنة عشر من عمرها . الحادث الذى وقع لها لابد أن يكون بفعل سائق مخمور أو متهور ، وذلك عندما كانا عائدين من ممبسا . عاد إلى الفندق للقاء جونيس والو .

لم يعلم بنى كامبا بخبر الاختطاف إلا بعد الساعة العاشرة والنصف من مساء تلك الليلة عندما دق جرس التليفون فى حجرته . وكان نائما بالفعل فى فراشه .

'هل وصلتك الأخبار السيئة ؟' ، سأله صوت امرأةٍ على التليفون . تعرف على ذلك الصوت على الفور ، إنها سكرتيرة سامو Samu كان سامو Samu ممن يقدمون خدمات خاصة لعملاء وكالة نيزا الاستخباراتية .

'لقد اختطفت جونيس فى المدينة صباح هذا اليوم'.

الفصل الثالث

جرى التشكيك فى أسباب اختطاف جونيس فى فترةٍ سابقةٍ ، من قبل مخبر من مخبرى الحكومة الكينية يدعى جونا أوبيو Jona Opiyo. قبل الاختطاف بعدة أيام كان جونا أوبيو يغادر شقته فى إيستليغ Eastleiqh وشاهد السيارة المرسيدس طراز ٣٥٠ إس . إى . إل . ، وعليها أرقاما دبلوماسية ، شاهد هذه السيارة وهى تقف أمام مربع سكنى مكون من خمس شقق ، وكان ذلك المربع مقابلا للمربع الذى يسكن هو فيه . كانت تلك المرة الأولى التى شاهد أوبيو فيها هذه السيارة المرسيدس فى ذلك المكان . كان أوبيو على يقين ، أن من جاء فى تلك السيارة - كائنا من كان - إنما جاء أصلا لزيارة الآنسة ثمبا Thimba، التى كانت تسكن فى واحدة من تلك الشقق . كانت الآنسة ثمبا فتاة رشيقة جميلة ، وكانت تقود سيارةً من طراز سيلستى Celeste . كانت الآنسة ثمبا تعيش بمفردها فى تلك الشقة منذ خمسة أشهر . ولم يكن يتردد عليها أى أحد لزيارتها ، وكانت دائما غائبة عن المكان ، وكان أوبيو مهتما بتحركات الآنسة ثمبا .

ونظرا لأن المجمع السكنى كان جيد الإضاءة فقد تمكن أوبيو من قراءة رقم تسجيل السيارة . أخرج من جيبه نوتة ملاحظات ودون فيها رقم التسجيل ، ثم عاد إلى شقته وانتظر حتى يعرف من سيحضر لقيادة تلك السيارة . سيارة من هذا الطراز ، يندر وجودها فى مثل هذا المكان السكنى الخاص بالطبقة الدنيا .

وقبل الساعة الحادية عشر ، خرج رجلان نحيفان من شقة الآنسة ثمبا وكانا يتكلمان ويضحكان معها بصوتٍ عالٍ . اندفع أوبيو خارجا من شقته ، وراح يقترب من المكان عن طريق مسار متعرج يلتف حول الأركان المظلمة ، إلى أن وصل إلى مكان قريب جدا يستطيع منه سماع ورؤية ملامح الرجلين رؤية واضحة . كان الرجلان فى ريعان شبابهما . كانا فى العشرينات من عمرهما . وقد زاد ذلك من شكوك أوبيو . لم يقتنع بأن كلا منهما دبلوماسى .

اقتادتهما الآنسة ثمبا إلى ما بعد سيارتها السيلستى Celeste . كانت اللغة التى يتكلمونها – على حد قول أوبيو – من غير اللغات الكينية ، ولم تكن أيضا لغة من لغات أوغندا . واصلت الآنسة ثمبا ضحكاتها الجنسية ، ودخل الرجلان إلى السيارة المرسيدس وانطلقا بها . انتظرت الآنسة ثمبا إلى أن اختفت السيارة ثم عادت ثانيةً إلى شقتها . لم تمكث طويلا فى شقتها ، فقد لاحظ أوبيو إطفاء أنوار الشقة بعد فترةٍ وجيزةٍ ، ثم شاهدها بعد ذلك وهى تغلق باب الشقة . كانت تلبس ملابس ثقيلة ، وكان عليها معطف خارجى وفوق رأسها قبعة .

ركبت سيارتها وانطلقت بها . كان ذلك بعد حوالى عشر دقائق من انطلاق السيارة المرسيدس .

بعد ذلك بيومين ، وفى الموعد نفسه بالضبط ، شاهد أوبيو سيارة مرسيدس سوداء خارج المجمع السكنى للمرة الثانية . كانت تلك السيارة تحمل رقم تسجيل مخالف لرقم السيارة السابقة ، بالرغم من أن السيارة كانت من الطراز نفسه وباللون أيضا . هذه المرة ، لم يكن رقم تسجيل السيارة من الأرقام الدبلوماسية .

تسرب الشك إلى نفس جونا أوبيو ، فتناول سكينا من المطبخ ، وخبأ السكين فى سترة البدلة ، وخرج إلى المجمع السكنى . الشىء الوحيد الذى كان يخشاه هو أن يكون بالسيارة جهاز للإنذار . كان المكان عامرا بالناس الذين يروحون ويجيئون هنا وهناك ، الأمر الذى جعله لا يخش الاقتراب من السيارة أو الدوران حولها . حك مؤخرة السيارة ، وأحدث فيها شرخا بالسكين ، وكان الشرخ فوق العجلة الخلفية ، ثم ذهب لحال سبيله بسرعة .

بدا له أن السيارة ، أقلعت عن المجىء إلى المكان لفترةٍ قصيرةٍ ، ولكن بعد ذلك بأسبوع ، ومما أثلج صدر أوبيو ، أن جاءت السيارة إلى المكان نفسه فى ساعةٍ متأخرةٍ من الليل ، وكان ذلك قبل منتصف الليل . لم تكن سيارة الآنسة ثمبا السليستى **Celeste** هناك . واستنتج أوبيو أنهم أحضروها إلى منزلها . وما أن شاهد أوبيو السيارة حتى أخذ

مصباحه الكهربى وخرج ليتفحصها . فى هذه المرة كانت السيارة تحمل رقم التسجيل الدبلوماسى . وأكدت العلامة التى أحدثها أوبيو فى السيارة من قبل ، أنها هى السيارة نفسها التى سبق أن رآها من قبل .

فى صباح اليوم التالى وعقب الساعة التاسعة بوقت قصير كان أوبيو يطرق باب أحد الرؤساء فى مركز رئاسة التحريات . رد صوتٌ قائلا :' أدخل " .

دخل أوبيو من الباب مندفعا ، ولكنه تراجع قليلا إلى الوراء عندما أدرك أن حذاء ه كان ملطخا بالطين . كانت السماء تمطر منذ الصباح الباكر وكانت كل الأماكن موحلة . كان معطف المطر الذى يلبسه أوبيو مبتلا . كما كان شعره مبتلا أيضا . لم يكن معه قبعة وكان يحاول ستر نفسه من المطر باستعمال الصحيفة . كان يلف منديلا على رأسه ، وكان يبحث عن دوّاسة بالقرب من الباب كى ينظف فيها حذاءه ، عندما سمع صوت الرئيس يقول : 'يا جون ، ليس هناك من داعٍ لكل ذلك . اجلس ، من فضلك' .

جلس أوبيو وراح يبحث ويفتش جيوبه كلها ويضع محتوياتها على الطاولة ، فى الوقت الذى راح الرئيس ينتظر خلاله على مضض . أخيرا عثر أوبيو ما الذى كان يبحث عنه - ورقة مسطرة مطوية عدة مرات . فرد أوبيو تلك الورقة المسطرة على الطاولة . كانت الورقة ملطخة فى كل أجزائها بأحبار مختلفة وبعلامات من قلم رصاص . حكى أوبيو حكايته مع الآنسة ثمبا والسيارة المرسيدس السوداء .

اعتبارا من ذلك التاريخ كانت السلطات تتجسس على كلٍّ من الآنسة ثمبا والسيارة المرسيدس .

مرر النادل (الجرسون) قائمة الطعام على بنى كامبا ، وعلى لوكاس Lukas موتورى ، ثم على كرستينا جاثونى . لم يفلح موتورى ، حتى ذلك الحين ، فى جعل بنى كامبا يحضر إلى بيته حتى يقدم له فرائض الشكر المناسبة ، وكان كامبا مصرًّا هو الآخر على أنه لم يفعل شيئا .

كان كامبا يجادل قائلا : 'لقد فعلت ما فعلته عن طيب خاطر ، ألا تفهمنى ؟ لقد أرضيت ضميرى' . لم يكن كامبا يريد أى شىء سوى هذه الجلسة لتجاذب أطراف الحديث . كان بنى كامبا هو الذى دعا موتورى وابنته لتناول الغداء .

أزاح موتورى قائمة الطعام جانبا بعض الشىء ، ثم قال : 'يا سيد كامبا أنا مهتم بأن أعرف ما تفعله' .

'أعمال تجارية ، ولكنى لا أقوم بعمليات تهريب المال أو التهريب بصفةٍ عامةٍ'. ضحك الجميع . وركزت كرستينا على وجه بنى كامبا وراحت تتمعن فيه . كان والدها قد سأل السؤال الذى يدور بخلدها هى . كان كامبا يبدو غارقا فى ملامحها شديدة الجمال ، وفى أثناء حديثهما كان من الصعب عليه إبعاد عينيه عن وجهها ، وهو ما يجب أن يحذره كامبا ويحتاط له .

'ما نوع العمل الذى تقوم به ، يا سيد كامبا ؟ قد لا يخطر ببالك ، أنى ربما أكون لك زبونا ، أو أقدم لك يد العون' .

كذب كامبا وقال : 'أنا صحفى حر' . لم يقل لموتورى أى شىء غير ذلك . 'لو دخلت فى تفاصيل صاحب العمل ، مؤسسة نيزا الاستخباراتية ، فلربما أراد معرفة المزيد عن تلك ... وإذا ما قلت له نيزا NISA عبارة عن جيش سرى مشكل لمكافحة القوات الخارجية التى تنتشر لاستغلال الدول الأفريقية ، فلربما أراد أن يعرف مكان تلك الهيئة ... ولن ينتهى الأمر إلا بعد أن أحكى له كل شىء ، وأنا يتحتم علىَّ ألا أقول أى شىء لأى أحد من الناس !' .

ساعد كامبا كرستينا فى اختيار وجبتها . قال لها : 'ألا تعرفين ؟ إذا جئت إلى الفندق ولم تكونى على دراية بقائمة الطعام ، فإن أقرب الطرق وأيسرها لاختيار وجبتك الغذائية ، هو أن تطلبى من الجرسون أن يرشح لك شيئا لطيفا ؛ لأن هذا هو السبب الرئيس وراء وجود الجرسونات فى الفنادق ، ليساعدوك ، هل تريدين وجبةً من السمك ؟' .

أومأت برأسها : 'نعم ، أظن أن ذلك رائع' .

كانت كرستينا فتاةً خجولةً . ربما كان خجلها راجع لوجود والدها ، وربما كان ذلك راجع لصغر سنها . الأمر الذى يقيد حركتها

فى الكلام فى وجود مجموعة من الرجال . وبالرغم من وضوح أثار الحادث وندوبه على وجهها ، إلا أنه كان قد شفى تماما .

تحداها كامبا متسائلا : 'هل بلغ الخجل منك مبلغا لا تستطيعين معه الكلام ؟' . ابتسمت ولم تقل شيئا . انتظر كامبا على أمل أن تبدأ الكلام بعد انصراف والدها . كان على يقين أن موتورى سوف يهيىء له فرصة توصيلها إلى البيت .

بدأ الثلاثة يأكلون . بدأ كامبا وموتورى يتحدثان عن التضخم . وراح يتكلم عن أسعار البنزين التى تتزايد بصورة مستمرة .

سأل موتورى كامبا : 'هل تكتب للصحف المحلية ؟ أنا لم أرى اسمك فى الصحف' .

رد عليه كامبا : 'أنا أكتب تحت اسم مستعار . ولكنى أكتب بصفة أساسية للدوريات الأجنبية ' . فكر لحظة ، وراح يتعجب ما إذا كان هناك مخْرج يستطيع من خلاله أن يقول – فى أضعف الأحوال – شيئا عن مؤسسة نيزا NISA . كان يشعر بالقلق مخافة أن يكتشفوا فى يوم من الأيام أنه كذب عليهم . 'هل أقول لهم إنى أعمل مع هذا الجيش السرى ومركز قيادته فى الصحراء ؟ هل يصدق أحد أن هناك مجمعا يتكلف البلاين وأن هناك قاعدة للجيش داخل الصحراء ؟' .

تنهد كامبا ثم نظر إلى كرستينا . بدأت تتناول وجبتها ببطء كما لو كان تناول الطعام عملية مؤلمةً . كان والدها قد انتهى بالفعل من تناول

وجبته . وابتلع والدها آخر جرعة من البيرة المتبقية فى الكأس ثم نهض واقفا . تكرع والدها وقال : 'سيد كامبا ، أنا آسف، ولكنى تعين علىَّ أن أنصرف الآن وأتركك . ليس لدى سوى خمس دقائق يتعين علىَّ أن أصل بعدها إلى المكتب' .

تصافحا وغادر موتورى وهو سعيد بعد أن أكد له كامبا بأنه سيقوم بتوصيل كرستينا إلى المنزل . التقت عين كامبا بعين كرستينا ، الأمر الذى انتهى إلى ابتسامةٍ رقيقةٍ . الآن ، وبعد أن تركزت عينا كامبا عليها ، فقد بدأت تشعر بالخجل على نحوٍ حال بينها وبين تناول الطعام .

قال لها : 'سوف أطعمك بالملعقة إذا لم تأكلى' .

ضحكت ، وراحت تغطى فمها براحة يدها .

لمس يدها قائلا : 'أسنانك جميلة ، فلا تخبئيها' .

تشجعت وقالت : 'أنا آكل بالفعل ، وليس هناك ما يدعو إلى أن تطعمنى' .

'هل يعجبك طعم السمك ؟' .

'جدا' .

'لا تخجلى وأنت معى' .

نظرت فى وجهه وهى تمسك الطعام بالشوكة بالقرب من فمها ، وقالت : 'هل أنا خجولة ؟'.

'أظن أنك كذلك . وهذا ليس أمرا لطيفا' .

قالت مدافعةً عن نفسها : 'أنا لست خجولة' .

'أنت لا تستطيعين إخفاء ذلك عنى . فأنا كنت أدرسك منذ مجيئك' .

غيرت موضوع الحديث وقالت : 'أنا أعرف ذلك . من أين كنت قادما فى مساء الحادث ؟' .

'كنت عائدا من ماشاكوس' .

'هل كنت هناك فى مهمة؟' " .

'لا قد ساقنى الله إلى كانجوندو Kanqundo، ثم جعلنى انتظر فى ماشاكوس إلى أن جئتى أنت من ممباسا ، وهذه أمور لا يقوى إنسان على تفسيرها . هناك أشياء كثيرة فى حياتك تجعلك تتعجب هل كانت من مجرد الصدفة البحتة أو أن الله هو الذى يوحى إليك . يقولون إن الله يتحدث لغات كثيرة ، وفى ألف عمل وعمل . وعليه ، فأنت لا تأكلين معى' .

'هل أنت متدين ؟' .

'الإيمان بالله مثل الحب . وأنت لا يمكن أن تقولى لأبيك إنك تحبينه ، وإنما تعبرين عن هذا الحب بالعمل' .

'لكن ذلك لا يجيب عن سؤالى' .

'وأنا لا أعرف إن كنت أنا متديناً أو غير متدين' .

'قد لا أكون متأكدة من ذلك الذى يتعين أن أتأكد منه' .

أطالت النظر إليه ولم تقل شيئا بعد ذلك ثم قالت : 'هذا أمر صعب' . تناول قطعة من اللحم بشوكةٍ من طبقها ثم أكلها . ثم رفع كأس النبيذ وقال :' فى صحة كرستينا ، فى صحتك وأتمنى لك حظا سعيدا' .

ضغطت على أسنانها ، ثم ظهرت سحابة معتمة ألقت بظلها على وجهها .

عاد بها كامبا إلى الأرض مرةً ثانيةً عندما قال : 'كرستينا ، هل لك أن ترافقينى فى جولةٍ بالسيارة بعد الانتهاء من الغداء ؟' .

'إلى أين ؟' .

'إلى أى مكان' .

فكرت ثم عادت إلى نفسها مرة أخرى ، 'حسنًا ، أنا لا أمانع فى ذلك . وهل ستكون تلك الجولة لفترة زمنية طويلة ؟' .

'لا بالقطع' .

'إذن ، كل شىء على ما يرام' .

ارتسمت الابتسامة فى عينها بصورة أكبر . مسحت شفتيها ، وأخذت رشفةً من الكأس ، ثم كشرت بعد ذلك ، محاولةً وزن مضامين تعليقات كامبا .

حثها محرضا وهو يقول : 'خذى رشفةً من كأسى ، مجرد قطرة واحدة' .

لم تمانع . امتقع وجهها من طعم النبيذ ، وقالت : 'هذه المادة لاذعة الطعم' .

'ألم تشربى نبيذا من قبل ؟' .

'مطلقا' .

بعض الناس يستغرقون وقتا طويلا قبل الوقوع فى الحب . يقال إن النساء يستغرقن وقتا طويلا قبل الوقوع فى الحب مع رجل من الرجال ، ولكنى أعتقد أنه فى بعض الأحيان قد يكون طرفًا ثنائيٍّ مناسبين لبعضهما البعض ، إلى حد أنهما عقب بقائهما تبدأ على الفور جذور الحب فى التأصل بينهما .

أو ، هل الحب مجرد حادث يقع بين رجل وامرأه أثناء تحليقهما فى هواء الحياة ، مثل الحبوب التى تطفو فى الهواء بحثا عن أرض تستقر عليها وتنمو فيها ؟ عندما يصطدم مثل هذا الرجل ومثل هذه المرأة ببعضهما البعض ، ويلتصقان ؛ فإن وزنهما ينزل بهما إلى الأرض ...

اقتاد سحر كرستينا وجمالها بنى كامبا إلى خارج المدينة ... إلى مسافةٍ بعيدة . والسبب فى ذلك أن وسادة الحب الجديد تنقلك عبر مسافات طويلة دون أن تصيبك بالتعب أو النَّصَب . كانت جولةً جميلةً

للاثنين . قطعت السيارة الستروين أميال كثيرة بينما هما جالسان صامتين ، ولكن يربطهما إلى بعضهما شىء لا يعرفان كنهه فالجنسان هما وجهى عملة الحياة .

بينما كان بنى كامبا عائدا فى طريقه من مجادى Magadi التى وصل إليها هو وكرستينا أثناء جولتهما ، استشعر وشاهد من القوة ما يجعل بذرة حياتها تنمو فى تربته . لقد مر من خلال أيدى نساء كثيرات ، ولكن لم تستطع إحداهن أن تجعله يشعر بالراحة مثلما فعلت هذه الفتاة . يبدو أن سحر الحياة أوقعه تماما فى شراكها .

كانت تلك هى الطريقة التى أوقعت بنى كامبا فى غرام كرستينا جاثونى .

لم يكن ضروريا عنده أن يسمع منها ما إذا كانت هى أيضا قد وصل حبها إلى ما بعد النقطة التى تبدأ الأشياء عندها فيما بين رجل وامرأة قبيل أن يكون بينهما رباط شرعى فى المستقبل . رأى كل شىء فى عينها ، وسمعه كله فى نبرة صوتها . وبقيت هى صامتة لا تتكلم .

كسر بنى كامبا الصمت مناديا:'كرستينا'. كانا قد بدآ ينزلان على معابد تلال نجونج Naqonq، التى تشرف على نيروبى من ناحية الشرق ، وتبعد عنها خمسة عشر ميلا . راقبا وشاهدا أفق المساء الجميل خلف تل كليما مبوجو Klima Mboqo.

ردت عليه قائلةً : 'نعم ، أنا أنصت إليك' .

'هل تريدينى أن أصدق ما قلتيه عن ...؟' .

'إذا لم تكن مقتنعا ، فما الذى يمكن أن أقوله لك غير ذلك ؟.

الصدق - أم نوع آخر من الصدق ؟ كذبه ؟' .

'أنا لا أريد أن يكذب علىَّ أحد ، يا كرستينا' .

'وماذا بعد ذلك ؟' .

تنهد ثم امتدحها . 'أنت البنت الوحيدة العذراء من بين عشرة ملايين فتاة' .

'أنت طفلةٌ « حبُّوبةٌ » ، يا كرستينا' .

'لكن هل ما قلته لك كلام سيئ ؟' .

'ياله من سؤال ! ' .

توقفت سيارة بنى كامبا فى النهاية خارج منزل موتورى الكبير فى غربى نيروبى ، على ضيعة لانجتون الخضراء . لم تكن هناك سيارة عندما دخلا المنزل ، مما يعنى أن والدى كرستينا كانا خارج المنزل . كان لكرستينا أم متينة ونشيطة ، كانت تعمل فى تجارة الخضراوات ، وكانت تقود بنفسها سيارتها الشفروليت الصغيرة .

لوسار كل شىء على ما يرام ، فإن كرستينا جاثونى سوف تلحق بجامعة نيروبى لتحصل على درجةٍ علميةٍ فى شهر سبتمبر المقبل . وسيكون ذلك موافقا لبداية عامها التاسع عشر .

الفصل الرابع

عند الخامسة إلا الربع ، شق بنى كامبا طريقه إلى مكتب الاستقبال فى فندق جادينى على ساحل ممباسا الجنوبى . رطوبة البحر ، وحفيف النخيل ، وهدوء البحر الأزرق العميق ، بالإضافة إلى الأمواج التى كانت تتكسر على الشاطئ ، كل ذلك يهتف ويصفق لبنى كامبا ، هذا المنظر جعله يفيض حيويةً ونشاطا .

كان ذلك أول يوم من أيام بنى كامبا فى ذلك الفندق ، بالرغم من أنه سبق أن نزل ذات يوم فى فندق السمكتين المجاور لذلك الفندق . كان كامبا ذاهبا إلى فندق جادينى ليفعل ما سبق له أن قام به مرات عدة فور وصوله إلى البحر : كان يجرى إلى داخل البحر بكل ملابسه ويجرى متعثرا فى الماء والناس يضحكون مما يجرى ، ثم يخرج بعد ذلك من الماء وكأنه دجاجة بللها المطر . كانت تلك لعبةً مقربةً إلى قلبه . كان يرتدى بعد ذلك ملابس السباحة وينزل إلى الماء من جديد .

رحبت به موظفة الاستقبال قائلةً : 'مساء الخير ، يا سيدى' .

ابتسم وهو يقول ، 'مساء النور ، يا فتاة البحر' . لقد ذكرته عاملة الاستقبال بكرستينا .

حملقت موظفة الاستقبال فى وجهه فترة طويلة ، وازداد إحساسها بأنها سبق لها أن رأته ، وقالت : 'هل سبق أن رأيتك من قبل ؟' .

'ربما ، أنا لست متأكدا من ذلك' . راح يدرس وجهها . لا ، لم يسبق له رؤية هذا الوجه من قبل . الأرجح أنها خلطت بينه وبين شخص آخر . قال لها : 'أنا لا أظن أننا التقينا من قبل' . كان بنى كامبا قد حجز لنفسه غرفة فى فندق جادينى لمدة ستة أيام وسجل نفسه تحت اسم چوسف كالى **Jusuf Kali** .

حضر كامبا إلى الفندق وساعده أحد الحّالين فى نقل عفشه وأمتعته إلى الجناح الذى سيقيم فيه فى الدور الثالث . أحب الجناح حبا جما لأن النخل لم يكن يحول بينه وبين التمتع بمنظر البحر .

توهج فى داخله من جديد ذلك الإحساس الرومانسى مرة ثانية . لم يكن بنى كامبا قادرا على رؤية البحر وحيدا ، دون أن تكون معه امرأة . الأمواج ، والنخيل ، والنسيم ، ومنظر الرمل ، ورائحة البحر - كل ما يحيط بشاطئ البحر ويتصل به إنما يرتبط دوما بامرأة . امرأة جميلة رشيقة وطويلة ترقد ممددة على الشاطئ .

كيف يمكن أن تكون كرستينا جاثونى هى مركز هذه الصورة ؟

نزل البحر يجرى وعليه كل ملابسه . كان المد عاليًا ولذلك كانت قلة قليلة من الناس هم الذين يسبحون . كان أولئك الذين يسبحون ، كلهم ممن جاءوا ليستفيدوا من العلاج الطبيعى للأمواج القوية . كانت غالبية الموجودين هنا من السياح الأوروبيين . كانت غالبية أولئك السيا ح من الألمان ؛ نظرا لأن ساحل كينيا مكان مفضل عند السياح الألمان . كانت ملامح السياح جميعا تبدو واحدة ومألوفة ، وكان الرجال بدينين اعتبارا من البطن إلى العنق (الذى كان غليظا فى معظم الأحيان)، أما النساء فكن بدينات من الصدر إلى الأرداف والوركين . كانت النساء متينات وبدينات ، وقد كانت غالبية أولئك السائحين من المحالين إلى التقاعد أو من أصحاب الحرف الذين اعتادوا على زيارة هذا المكان . كان بوسع من يكون فى هذه المنطقة أن يرى بين الحين والآخر حبيبين ، ولكن ليس فى كل الأحيان ، والمرجح أن هذين الحبيبين كانا يفعلان ما جاءا من أجله إلى هنا ، إنه شهر العسل ... بعد ذلك ، كانت تلك الثنائيات تنزل للسباحة ثم السير على الشاطئ ، وهما يطاردان ويقبلان بعضهما البعض على مرأى ومسمع من الناس . كان البعض منهم يفعلها على الرمل البارد أثناء الليل ، وهما يسبحان فى النسيم .

بعد ذلك بنصف ساعة ، بعد أن خلع كامبا ملابسه المبتلة ، ارتدى سروال الاستحمام ونزل إلى الماء . قفز فى البحر وسبح إلى مسافةٍ بعيدةٍ ، أبعد مما يمكن أن يصل إليه أى إنسان آخر، إلى أن بدأ أولئك الذين كانوا يراقبونه ، يشعرون بالقلق لابتعاده عنهم مسافةً كبيرةً .

وبينما كان يسبح كان يحس بالقلق إزاء أمن وسلامة حقيبة الملابس التى كان بداخلها السلاح ، والتى وضعها أسفل السرير الذى ينام عليه . وهنا بدأت صورة كرستينا تستحوذ على ذهنه ... لقد نسى إن كانت تجيد السباحة أم لا . كان قد قرر إقامة علاقة جنسية معها .

فى مساء اليوم السابق ، وبينما كان بنى كامبا يسجل اسمه فى الفندق ، كانت البنت الرشيقة صاحبة السيارة السيلستى قد حجزت لنفسها مكانا فى الفندق لمدة سبعة أيام . كانت هى وكامبا وحدهما المقيمين الأسودين فى الفندق ، وربما كان ذلك هو السبب الذى جرهما إلى بعضهما البعض . ألا يقول الناس : إن الطيور على أشكالها تقع ؟ هذه البنت التى تقود السيارة السيلستى ، حاولت أن تولد لدى كامبا الانطباع الذى مفاده أنها تود أن تبقى منعزلة لوحدها . ومع ذلك ، استطاع كامبا ، فيما بعد أن يجعلها تتكلم وتفضفض .

قالت : 'أنا الآنسة سمبنيو 'Sempenyo' . وهى تمسك فنجان القهوة الجميل بأصابعها الطويلة التى ليست لها أظافر طويلة .

أخذ رشفة من فنجان قهوته وقال : 'سعيد بلقياك ، يا آنسة سمبنيو . اسمى جوسف كالى' .

'كيف تتمتع بالإجازة ؟ هل أنت فى إجازة بالفعل ؟ أو أنك عضو من أعضاء مجلس الإدارة ؟' .

استشعر نعومة البال ، وكاد أن يقول لها : 'لا ، أنا عضو فى مؤسسة كبيرةٍ تناضل وتكافح من أجل تحرير أفريقيا ووحدتها ، وقد اختارونى لعبقريتى الفذة فى الكفاح ، وأعطونى أعلى منصب فى الخدمة السرية ، التى رقمها ٠٠٩' . كشر حاجبيه واعتدل فى جلسته كما لو كان سيقول لها شيئا خطيرا . عاد وجهه إلى حالته الأولى ، ثم قال لها : 'لقد كان تخمينك فى محله ، أنا فعلا فى إجازة' .

'أنت فعلا فى إجازة ! لقد خطر ذلك ببالى ، كان لها صوت ساحر . 'وماذا تفعل ، يا سيد كالى ؟'.

'أنا مصمم أزياء' .

'ياه ، هذا رائع . وماذا تصمم ، أزياء رجالية أم أزياء للحريم ؟'.

'أزياء سيدات' .

'أين درست تصميم الأزياء ؟ فى كينيا ؟ لابد أن هذه مهنةٌ مهمةٌ . وأنا ، أود أن أفعل شيئا من هذا القبيل . منذ متى وأنت تمارس تصميم الأزياء ؟' . وراحت تلملم نفسها على الكرسى الذى كانت تجلس عليه ، ولمست شفتاها فنجان القهوة مرة ثانية .

'أنا أحب مهنتى . أنا أمارس هذه المهنة منذ خمسة عشر عاما . لقد تعلمت هذه المهنة فى كينيا ...'. دار بخلده : 'ياله من موقف . الإنسان يضطر إلى الكذب فى بعض الأحيان ...!'. صحيح أنه يكره الكذب .

سألها : 'آنسة سمبنيو Sempenyo ما الذى تفعلينه أنت ؟' .

'تسألنى أنا ؟ أوه ، ... أنا أكتب . لقد درست الأنثربولوجيا ، ولكنى أحب كتابة القصص أكثر من دراسة الأنثربولوجيا . كانوا يريدون لى أن أقوم بالتدريس فى الكلية ، ولكنى لم أكن متأكدة من حبى أو عدم حبى لهذا العمل . خطر ببالى تمضية أشهر قلائل فى محاولة منى لمعرفة ما ينبغى أن أعمله فى حقيقة الأمر . ولكنى سعيدة بالكتابة' .

'هل حدث ...؟' . وهنا خطر ببال كامبا أنه سبق أن قال لموتورى شيئا مماثلا ، شيئا يتعلق بكون الإنسان كاتب . ترى هل كانت هذه مصادفة أخرى إن كانت هذه الفتاة هى الأخرى ...؟ 'هل حدث وسبق لك أن نشرت أى عمل من أعمالك ؟' .

'إذا لم تنشر شيئا ، فذلك يعنى أنك لست كاتبا !' .

أحس بالخجل وقال : 'نعم ، بطبيعة الحال ، ما الذى نشرتيه ؟' .

'كتب . ستة كتب ، كما نشرت أيضا فى دوريات عدة' .

سألها على الفور ، وربما كان ذلك نتيجة تذكره لكلامه مع الآنسة موتورى : 'وهل أنت صحفية ؟' .

'الإنسان لا يتعين عليه أن يكون صحفيا قبل أن يصبح كاتبا' .

'هل لديك نسخة من كتبك ؟ أنا أود بحق أن أقرأ ما تكتبين' .

'من سوء حظى يامستر كالى أنى ليس معى أية نسخة من كتبى' .

فكرت لحظة ثم سألته : "ما المدة التى سيبقاها المصمم هنا فى جاديتى ؟' .

'ليس أكثر من ستة أيام' .

'أنا هنا لمدة أسبوع' .

'ما الذى جاء بك إلى هنا ؟ ليس من عادة البنات الأفريقيات أن يقضين إجازاتهن هنا ، فى هذا المكان . أم أنك فى إجازة للكتابة ؟ هل معك عشيق هنا ؟' .

'أولا ، وقبل كل شىء ، هذا يعتمد على ما تسميه أنت أفريقيا . هنا أفارقة هم ليسو أصلا بأفارقة ، وهناك أيضا أفارقة ، هم أفارقة بحق . ومبلغ علمى أنى أنتمى إلى الطائفة الأولى . لقد خسرت فى الشهر الماضى صديقا حميما أخذته منى فتاة أخرى . بكيت أياما على ذلك الحب الضائع ، هل تصدق ذلك ؟ ولكنى توصلت ، فى نهاية الأمر ، إلى سخافتى فى هذا الأمر ، واتخذت قرارا بإبعاد ذلك عن ذهنى وحاولت أن أضع فى ذهنى شيئا آخر . فى البداية ، خطر ببالى أنى بحاجة إلى مكان أكون فيه وحدى . وهذا المكان يمكن أن يساعدنى ويعيننى أيضا على مراجعة حياتى كلها وأعيد ترتيبها من جديد . وعليه ، عندما رشح لى أحد الناس ذلك الفندق ، عملت بنصيحته . وها أنت ترانى هنا اليوم ، وأنا أحاول إغراق وقتل ذلك الشىء القديم' .

'هل تعرفين ؟ قال أحد الناس إن الله عندما يغلق بابا ؛ فإنه يفتح بابا آخرا فى مكان آخر ؛ وإن الإنسان يتحتم عليه البحث عن ذلك الباب الجديد . ما رأيك فى هذا ؟' .

'هذا حقيقى . وأنت على حق فيما تقول ، ثم تنهدت بعد ذلك ' .

أكد على كلامها قائلا : " هذا كلام صادق تماما ، من وجهة نظرى' .

كشرت كما لو كانت تحس بالألم . 'يا سيد كالى ، هل حدث أن خسرت حبا فى حياتك ؟' .

ضحك ، 'تسألينى ؟ أنا تضيع منى دوما أشياء وأمور مهمة ! فيداى لا تستطيع القبض على هذه الأشياء . أنا تعيس الحظ من هذه الناحية' .

'هل هذا صحيح ، إن الإنسان طالما لم يصادف الشخص المناسب ، سيظل يخسر الأشخاص غير المناسبين ؟' .

ضحكا .

لم يلتقيا إلا فى مساء اليوم التالى بعد العشاء . كانت هناك فرقةٌ موسيقيةٌ محليةٌ للعزف فى الفندق . كانت الآنسة سمبنيو خارج الفندق طوال النهار . وبعد العشاء دعاها كامبا لتجاذب أطراف الحديث فى غرفته . وقبل أن تبدأ فقرة الرقص كان قد رتب لاصطحابها لتناول شىء من الشراب .

انتظر خارج غرفتها إلى أن تبدل ملابسها . استغرقت وقتا طويلا فى تزيين نفسها . وخرجت وهى تبدو عليها الروعة والجمال ، وكانت ترتدى فستانا طويلا من الحرير عليه كلفة من اللون الأصفر والأحمر والأسود . وكانت قد وضعت فوق رأسها قبعة طويلة ، كما كانت تلبس فى قدميها حذاء بكعبٍ عالٍ ، الأمر الذى جعلها تطاول كامبا من حيث الارتفاع . كان من الواضح أن ذوقها راقٍ فيما يتعلق بالملابس . كانت تفوح منها رائحة عطر قوية ، ولكنها طيبة .

'من أين حصلتِ على لكنتك الأمريكية ، يا آنسة سمبنيو ؟' .

'لماذا لا تنادينى بذلك الاسم البسيط ، لوسى Lusi؟' .

'وهو كذلك ، لوسى' .

'تعلمت هذه اللكنة فى الولايات المتحدة . ست سنوات فى الولايات المتحدة ليست بالوقت القصير بالنسبة لإنسان يتمتع بحدة السمع' .

'هل سبق لك زيارة بريطانيا ؟' .

'نعم . زرت أوروبا كلها' .

'أنت حظيظة يا لوسى ، لأنك أنجزت أشياء كثيرة فى هذه السن' .

'أنا لست صغيرة جدا كما تظن' .

'وجهك يدلنى على عمرك' .

بدأت تترنح قليلا بعد ذلك ، وراحت تتكلم بمزيد من الحرية' كما كان كلامها موحيا بشكل كبير ، وفى كل هذا الكلام لم يكن مهتما بالموقف ، وقد أعطته انطباعا أنها تشعر بالوحدة وتحب أن تمضى معه ليلةً . فى أثناء الرقص ، كان يراقصها وهما متلاصقان . كما لو كانا حبيبين ، على أنغام الموسيقى التى تهز شغاف القلوب . وفيما بين الأغنيات ، وبينما كان عازف الجيتار على وشك التحول إلى اللحن التالى ، كانت أصوات موجات مياه البحر الخافتة تتناهى إلى مسامعها ، ومن بعدها همس حفيف أشجار النخيل .

أمضيا الليل سويا فى غرفة كامبا . وفى صباح اليوم التالى سبحا سويا إلى مسافة بعيدة . من الواضح أن لوسى كانت سباحة ماهرة أيضا .

وعندما كانا يسبحان خلف بعضهما البعض ، وهما يرتفعان وينخفضان مع الأمواج ، خطر ببال كامبا حسنها وظرفها فى الفراش . غرق فى ذكريات الطريقة التى كانت تتلوى وتعتدل بها ، ثم أطلقت فى النهاية صرخة فريدة ووحيدة ، 'يَيَّاه !' .

خرج من الماء وملح السماء التى اصطبغت باللون البنى مع طلوع الشمس . كان وجهها الأسود الناعم بضا تماما . وتلاقت عيونهما ، ولكنها غطست فى الماء ، وسبحت إلى مسافة طويلة تحت الماء . كان ينظر إليها عندما ظهرت من بين الماء على بعد مسافة كبيرة منه .

لم يتركا البحر فى آن واحد . إذ غادره كامبا قبلها وتبعته هى بعد عشر دقائق . التقيا على طعام الإفطار . جلسا سويا فى هذه المرة . خطر ببال كامبا ، بعد تناول الإفطار أن يصحبها فى جولة بالسيارة إلى ممباسا .

غابت الآنسة سمبنيو اليوم الثالث بكامله ، ولكنها لم تغب فى اليوم الرابع الذى يعد من أجمل أيام عطلته التى أمضاها فى جادينى . ذهبا للاستحمام والسباحة مرةً ثانيةً عند شروق الشمس . لم يمضيا الليل فى فراش واحد ، لأنها عادت إلى الفندق فى ساعةٍ متأخرةٍ ، عندما كان كامبا نائما بالفعل . فى الصباح عثر كامبا على مذكرةٍ عند باب غرفته تقول : 'سأكون فى البحر ؛ أرجوك أن تلحق بى' .

نفض كامبا الماء عن رأسه وقال : 'كنت أنتظرك الليلة الماضية'، وراحا يسبحان متلاصقان ببطء بعد ذلك .

قالت : 'هل تعرف ؟ إننى أسبح عارية تماما ، تعال إلىَّ وتحسس جسدى' .

مرر يديه على صدرها فوق ثدييها ، ثم نزل بيديه نحو الأسفل .

دفعها برأسه وهو يقول : 'احذرى السمكة الصغيرة !'. بصقت الماء من فمها وهى تضحك ضحكة بلهاء . 'أنا أحبه . تعال ، واسبح بجانبى وبالقرب منى ... آسفة على ما حدث بالأمس ... فقد شغلتنى قريبةٌ لى فى المدينة . كنت أود العودة إلى الفندق فى ساعةٍ مبكرةٍ . وعندما عدت

إلى الفندق ، كنت أود زيارتك من كل قلبى ؛ ولكن وجدت من الأفضل أن أتركك نائما' .

تلامس جسماهما مع بعضهما البعض ، الواحد فوق الآخر ، ثم قبلها، ثم غطست فى الماء وهو معها وسبحا تحت الماء مسافة طويلة ، وهما يداعبان ويلاعبان بعضهما البعض . ولكنهما لم يسبحا وقتا طويلا هذه المرة . فقد وجدت أن الماء باردًا إلى حدٍّ ما ، ولذلك خرجا من الماء . كانت قد تركت ملابس السباحة على قارب كان قريبا منها . وعقب خروجها من الماء ، سحبته إلى بيتها وجعلته يأخذ دشا . وعندما نزل كامبا إلى القارب انضمت هى إليه ، وراحا يتلاعبان بالماء البارد ، وانتهى الأمر بالذروة فى الفراش .

غرقت فى موجةٍ من التفكير فى أثناء تناول طعام الإفطار ، وكانت تحملق فى كامبا وتطيل النظر إليه وهى تتنهد بين الحين والآخر . ظن كامبا أنها وقعت فى غرامه . وعلى عكس الأيام الأخرى ، لم تتناول فى هذا الصباح سوى إفطارٍ قليلٍ جدا .

أخذت رشفةً من الشاى وقالت : 'أريدك أن تقدم لى خدمة . تعال معى ورافقنى إلى لونجلونجا Lunqlunqa ".

'سأفعل ما تريدين حتى أرضيك' .

لم يبدأ رحلتهما إلا عند الساعة التاسعة . كان كامبا يقرأ فى غرفته بينما كانت هى تستعد فى غرفتها . أخيرا خرجت من الغرفة ، وطرقت باب غرفة كامبا مرتين ثم دخلت .

ابتسمت ، 'أنا جاهزة ومستعدة . ما رأيك فى هذا الصباح ؟'.
كانت تقصد بكلامها الملابس التى كانت ترتديها والهندام الذى كانت عليه .

'أنت ترتدين الملابس التى تناسب حالتك النفسية ... ما الذى دهاك اليوم ؟ هل حالتك النفسية متدنية ؟' .

تأوهت . بدا جسمها المتناسق رائعا فى الملابس الرشيقة التى كانت ترتديها فى ذلك الصباح - كانت ترتدى بنطلونا خفيفا له لون الصوف الخام (بيج) ، ومن فوقه بلوزة قصيرة الأكمام وإيشاربًا له لون بشرتها . كان ثدياها شبه مغطين . كما كانت تلف حزامًا كبيرًا حول خصرها النحيل . وبالإضافة إلى المنديل الذى كانت تعلقه فى حزامها ، لم يكن هناك سوى مجموعة من المفاتيح التى كانت تشخشخ بها عندما كان كامبا داخل غرفته .

قالت وهى تقرب وجهها من وجهه : 'دعنى أنال شرف قيادة السيارة لك . سوف تجد وتكتشف أن سيارتى السيلستى ليست سيئةً جدا ، بالرغم من أنها تعد لا شىء إذا ما قارناها بسيارتك الليموزين الفرنسية الصنع' .

ركب السيارة ووجدها أنيقة ومرتبة من الداخل . أقفلت باب السيارة وأدارت المحرك . وعندما وصلا إلى الطريق الرئيسى ، وقفت بالسيارة على جانب الطريق ، ثم ربطت حزام الأمان . قالت له : 'من

الأفضل أن تربط أنت أيضا حزام الأمان أنا فى بعض الأحيان قد أكون سائقة مجنونة ، وأنا أقود السيارة دوما وحزام الأمان مربوط . وهذا هو السبب وراء عمل حزام الأمان لكل مقعد من مقاعد السيارة ، بما فى ذلك مؤخرة السيارة '.

ساعدته على ربط حزام الأمان ، نظراً لأن موديل السيارة لم يكن معروفا له . رجعت إلى الخلف وتنهدت ، ثم عدلت من وضع السيارة لتنطلق على الطريق . صحيح أنها كانت تقود السيارة بسرعةٍ عاليةٍ ولكنها كانت سائقةً ماهرةً . يبدو أنها آثرت عدم الكلام أثناء قيادة السيارة . كان ينظر إلى وجهها طوال الوقت ، وكان يجد على وجهها التكشيرة المضطربة نفسها التى كانت تعلو وجهها أثناء تناول طعام الإفطار . كل ذلك باستثناء أنه عندما كان يغازلها بكلمةٍ أو بإصبعه ، فإنها كانت تُصَفِّر صفرة صغيرة سرعان ما تنتهى ليعود وجهها إلى تجهمه السابق .

'هل تقودين السيارة دوما على هذا النحو ؟ أنت تقودين السيارة كما لو كنت من بين سائقى السباقات !' .

'أشكرك . أنا أحب السرعة . السرعة تثيرنى وأنا أحب الإثارة بالطريقة نفسها التى أثرتنى أنت بها' .

'متى ؟' .

ارتسمت على شفتيها ابتسامةٌ خافتةٌ . كانت الحقول خضراء ، والخضرة حافز جميل من حوافز الروح . كان الهواء ساكنا وساخنا ،

ولكن سرعة السيارة كانت تحدث داخلها نسيما معقولا . لم تكن هناك على الطريق أية سيارات أخرى . كل ما فى الأمر أن سيارة من سيارات النقل كانت تصادفهم على الطريق بين الحين والآخر ، وهى متجهة إلى كينيا أو إلى تنزانيا . فى حين كانت النساء المحليات تبدين وهن يحملن جرار الماء على رءوسهن كما لو كن أحجارا تلقى على الطريق . كان عداد السرعة يشير إلى الكيلو الأربعين بعد المائة .

تدخل كامبا قائلا : 'وهو كذلك ، يا جميل ، لقد أرهقت نفسك بما فيه الكفاية ، وأكون شاكرا لك إذا ما خففتى هذه السرعة الجنونية ' .

سألته دونما انفعال : 'هل أنت خائف ؟' .

'أنا لست خائفا . ولكن تهدئة السرعة سيعطينا وقتا لتجاذب أطراف الحديث ، وبشيءٍ من الاسترخاء ، وفى خلال دقائق معدودات ستكونين فى لونجلونجا ؛ فماذا ستفعلين عندئذ هل ستطيرين عائدة مرة ثانية ؟' .

نظرت إلى ساعتها مرةً ثانيةً ، ثم هدَّأت من سرعة السيارة . ظن كامبا أنها كانت تتصبب عرقا . كان يود أن يقترح عليها التوقف لفترة وجيزة لنيل قسط من الراحة ، وفجأة كما لو كانت تتحرك بفعل دافع أو حافز من داخلها ، اقتربت بالسيارة من جانب الطريق وتوقفت بصورة مفاجئة وغير متوقعة . وبعد ذلك ، تصرفت بسرعة شديدة ، وداست على ثلاثة أزرار كانت بجانبها ، ثم نزلت مسرعة من السيارة .

وفهم كامبا لعبتها بعد فوات الأوان . كان حزام الأمان مثبتا حوله ويزداد إحكاما عليه .

صدر عنها صوت قاس خال من الحياة وهى تقول : 'يا سيد كامبا . دعنى لا أقول لك وداعا ، وإنما طاب مساؤك' . وبهذه الكلمات ، وبينما كان كامبا يحاول فك حزام الأمان بلا طائل أو جدوى ، أغلقت لوسى باب السيارة وراحت تجرى بين الحقول بأسرع ما يمكن ، دون أن تنظر خلفها . فهم كامبا معنى ذلك الذى حدث - السيارة لابد أن تكون فيها قنبلة موقوتة وعلى وشك أن تقتله . راح يرفس بقدميه ولكن دون جدوى .

صاح قائلا : 'يا الله !' ، وحاول فتح الباب المجاور له ، ولكنه كان قد أغلق بطريقةٍ آليةٍ. تملكه الرعب وتخيل فى ذهنه القنبلة عندما تنفجر . آه ، لو يتمكن من إخراج المدية التى فى جيبه ، فإنه سوف يقطع حزام الأمان . كانت أصابعه لا تصل إلا إلى منتصف جيبه . كان يتحسس المدية بأطراف أصابعه . حاول عن طريق رفع رجله ناحية الأعلى . حاول ثلاث مرات . واستطاع ، بفضل من الله ، فى المرة الرابعة ، أن تصل أصابعه إلى المدية . ولكن من سوء حظه وجد أن حزام الأمان كان من النوع الذى لا يمكن قطعه بحد سكين عادى .

صاح كامبا من هول الرعب والخوف .

لن يستطيع قطع حزام الأمان ، إلا باستعمال سلك صغير يجرى توصيله بالمدية الكهربية من الخلف ، ثم توصيل ذلك السلك بموصل السيارة الكهربى عن طريق أى نوع من المعادن . ولكن نظرا لإحكام حزام الأمان ، فقد يحرق نفسه أثناء فك الحزام . وبالمصادفة البحتة شاهد جزءًا من أسلاك مسجل السيارة يمر من تحت الدوّاسة . سحب ذلك الجزء من السلك عن طريق رجل من رجليه ، وكان قلبه يكاد ينفجر من الخوف .

انقطع آخر جزء من حزام الأمان ، وهو يحاول تحمل ذلك الألم القاتل ، إذ كانت أسنانه تكاد تغوص فى اللثة . كانت أسنانه مقفولة بإحكام . نجح فى تحرير نفسه . ولكنه كانت ما تزال أمامه مشكلة خروجه من السيارة ؛ لأن الباب كان مغلقا . سارع إلى كسر الزجاج الأمامى بساعد ذراعه ، وقفز خارجا من السيارة وراح يجرى بعيدا عنها . انفجرت السيارة بعد ذلك بثوانٍ قليلة . تناثرت عليه بعض الشظايا الناتجة عن الانفجار . هرب وفيه بعض الإصابات الصغيرة . راح يجرى فى الاتجاه نفسه الذى جرت فيه الفتاة . وقد أودت بها حماقاتها إلى عدم الجرى حتى تبتعد تماما عن المكان ، وربما كان ذلك لأنها تود مشاهدة الانفجار . شاهدت شبح كامبا وهو يجرى عبر الحقل أملا فى الإمساك بها . وقد دفعها ذلك إلى الجرى من جديد ، وراحت تجرى كما لو كانت وعلة . كانت بينهما مسافةٌ طويلةٌ ، حوالى نصف كيلو متر .

كان هذا سوء الحظ . الحياة تعلمنا أننا لا يمكن أن نكسب فى جميع الأحوال. ضاعت الفتاة من كامبا تماما . لقد غاصت فى الوادى ، وعندما وصل إلى هناك لم يرى أثرا لها فى أى مكان . لابد أن تكون قد هربت إلى أعالى الوادى أو إلى أسفله ، وأنه يتابعها ويلاحقها فى الاتجاه غير الصحيح . وربما تكون قد خبأت نفسها فى أجمةٍ أو دغلٍ من الأدغال ، وإنها عقب تجاوزها لها راحت تجرى من جديد فى الاتجاه المعاكس . هذا هو جرح فى صدره بدأ ينزف بطريقةٍ غزيرةٍ . توقف كامبا وجلس على الأرض ، وراح يلعن نفسه ويلعن الفتاة أيضا .

الفصل الخامس

عاد بنى كامبا إلى نيروبى فى ذلك المساء . فقد بدأ الجرح الذى أصاب صدره ينزف بطريقةٍ سيئةٍ - يسامح نفسه على عجزه عن اختطاف المجرمة أو الإمساك بها . لم يعد بنى كامبا إلى فندق بانفريك Panafric ، وإنما قصد إلى فندق ست ثمانية Eight Six فى وسط المدينة .

وما إن دخل غرفته ، حتى كان أول من فكر فى الاتصال بها هى كرستينا جاثونى . ربما كان ذلك الاتصال من أجل سماع صوتها أو شىء من هذا القبيل ... كان من طبيعة بنى كامبا عندما يصيبه مكروه أن يفكر فى النساء قبل التفكير فى الطبيب .

كانت والدة كرستينا هى التى ردت على التليفون ، 'مساء الخير يا أمى ، أنا بنى كامبا' .

سألته : 'هل تريد التحدث إلى جاثونى ..؟' .

'إذا لم يكن يضايقك ، من فضلك' .

'هل ستجىء إلينا بسيارتك لزيارتنا ؟' .

'أود ذلك ، ولكنى متعب تماما ولست على ما يرام . أنا جئت من ممبسا إلى هنا بسيارتى' .

'هل هناك أمر خطير ؟' .

كذب قائلا : 'أصابنى أنفلونزا ، على ما أعتقد' .

دوى صوت كرستينا فى التليفون وهى تقول : 'مرحبا !' .

تكلم بصوت ناعم مفعم بالعاطفة وهو يقول : 'جميل أن أسمع صوتك يا عفريتة ، أسمعينى يا كرستينا . لقد عدت قبل الموعد المحدد بوقت طويل ، وأنا أود مقابلتك إما الآن أو غداً صباحاً' .

انتظر قليلا قبل أن تجيب . تعجب فيما لو كانت تستأذن أمها .

'أليس الوقت متأخراً الآن ؟ أنا موافقة ، سألقاك غداً . هل ترى أن بوسعك الحضور هنا للقائى عند الساعة الحادية عشرة ؟' .

'أنا لا أمانع فى ذلك ...' .

'الحادية عشرة ، من فضلك . أنا أود أن أتناول الغداء معك . يضاف إلى ذلك ، أن لدى شيئا صغيرا أحتفظ به لك' . أعطاها اسم الفندق الذى ينزل فيه ورقم الغرفة ثم قطعا الاتصال . طلب بنى كامبا رقم هاتف السيد والو بعد ذلك وانتظر الرد . لم يقابل بنى كامبا السيد

والو منذ اختطاف ابنته . كان السيد والو قد طار إلى الصحراء ، ولكنه لم يعد حتى الآن .

رد على التليفون شخصٌ قال : "إن السيد والو مايزال خارج بيته وإن الآنسة والو مريضةٌ فى المستشفى" .

'مسكينان !' . وضع السماعة . كان لابد من الاتصال بالطبيب ليطلب منه المجىء إلى الفندق . كانت آلامه تتزايد ، ولم يأخذ أية حقنة أو مسكنات كى تخفف عنه آلامه، الأمر الذى سيجعله عاجزًا عن النوم .

دق جرس التليفون . كان مستيقظا منذ الساعة السادسة ، وراح يسترجع فى ذهنه تفاصيل محاكمته لحياته . بالأمس لم يكن الأمر مخيفا مثلما هو اليوم . لقد هرب من الموت ، ولكنه أصابه الرعب والفزع جراءِ إدراكه أن جسده كان سيمزق إربا إربا بسبب انفجار من صنع امرأة حسبها صديقة . ارتسمت فى ذهنه من جديد صورة ذلك الانفجار الرهيب والسحب السوداء الكثيفة وهى ترتفع إلى عنان السماء .

'نعم' . قالها وهو متردد ، ويتعجب ما إذا كانت هى الآنسة سمبنيو متنكرة .

قال الصوت : 'أنت السيد كامبا ؟' .

'نعم' .

قال عامل التحويلة : 'مكالمةٌ لك من السيد موسى' .

قال بعد شيءٍ من التردد : 'هيا وصلني به من فضلك' . دار بخاطره : 'من هو ذلك الموسى الذى يعرف أماكن تواجدى ؟' . بدأ يشعر بالقلق .

دوى صوت مألوف يقول : 'بني ، سامو ، صباح الخير !' .

'يا رجل ، يجب ألا تُخيفني بهذه الطريقة. كنت أفكر الآن من يكون ذلك الموسى ، بحق جهنم . كنت على وشك إنهاء المكالمة' .

ضحك ثم عاد إلى جديته من جديد، 'موسى السامو . تلك الكلبة كادت تستولى عليك . لقد أسفت عندما علمت بذلك . ومع ذلك اسمعنى ؛ لدى رسالة لك يترتب عليها قطع إجازتك . إنهم يريدونك فى الصحراء . هل يمكن أن تخمن الموعد المحدد ؟ اليوم ! مطلوب منك أن تركب الطائرة خلال ثلاث ساعات . أولا ، إلى المحطة أ ، التى سيأخذوك منها . لقد وصلتنى هذه الرسالة منذ دقائق قليلة' .

'ملعون كل هذا !' .

'نعم ، ملعون كل ذلك ، أنا أقول أيضا . سوف أجيء لنقلك عند الساعة العاشرة . وعند العاشرة ، ستكون الأوراق كلها جاهزة' .

أرخى كامبا الستارة ثم تنهد تنهيدةً عميقةً . عاوده الألم كما لو كان يحتج على الرحلة . راح يتعجب مما يحتمل أن يكون أهل الصحراء قد وصلوا إليه . هل أفلحوا فى الإمساك بالآنسة سمبنيو ؟

سأل نفسه بصوتٍ عالٍ . "وماذا عن كرستينا ؟".'أمسك التليفون وأدار رقمها .

'يا ولد ، بنى بنفسه ، كيف أمضيت ليلتك ؟'.

'أشكرك ، كانت ليلةً طيبةً ، وماذا عن ليلتك ؟'.

'جيدة أسمعنى ، ظهر شىءُ عاجلٌ ويحتمل أن أسافر بالطائرة خلال ساعات قلائل ، هل يمكن أن تأتى إلىَّ حالا ' .

'وهو كذلك .'

أرخى سماعة التليفون وقفز من سريره ، وغسل وجهه وحلق ذقنه ثم ارتدى ملابسه . تناول الإفطار سيعطله ، ولذلك تغاضى عن الإفطار ، ثم تناول دفتر شيكاته ووقع على شيك منه ثم فصله عن الدفتر ووضعه فى مظروف . كان تفكيره فى القاتلة سمبنيو يستحوذ على فكره طول الوقت . كانت صورتها تستحوذ على فكره كله وهى تودعه وتتمنى له ليلةً سعيدةً .

'إلى أين أنت مسافر بالطائرة ؟'، سألته كرستينا هذا السؤال وهو يأخذها إلى الفندق فى سيارته . وبالرغم من الفترة القصيرة التى أعطاها إياها إلا أنها كانت قد زينتها وهندمتها على نحو جميل .

'إلى مكان ما ، فى مهمة ما'. قالها وهو يحاول تجاوز سيارةً أخرى على طريق أهورو UHURU السريع . السائقون الكينيون عادةً ما يكونون مجنونين بالقيادة .

'إلى متى ؟'.

'عليك اللعنة !'. كانت السيارة التى أمامه قد بدأت تسير فى الحارة التى يسير هو فيها . 'ما الذى يفعله ذلك الشيطان ؟'.

'أنت لا تريد أن تتجاوزنى'.

سب ولعن وهدّأ من سرعة السيارة وهو يقول: 'ياللك من لص !'. استدار إلى كرستينا وقال لها : 'ما السؤال الذى كنت تطرحيه علىَّ ؟ أوه ، نعم ، إلى متى ؟ أخشى أن يكون ذلك لفترة من الوقت . ولكنى سأعود ، فلا تقلقين . هل أترك سيارتى عندك ؟'.

'كيف يحدث كل ذلك ؟'. تدفقت كل مشاعرها وأحاسيسها فى هذه الإجابة .

'لا شىء مستحيل . إذا كان الأمر غير ذلك ، ففكرى فى مضمون كلامى . وأنا يتعين علىَّ هنا أن أقول لك فى عجالةٍ إننى أحبك'. نظر إليها . يبدو أنها لم تسمع كلامه . جلست بلا حراك ، وهى تبعد وجهها عنه ، غارقةً فى التفكير ، وراحت تستوعب كلامه . غيَّر موضوع الحديث وطلب منها أن تلمس يده . فعلت ما يريد . أبدى إعجابه بوجهها البرىء . أعجب أيضا ببراءة شخصها ورقته . كان يكفيه أن يحبها لملامحها ، إن لم يكن لشىءٍ آخر.

فى الفندق أعطاها الشيك الذى وقَّع عليه ، وكانت قيمته ألف شلن . قال لها : إن قيمة ذلك الشيك لشراء كل ما تود شراءه . قصر

الوقت ، الألم الذى فى صدره ، وانفعاله بذلك الذى ينتظره فى الصحراء ، كل ذلك لم يعطه الفرصة كى يفض بكارة هذه الفتاة العذراء .

تناولا الإفطار سويا ، وكانا صامتين معظم الوقت . ولكن خلال ذلك الصمت كان كل منهما يحس أنه فهم الآخر . لاحظ أنه يداوم النظر إليها بصورةٍ مستمرةٍ .

كان معجبا بذلك الخضوع والاستسلام الذى فرضته على نفسها عندما كان يقبل شفتيها الرقيقتين ، وعندما أحس بجمال جسدها . تأكد من مشاعرها . لم يكن يود منها أن تقول أى شىء ؛ لأنه شاهد كل الأشياء وفهمها . وبينما كان يودعها أشاحت بوجهها بعيدا عنه ، وهى مضطربةٌ جدا .

تركها لحال سبيلها قبل أن يصل تليلي سامو Telele Samu لنقله إلى المكان المحدد .



الفصل السادس

كشفت شاشة الرادار عن الطائرة القادمة إلى المطار . استوقف ذلك فى بنى كامبا أحلام اليقظة وأعاده من جديد إلى الحياة الواقعية . فى البداية ، راح يأخذ أنفاسا عميقة من سيجارته ، مرات عدة ، ثم سحق بعد ذلك رأس السيجارة المحترق فى منفضة السجائر ، وتسلطت عيناه على شاشة الرادار . وراح ينفث من أنفه أكبر قدر من الدخان كما لو كان هو نفسه مشتعلا ، ثم جلس فى مقعده . اليوم ليس من بين أفضل أيامه فى الصحراء . كان يستلطف ذلك اليوم عندما تكون غرفة المراقبة غاصة بالبشر . لم يبد له ذلك المجمع الكبير مكانا مهجورا ، أو حتى مثل سجن تحت الأرض . لم يكن على متن الطائرة اليوم سوى أربعة أشخاص .

ركز عينيه على الشاشة تماما . كان الرادار معقدا ، وتستطيع إشارته تمييز أى نوع من الطائرات حول الصحراء الكبرى كلها . كما كان ذلك الرادار قادرا أيضا على استقبال المعلومات الصادرة ، على سبيل المثال ، من الطائرات المخطوفة ، أو حتى عندما تفشل الأجهزة اللاسلكية على متن الطائرة .

ضغط على زر ، ثم تكلم فى الميكروفون وهو يقول : 'شوى Chui، جاهز ومستعد !'. امتدت يد شوى Chui إلى الترس ليفتح الشيش . راح ينتظر المزيد من التعليمات .

'نعم إنها هى' ، قالها المراقب من باب التأكيد على شوى Chui، عامل المهبط المدرب ، وليطلب منه التحرك . دفع شوى الرافعة إلى الأمام . ارتفعت الأبواب المزدوجة عن الرمل ، لتصعد نحو الأعلى فى البداية، ثم انفتحت تلك الأبواب وسقطت على أجنابها . ثم ظهرت بداية المهبط من تحت الأرض ، وتحركت على القضبان منتشرةً مثل دودة القز ، فوق الرمل مكونةً شريطا معدنيا عريضا من أشرطة الهبوط . بوابة المهبط فيها وسيلة ميكانيكية تجعلها تمسك بالأرض بعد أن تنفتح انفتاحا تاما .

أضيئت أنوار المهبط المساعدة للطائرة على الهبوط . كانت الساعة الثالثة صباحا ، وكان بنى كامبا يشعر بالاضطراب والانفعال والإثارة ، لأن تلك كانت أول مرة تتيح له فرصة مشاهدة هذا المكان الشهير ، مركز رئاسة مؤسسة نيزا الاستخباراتية . راح بنى كامبا يلاحظ خطوط الضوء أسفل الطائرة فى الوقت الذى كانت الطائرة العسكرية تدور فيه دورتها الأخيرة حول المطار .

قال الطيار لبنى كامبا : 'ها نحن قد وصلنا ، هذا هو المكان'. أردف الطيار قائلا : 'وسوف تندهش من هذا المكان . أعتقد أن هذا

المكان هو العجيبة الثانية من عجائب الدنيا ... أول تلك العجائب كانت الهبوط على سطح القمر' . 'يا لهذه العبقرية المعمارية هى والتقنية اللتان استخدمتا فى إنشاء هذا المكان ...! مبلغ علمى ، أن المال يستطيع توفير كل ما يتطلبه إبداع الإنسان وتقدمه' .

لمست عجلات الطائرة النفاثة أرض المهبط وتنهد بنى كامبا عندما بدأت الماكينة تتحرك بسرعة نحو الأمام . ثم بدأت الطائرة تقلل من سرعتها شيئا فشيئا ، وهى تكسر صمت الصحراء وسكونها بفعل الصوت الصادر عنها . ثم توقفت الطائرة النفاثة لتنقلها إلى البدروم . وينطوى الممر بعد ذلك ببطءٍ فوق محور يمتد إلى مسافة أقدام كثيرة تحت الأرض . قفل شوى Chui الشيش مرةً أخرى . وبعد أن انتهى كل شىءٍ لم يعد أحد يرى أى شىءٍ سوى مساحةً مسطحةً من الرمل . وبدأ النسيم يهب ومعه حبات الرمل ليكون فيها فى النهاية كثبان رملية على الفور . كانت تهوية البدروم الذى أنزلت فيه الطائرة تتم من مسافة أميال ، وكانت محطة التهوية موجودة أسفل صخرةٍ صحراويةٍ سوداء اللون .

هذا الشاب الكينى الذى هو فى العام السابع والثلاثين من عمره ، والذى اسمه بنى كامبا ، بدأ يحس بالضآلة والخوف عقب أن لمست قدماه الأرض . نزل من الطائرة النفاثة أربعة رجال : الطياران ، ومهندس يابانى ، ثم بنى كامبا نفسه .

'الطريق من هنا يا كرام'. هذا ما قالته السيدة التى كانت قد جاءت للترحيب بهم . تأمل بنى كامبا تلك السيدة ، فقد اقتحنت لكل واحد من الرجال الأربعة ، عندما كانت تصافحه بحرارة .

حاولت تلك السيدة إشباع فضول بنى كامبا وهى تصحبه بعيدا عن بقية الرجال وقالت : 'هذا هو مركز الرئاسة ، وهو مقسم إلى ثلاثة أقسام : القاعدة العسكرية ، والورشة ، ثم المركز الإدارى ، وأخيرا مركز هيئة الأركان'.

الناظر إلى الدكتور تريبلو **Triplo** يستشعر قوة ذلك الرجل من عدم تزييق الباب عندما ينفتح ، ومن عدم وجود أناس ينبئون عن مجيئه ، ومن خلو مكتبه الكبير . انفتح الباب على الفور نظرا لأن تحركات الدكتور تريبلو سريعة . واليوم ، هاهو يدخل المكتب وشكله يوحى بالقوة . وهذا هو ثوبه النيجيرى يؤكد على تلك القوة لأنه يفيض على جسمه ويتطاير من حوله . جلس الرجل فى مقعده التنفيذى ووضع يداه على الطاولة الكبيرة كما لو كان على وشك أداء الصلاة . أحنى رأسه على أحد الأجانب ، وعدَّل غطاء رأسه ثم جلس منتصب القامة . كانت الطاولة الكبيرة مغطاة بكثير من الأعمال .

كان الدكتور تريبلو شخصيةً غير عادية ، تحظى بالإعزاز والتقدير من كل هيئة العاملين معه . لقد فاز الدكتور تريبلو برئاسة مؤسسة نيزا بسهولة بسبب كفاءته العسكرية وبفضل خلفيته التعليمية . على كل حال ،

فأنت عندما تدرس الدكتور تريبلو تجد أنه رجل مرموق . رجل متعدد المواهب . إذا ما أثاره أو ضايقه أحد من الناس تراه يتكلم بأعلى صوته ، مهدداً أو متوعداً . لقد أمضى سنوات كثيرة فى التدريب فى أوروبا . والاسم تريبلو مأخوذ من أسمائه الثلاثة الأول ، التى يبدأ كل واحد منها بحرف الـ O. فى البداية كانوا يسمونه الدكتور تريبلو ، ثم حصل على درجة الدكتوراه من أمريكا ، فى العلوم الطبيعية .

اكتسب الدكتور تريبلو عادتين : حبه للسعوط (النشوق) وحبه لقصب السكر . وفى بعض الأحيان كانت هيئة العاملين تقول عنه ، من وراء ظهره ، إنه الدكتور قصب السكر . وما لم يضعوا أمامه طبقا من قصب السكر ، فلابد من أن تكون لديه قطعةٌ من قصب السكر لا يقل طولها عن ثلاثة أقدام ، تكون موضوعة فوق الطاولة أو المكتب الذى يجلس خلفة . كان يروح يمص هذه القطعة من قصب السكر عندما تفشل سكرتيرته فى إنجاز المطلوب منها على الوجه الأكمل . وتراه دائما وهو يحمل معه علبتين مذهبتين بداخلهما النشوق . تراه أيضا ، خلال المناقشات الحامية ، يتوقف ويروح يبحث فى ثوبه عن علبة النشوق . ثم يهز تلك المادة ذات اللون البنى الغامق كى تنزل من العلبة على راحة يده ، ويستنشقها بشدة إلى أن تدمع عيناه . ثم يرمش بعينيه ، إلى أن تسقط دمعة من كل عين من عينيه فى حين يظل وجهه منقبضا كما لو كان يستمع إلى نفسه ، ثم يروح بعد ذلك ، ولمدة دقيقة تقريبا ، يحملق فى الفراغ أمام عينيه ، ويروح فى تفكير عميق . وفى بعض الأحيان ،

وعندما لا يذهب النشوق إلى الاتجاه الصحيح ، أو عندما يكون مصابا بنزلة برد ، تراه يعطس عطسا شديدا وبصورةٍ مستمرةٍ .

ضغط الدكتور تريبلو على زر جهاز الاتصال الداخلى (إنتركوم) . انفتح الباب الموجود على يساره إلى داخل الجدار لتدخل منه سكرتيرتة . كان أمامه على المكتب طبق من قصب السكر المقطع على شكل قطع صغيرة . وفى أقصى اليسار كانت هناك «سلطانية» زرقاء اللون لوضع المصاصة .

وقفت سوزى أمام الدكتور تريبلو ، وهى فتاةٌ طويلةٌ رشيقةٌ عمرها ستة وثلاثون عاما ، ويبدو أنها تشغل منصب سكرتيرة الدكتور تريبلو بحكم جمالها . قالت : 'صبحك الله بالخير أيها الجنرال '.

نقر على المكتب بقلمه كما لو كان يبحث عما يقوله . كان الدكتور تريبلو يرتدى ثوبا يميل لونه إلى لون القشدة ومطرزاً بالذهب ؛ كما كان يضع على رأسه قلنسوة أنيقة . تناولت أصابعه السميكة قطعة من قصب السكر وسحقها تماما بين أسنانه . انتظرت سوزى ، كانت سوزى تستلطفه ؛ فقد كان رئيسا طيبا ، بالرغم من صعوبة العمل معه إذا ما كان الموظف بطيئا، أو ليس على درجةٍ عاليةٍ من الكفاءة . ومع ذلك كانت سوزى تحب عملها . وبعد أن اجتازت سوزى الامتحان الخاص بالحصول على شهادة مدرسة كامبردج ، حملت ، ولكن الرجل الذى تسبب فى ذلك الحمل رفض الزواج منها . ولدت سوزى طفلا

جميلا . وبعيدا عن خيبة الأمل التى ألمت بها ، وبإدارةٍ قويةٍ ، عادت سوزى إلى المدرسة بعد ذلك بعامين ، وحصلت على الشهادة العالية من كامبردج لتلتحق بعد ذلك بجامعة لندن ، وانتظمت فى الجامعة إلى أن حصلت على درجة الماجستير فى التاريخ. كما حصلت أيضا على دبلومةٍ فى التربية .

قال الدكتور تريبلو وهو يلفظ مصاصة قصب السكر فى راحة يده : 'هل تعتقدين أننى استدعيت العقيد كامبا فى وقت مبكر أكثر من اللازم ؟' . نظرت سوزى إلى ساعتها ـ الساعة التاسعة إلا عشر دقائق .

'هو مستيقظ تماما وجاهز لمقابلتك . صحيح أنه ذهب إلى الفراش متأخرا . هل أسمح له بالدخول ؟' .

أومأ الجنرال برأسه وأردف قائلا : 'ومعه المجلس أيضا ' .

'لديك مقابلة أو موعد أيضا مع «جنتلمان» من ليسوتو " .

'سأقابله فيما بعد ، بعد أن ينتهى الاجتماع . إلىَّ بالملف الخاص بشنجولاما Chenqolama .اطلبِ من المراسل الحضور أيضا ' .

غادرت سوزى وراح الجنرال ينظر لحظةً إلى الصورة الكبيرة المعلقة على الجدار المقابل له ـ صورة فوتوغرافية كبيرة لمشهد مسائى على نهر النيل فى مكان ما من أوغندة . لقد كان يحب تلك الصورة حبا جما .

انفتح الباب الآلى فى الجدار ودخل منه المجلس المكون من تسعة رجال ، كما لو كانوا يجلسون منتظرين خارج المكتب كان آخر من دخل هو المراسل ومن بعده بنى كامبا . ظهر ما يقرب من نصف أعضاء المجلس وهم يرتدون أروابا . فى الوقت الذى كان الجنرال يدرس فيه خطابا داخل الملف جلس ثلاثةٌ من الأعضاء إلى طاولة المجلس يتكلمون همسا فيما بينهم . كان مكتب الجنرال مؤثثا تأثيثا جيداً بأثاثٍ خشبىٍّ جميلٍ وسجادةٍ تمتد من الجدار إلى الجدار . كان المكتب وسيعا ومقاسه ثلاثون فى أربعون قدما . وكان يسمح للجنرال ، بالتجول والتمشى فى أنحاء المكتب عندما يتأمل أمراً من الأمور . كانت ثلاثة من الجدران مبطنةً بالخشب الملون بلون فاتح ، وكان الحائط الخلفى – الذى يجلس أمامه الجنرال – مجلداً بلوح من الخشب الطرى ، وعلق الجنرال فوقه خارطة العالم وعليها مسار الخطوط الجوية ، كما لو كان الجنرال طيارا أو يعمل وكيلا لشركة من شركات الطيران .

حملت الأرداف المتأرجحة السكرتيرة إلى داخل مكتب الدكتور تريبلو ، وهى تحمل ملفا سميكا سلمته للجنرال وهو يقطع الغرفة جيئةً وذهابا .

ابتسمت ، 'هذا هو الملف يا سيدى' .

بعد أن أخذ الجميع أماكنهم ، بدأ الجنرال حديثه . فرك الجنرال يديه ببعضها وقال : 'أيها السادة ، ها نحن هنا جميعا ...' . كان

الجنرال متيما بهذا التعبير ، وبخاصةٍ عند بداية كل اجتماع من الاجتماعات . قلَّب ثلاثة أوراق من الملف ، وحملق فى واحدة من الأوراق مدة ثانية أو ثانيتين ثم رفع رأسه . 'أنا مشغولٌ وقلقٌ لأننا متأخرين إلى حدٍّ ما عن المواعيد الواردة فى الجداول . وفيما عدا ذلك ، فإن التقارير التى وصلتنى أمس من الجنوب جيدة ؛ معنى ذلك أننا نسير فى الاتجاه الصحيح . ونحن فى ضوء تنظيم من هذا القبيل وبهذا الحجم وله مثل هذا الطابع ، نرى أننا نسير على خير ما يرام' .

أشار الجنرال إلى المراسل . وهنا انبرى واقفا ذلك الرجل القصير ، المتين ، الذى يشبه كرةً من النشاط ، وقف ليدلى بتقريره . كانت عينا المراسل تتركزان على الخارطة .

قال : 'أشكرك يا سيادة الجنرال' . وواصل النظر إلى الخريطة . 'لقد حصلت على القسم الأكبر من المعلومات التى أريدها عن قاعدة شينجولاما Chenqolama، ولكنى مازلت انتظر المساحة التقريبية التى تشغلها تلك القاعدة . وآمل أن تصلنى تلك المعلومات قبل دخول موعد الغداء ، وفيما عدا ذلك ، فقد أوردت التقرير كاملا فى هذه الورقة' . ثم قام بتوزيع صور من ذلك التقرير على أفراد المجلس . كان الجنرال قد تسلم صورته بالفعل . وهنا اتجه المراسل ، النقيب شمبوامبا Chembwambwa، ناحية الخارطة وواصل تقديم المزيد من الشرح والتفسيرات عن قاعدة شينجولاما . راح المراسل يحدد منطقة القاعدة على الخارطة مستخدما فى ذلك مؤشرا، ثم وضع بعد ذلك نجمتين

مغناطيسيتين على الأماكن شديدة الأهمية . كان أحد هذه الأماكن هو عاصمة الولاية ، وكانت العلامة الثانية تدل على القاعدة .

واصل حديثه قائلا : 'كما تعلمون ، فإن القاعدة تبعد مسافة أربعين ميلا عن العاصمة . كيف لنا بالوصول إلى هناك ...؟ أنا لا أعرف الطريق ، ويبدو أن لا أحداً لا يعرف الطريقة التى ستمكنا من ذلك . القاعدة تقع فى وسط ميدانٍ مفتوحٍ . وهذا الميدان يشبه إلى حدٍّ ما بعض أجزاء وادى الصدع فى شرقى أفريقيا . والقاعدة تحيط بها غابةٌ كثيفةٌ .

عاد المراسل إلى مقعده ، 'أخشى أن لا تكون لا تعرف شيئا عن المرشد الأخير كما أخشى أيضا أن يكون قد حدث له مالا تحمد عقباه . وبذلك يصبح المرشد رقم ثلاثة الذى يموت فى هذه المنطقة' .

راح الجنرال يرتب الأوراق بين يديه كما لو كان يحاول حل لغزٍ ما كان يدور فى ذهنه . 'من المناسب إحصاء الموتى فى ميدان القتال ؛ وفى الوقت نفسه ، ليس من المناسب ، وبخاصةٍ فى زمن الحرب ، أن يصبح النصر أمرا محتما . إن مستقبل مؤسسة نيزا الاستخباراتية سوف يتحدد إلى حدٍّ بعيد بنجاحنا أو فشلنا فى شنجولاما . أنا متفائل بأننا سوف ننتصر ؛ ولكن ذلك سيكلفنا عددا من الأرواح . ولكن هذا هو ما يعنى قتل عشرة من الناس لإنقاذ ألف منهم ، وخسارة مائة روح من أجل إنقاذ عشرة ملايين من الأرواح . وحدة الأمة ليست شيئا آليا ،

أيها السادة ، والمدينة المحترمة بحاجة إلى تخطيط ذكى ، والأمة ينطبق عليها الشىء نفسه . من الصحيح أيضا ، أن حياة كل فرد من الأفراد ، إن قدر له أن يعيش حياةً ناجحةً ، يجب أن تكون مخططةً تخطيطا سليما . الحرب شىءٌ شرير وكريه . والحرب قد يخوضها الناس لاستعادة السلام ، ومعروفٌ أن الكرامة الإنسانية ليست سوى حرب جيدة ومقدسة أيضا ' .

استدار الجنرال إلى بنى كامبا وفاجأه بإمساك يده ورفعها . 'هذا هو العقيد كامبا ، أنا أساعدك وأعاونك على خوض هذه الحرب العادلة والمقدسة . تاريخ الرجل الأسود ملىء بالمعاناة . فقد بقى الرجل الأسود طوال عقود ، بل قرون بمثابه قرد أسير ، مجرد مصدر من مصادر العمل ، الخادم ، المغلوب على أمره ، المحتقر ، بل وطفل الأوجاع والآلام . أنت يا ٠٠٩ ، ستكون أنت نجم الرجل الأسود' . واصل الجنرال مصافحة كامبا ، 'ونحن نقول ، لعل إله الرجل الأسود يكون معك حيثما ذهبت ، لمقاتلة أى إنسان بل وتقتل أيضا الرجل الأسود حتى يتسنى لك تحرير كرامة الرجل الأسود وتأكيدها تأكيدا كاملا . الرجل الأسود يعانى لا بسبب حماقته ؛ وإنما لفرط حنانه وشفقته ، ولفرط استعداده للتضحية بحياته . هذا الحنان المفرط ، بل ذلك الجود بالحياة هو الذى هيأ الفرصة لقساة القلوب من البشر ، كى يستغلوا الرجل الأسود . ولكن لابد من أن يكون لكل شىءٍ نهاية . وتأسيس مؤسسة نيزا الاستخباراتية هو تلك النهاية . أيها السادة ، الله معنا . وإذا لم يكن الله معنا ، فهو

ليس بإله ؛ لأن الله هو الحب والسلام ، وهذا هو ما نحارب من أجله وما نبتغيه . لقد أنشئت قاعدة شنجولاما وتأسست ، أولا وقبل كل شيء ، لتدمير أى زعيم من الزعماء الأفارقة الأكفاء ، وأن تنَّصب بدلا منه رئيسا صنيعة . وهذا يسهل استقلال البلاد . التنظيم الذى يقف من وراء قاعدة شنجولاما يهدف تماما إلى تدمير كل الزعماء الأكفاء فى المستقبل .

عاد بنى كامبا إلى الجلوس فى مقعده ، وقد تأثر بكلمات الجنرال . صمت الجنرال فترةً وجيزةً، وراح يحملق فى الطاولة ويطيل ا لنظر اليها . ثم نظر إلى الأعلى مرةً ثانيةً ، نحن نسعى حاليا إلى الاستقلال ، والحرب تشن علينا من كل جانب . لا لأننا إناسٌ أشرار ؛ وإنما لدينا ما نعطيه - شيءٌ ، إذا ما عصرونا ، تعين علينا أن نعطيه من أجل حياوات أولئك المستغلين الشرهين . إنهم لا يحبوننا ، ولكنهم يحبون ذلك الذى يمكن أن نقدمه لهم ونعطيهم إياه . لقد أحضرونا إلى الميدان لنلعب مباراةً دوليةً ، أمةٌ فى مواجهة أخرى . ولكننا سوف نكسب وننتصر إذا ما تعلم فريقنا الوحدة فى اللعب ، والمحافظة على القواعد كلها وتنفيذها ومراعاتها ، ومحاولة تسيد كل أمر من أمور هذه المباراة الدولية . اليوم ، أيها السادة . ما يهمنا اليوم ، هو مع من تقفون - من يمتلك الأمم الصغيرة . فى المستقبل ، سيكون النجاح حليف الأمة الموحدة بغض النظر عن ذكاء الأمة الأخرى . الثروات لا تهم ؛ الذى يهم هو ما نفعله بتلك الثروات . نحن لا نستهدف تملك الأمم الأخرى ، وإنما نستهدف تملك أنفسنا . نحن نود أن نعيش حياواتنا الخاصة بنا . كل إنسان ،

وكل أمة ، وكل حياة مقصورةٌ على نفسها . نحن لا نود أن نكون ملكا لأحد ، لأننا طال امتلاك الغير لنا ، نحن نأكل فتات سادتنا منذ زمنٍ طويلٍ . نحن لا نطلب من الآخر إطعامنا . نحن نطلب من الآخر أن يتركنا نأكل فى سلام وأمان من حدائقنا وبساتيننا ، وعلى موائدنا الخاصة بنا . نحن نود أن نحيا حياتنا السوداء الخاصة بنا . وهذا هو ما يجب أن يكون' .

تكلم الجنرال فى جهاز الاتصال الداخلى (إنتركوم) لتدخل سوزى إلى الغرفة بعد ذلك مباشرةً . 'هل أخذت ودونت ما يطلبون ؟' .

تهللت سوزى فخرا بسبب كفاءتها ، وقالت : 'لقد حدث ذلك قبل دخولهم إلى مكتبك بوقتٍ طويلٍ' .

أعادها الجنرال إلى مكتبها بإشارةٍ من إبهامه، وحاول استجماع أفكاره من جديد . 'ها نحن هنا من جديد ... نعم ٠٠٩!' . ابتسم الجنرال إلى بنى كامبا وهو يداعبه باستخدام ذلك اللقب . أنت تحمل أعلى رتبةٍ فى الخدمة السرية فى مؤسسة نيزا الاستخباراتية . وربما تعين علىَّ تقديمك على شكل أرقام . وهناك رقمان مهمان الرقم ٧ والرقم ٩ ، والرقم ٧ يرمز إلى النجم السماوى نيبتون Neptune ، والذى يسمى أيضا باسم البيت الأول للماء ، باعتبار أنه جزء من البروج Zodiac ، والخاصة الطبيعية لمسمى ذلك الرقم هى القلق وعدم الاستقرار والحب الشديد للأسفار . هذا الرقم الذى تستخدمه بالفعل الخدمة السرية

الأوروبيـة ، لم يناسب شـخـصـيـتنا أو طابعنا . وإنما هو ينا سب تماما شخصية العالم الأوروبى الغربى . لقد اختاروا الرقم ٠٠٧ ، ولكننا اخترنا الرقم ٠٠٩ ، وأنت إذا ما حـاولت الربط بين الرقم ٩ وأفـريقـيا ، سـوف تكتشف شيئا عجيبا . أغلبية الانقلابات العسكرية ، إن لم تكن التغيرات الجذرية كلها من عهدٍ إلى آخر، حدثت فى العام التاسع بعد ا لاستقلال . وهذا الشىء تجـده يتكرر أيضـا ، مـع مرور الأعـوام ، وعندمـا يضـاعف ذلك الرقم نفسـه : أى فى العـام الثـامن عـشـر ، وفى العـام السـابع والعشرين ، وفى العام السادس والثلاثين وهلم جرا . والرقم ٩ يرمز إلى كـوكب مـارس **Mars** ، وخـصـائص هذا الكوكب تسبـغ على حـامل هذا الرقم خاصية المناعة وتجعله غير قابل للقهر أو الهزيمة . هذا الرقم يجر على من يحمله الصراع فى كل أموره الحياتية . هذا يعنى أن حملة ذلك الرقم لا تكون لهم بدايات سـهلة ، ولكنهم ينجـحـون فى النهـايـة . سوف نلاحظ أيضا أن الرقم ٩ له بعض الخصائص الغريبة جدا . من الناحية الحسـابيـة ، فإن الرقم ٩ هو الرقم الوحـيـد الذى إذا مـا ضـرب فى أى عدد فإن الرقم الناتج عن ذلك يساوى نفسه إذا ما جمع ذلك الرقم من اليسار إلى اليمين أو من اليمين إلى اليسار . خذ على سبـيل المثال ، الرقم ٩ مـضـروبا فى الرقم ٥ . سـيكون النـاتج ٤٥ . اجـمـع ٤ زائد ٥ تجد إنها تساوى ٩ . وفيما يتعلق بالحياة فإن الرقم ٩ يمثل الطموح ، والطاقـة والقـيـادة والسيطرة والتـملك . والرقم ٩ يمثـل الحـديد أيضـا . والكوكب مـارس **Mars** الذى يمثله الرقم ٩ هو الذى يتـحكم فـى عـلاقـة

الأبراج فى دراسة الفلك . أنا على ثقة الآن ، يا عقيد كامبا ، أنك أصبحت على يقينٍ الآن من أن الرقم ٠٠٩ إنما هو رقمٌ خاصٌ جدا فى حقيقة الأمر . يضاف إلى ذلك أن الرقم ٩ هو آخر الأعداد ، عندما نعد من واحد إلى تسعة . أما فيما بعد ذلك فإن الأرقام لا تعدو أن تكون تكرار لتلك الأعداد . فى البداية وقع اختيارنا على ذلك الرقم لخصائصه الخاصة به من ناحيةٍ ولرمزيته من الناحية الأخرى . ثانيا : لأن الرقم ٩ هو رقم الرجل الأسود ، رقم أفريقيا . ذلك أن الأفريقى قد يأتى ترتيبه متأخرا ، مثلما يأتى الرقم ٩ متأخرا هو الآخر ، بعد الأعداد كلها ، ومع ذلك فإن هذا الرقم النهائى يمثل السيطرة والتملك . ونحن نعرف إلى أين نحن ذاهبين " .

فى هذه اللحظة دخلت سوزى ومساعدتها تحملان صينيتين كانت رائحة القهوة والكاكاو تفوح فى الغرفة . تمعن كامبا فى وجه سوزى ، وراح يغذى روحه بجمالها . عندما التقت عيناها بعينيه ، ابتسمت . تذكر كرستينا ، وسرح فكره فيما تكون فيه فى ذلك الوقت ، وتمعن أيضا مدى تفكيرها فيه .

وقف الجنرال مرةً ثانيةً وقال : " ٠٠٩ ، سوف تحصل عصر هذا اليوم على أدبيات يتعين عليك دراستها دراسةً دقيقةً . لن يكون هناك أمرٌ صعبٌ عليك ، لأنى متأكد من ذلك . أمامك خمسة أيام لتجهيز نفسك ، وتكون على استعدادٍ للرحيل ، عن هنا ، عن مركز الرئاسة . والمجلس وأنا معه نثق بك ثقةً بالغةً ، ونحن نرى أنك ستكون مفخرةً

لمؤسسة نيزا . سوف نرعاك ونحافظ عليك بكل ما أوتينا من قوة . نحن نعرف طبيعة مهمتك ، كما نعرف أيضا المخاطر التى يمكن أن تواجهك . نحن نساعدك معنويا إلى أبعد الحدود ونصلى من أجلك . أنت ابنٌ حبيبٌ لهذه الأمة ولهذا العرق . قد تجد الأمور صعبة ؛ ولكن يجب ألا يغيب عن بالك أنك تحمل على ظهرك التزامك بحياة الملايين من البشر . وأنا أؤكد لك من جديد أن الله موجود ، وينصر من يكافح من أجل شعبه وناسه . وربما لن تتاح لى فرصة لقاءك مرةً ثانيةً قبل أن ترحل . ولكنى على يقينٍ من لقائك مرةً ثانيةً عندما تنهار قاعدة شنجولاما' .

كان هناك تصفيق حاد بعد أن أنهى الجنرال كلامه . ثم قام بضعة أعضاء من المجلس بإضافة المزيد من الكلام إلى كلام الجنرال . ولم يقل كامبا شيئا غير شكره للجنرال وشكره للمجلس أيضا على الكلام العظيم . أحس كامبا بالارتياح . والشجاعة ، كما استلطف أيضا إعجاب الناس به . ولكن كامبا كان يعلم أن الحفاظ على الشرف يحتم القتال من أجله أو فى سبيله . وهذا يعنى كل شىء بالنسبة له ، هو الحياة وهو الموت أيضا . كما يستشعر الإثارة التى تنطوى عليها المهمة التى كُف بها . وهو منذ أن وقع الاختيار عليه ، كان يضع نفسه فى بعض الأحيان فى أعماق القلق الشديد ، عندما كان يتشكك فى كفاءته ومقدرته ، كان يشعر بالقلق لأنه قد يتعين عليه ، فى نهاية المطاف ، تسليم شارة رقم ٠٠٩ إلى الصحراء Desert، ثم يعود ثانيةً إلى كينيا

حاملا اسمه الحقيقى، حيث توجد قرية فى كيلونجو Kilungu ليعود من جديد إلى زراعة القرع العسلى الذى كانت أمه تزرعه وتبيعه كى تحصل على مصروفات الدراسة المطلوبة من ولدها . فقد مات والده فى الحرب العالمية الثانية .

قال كامبا لنفسه وهو يغادر مكتب الجنرال : 'آمل أن أعيش لأرى ذلك يتحقق ، وأعيشه وأنا على قيد الحياة ' . وبالرغم من كل شىء ، كان الخوف ما يزال يتملكه ، إذ كان ينحز فى روحه. ربت أحد أعضاء المجلس على كتف كامبا ، 'أنت تعرف' . تكلم كما لو كان سمع ما كان يعتمل داخل كامبا .'إن كل الرجال العظام بالرغم من المخاوف التى تنتابهم عن احتمال الفشل . وبدون ذل الخوف لن تتمكن من استجماع مصادر طاقتك . بعد ذلك ، هناك أيضا الشك ... الشك هو نقطة المراجعة أو إن شئت فقل : نقطة التفتيش . وبدون الشك لا يمكن أن تعرف مدى تقدمك إلى الأمام أو رجوعك إلى الخلف . نحن جميعا نشك ؛ ولكن المهم هو كيف نستفيد من ذلك الشك . من هنا ، فإن الشكوك ، والمخاوف ، والقلق ، والسعادة ، وما إلى ذلك ليست سوى قراءات نأخذها من بارومتر الروح ، وهذه القراءات مهمةٌ بحد ذاتها؛ لأنها تجعلنا نشغل أنفسنا فى الأشياء الصحيحة، وتعدل من أوضاعنا وتضبط سرعتنا طوال الرحلة ' .

كان الدكتور تريبلو قد أعد مشروبا خاصا لبنى كامبا ، وكان ذلك المشروب معداً من أعشابٍ خاصةٍ جرى تحضيرها بواسطة علماء الطب

بالتعاون مع المتخصصين فى الأعشاب فى أماكن مختلفة من أفريقيا .
هناك بعض الأعشاب التى ترفع من روح المقاتل ، وتبث فيه الشجاعة ، وهناك بعض الأعشاب التى تساعد على الاسترخاء وعلاج الإنسان من الانفعال والإثارة . بعضٌ ثالث من الأعشاب يستعمل لقمع الرغبات الجنسية فى حالة عدم وجود متنفس . هناك بعضٌ رابع من الأعشاب التى تجلب النوم وتساعد عليه ، كما إن هناك من الأعشاب أيضا ما يبعد النوم عن الإنسان إذا لم يكن راغبا فيه . بعضٌ آخر من الأعشاب يساعد على التئام الجروح على وجه السرعة فى حالة الإصابة أو الجروح . هذا المشروب جرى تجهيزه فى مركز الرئاسة بواسطة طبيب من جنوب أفريقيا يحظى بسمعةٍ ذائعة . لابد من تعاطى بنى كامبا لتلك الجرعة طوال الأيام الخمسة المتبقية .

الفصل السابع

نظر بنى كامبا إلى ساعته . كانت الساعة الخامسة إلا الربع صباحًا . وعندما استدارت الطائرة النفاثة وجعلته يتجه شرقا ، حيث شاهد ضوءًا خافتا فى السماء . كانت الطائرة تقوم بآخر دورانٍ لها قبل الهبوط. لم تستغرق رحلة الطيران من الصحراء أكثر من ساعةٍ واحدةٍ على متن هذه الطائرة العسكرية النفاثة بعيدة المدى. فى الليلة السابقة ، وحتى الساعة الثالثة كان بنى كامبا فى حفلٍ متع نفسه فيه إلى حدٍّ بعيدٍ . الجنود ينبضون بالحياة ، ويشتاقون إلى المتعة فى الساعات الأخيرة التى تسبق رحيلهم عن قاعدتهم متجهين إلى ميدان القتال . لقد رقص بنى كامبا بكل نشاط وحيوية مع سوزى ، ومع النساء الأخريات فى الصحراء . وكان الدكتور تريبلو قد غادر فى اليوم السابق ، فى رحلةٍ قام بها إلى اليابان .

عندما هبطت الطائرة ، حاول كامبا تخليص ذهنه مما كان يدور فيه . فقد راقص سوزى وغازلها طوال القسم الأكبر من فترة المساء . كان يمسكها برقة ، ورقصا وهما متلاصقان ، جسمًا إلى جسم ، وكانت

حواسهما مشدودة . وكانت الموسيقى ناعمة ، وكان جو كل شيءٍ ناعما حالما . وهذا أمرٌ لا يحدث إلا نادرا ؛ لا آلام لا متاعب ، لا شيء على الإطلاق .

هبط بنى كامبا على الأرض ، عندما حطت الطائرة على أرض مطار ما فى جمهوريةٍ وسط أفريقيا . ومن هذا المطار سوف يجرى نقل بنى كامبا بالطائرة أيضا إلى محطةٍ أخرى . ثم يبدأ بعد ذلك رحلةً وعرةً جدا عبر نهرٍ ، يقطع مسافةً تقدر بحوالي ١٦٥٧ ميلا .

تلقى أنف بنى كامبا التحية من هواء الفجر البارد الذى تسلل إلى أذنيه وإلى أصابعه . وساعده الطيار بحمل حقيبته إلى سيارةٍ أجرةٍ كانت تنتظره وبداخلها شخص ما . هذه السيارة الأجرة ، من طراز مرسيدس ٢٥٠ ، انطلقت فور ركوب بنى كامبا فيها . كان سلبيا إلى حدٍّ ما . لم يتكلما مع بعضهما . ولكن كامبا أحس أن الطيار رجلٌ طيبٌ ، وعندما كانا يفترقان صافح الطيار بنى كامبا . 'أتمنى لك حظا طيبا ، أيها الأخ ، تشجع' . كانت المصافحة حارة وودية وتتسم بالأخوة . كان ذلك هو الإحساس الذى أبداه باستور Pastor فى مركز الرئاسة بعد أن صلَّ من أجل بنى كامبا . كان الفارق الوحيد بين هذين الإحساسين يتمثل فى الإضافة التى مفادها '... وسيكون الله فى عونك' .

كانت الرحلة طويلة . وكان السائق الذى نقله من المطار قد تغير بالفعل ، إذ جرى استبداله بسائقٍ آخر . وهذا هو بنى كامبا يجلس حاليا داخل سيارة من طراز فيات ومعه اثنان يحرسانه .

أخيرا وصلوا إلى بوابة مسكن حديقة من حدائق الحيوان المفتوحة ، هذا المسكن عبارة عن فندق فاره . مضى عليهم ثلاث ساعات وهم سائرين بالسيارة . تأكد الحارسان من دخول بنى كامبا إلى الفندق وتسجيل اسمه ، والوصول إلى غرفته ، وتأكدا أيضا من التقاء الموصّل المحلى . إنها فتاة !' .

تعجب كامبا من استخدام مؤسسة نيزا لهذا العدد الكبير من الفتيات . ولكن سرعان ما فهم إن تلك الفتاة كانت الموصِّلات البعيدة جدا ، وكان المستحيل ألا تعرف هذه الفتاة أى شىء أو أية فكرة عمن هو كامبا والمهمة المكلف بها . كانت تلك الفتاة تعمل لحساب شركةٍ محلية تربطها علاقات سرية بمؤسسة نيزا الاستخباراتية ، ولكن تلك العلاقات كانت علي المستوى السطحى تماما لإدارة تلك الشركة .

قدمت الفتاة نفسها لكامبا : 'اسمى سلفيا . كان مفروضا أن تصل أنت إلى هنا بالأمس . لقد دأب مستر والو على الاتصال بك هنا طوال يوم أمس ـ هل تعرف ذلك الرجل ؟' .

'نعم ، بينى وبينه عمل' .

'لابد أنك رجلٌ مهمٌّ ، يا سيد كامبا' . اصطحبته إلى صالة الطعام لتناول الإفطار .

" كل إنسانٍ أهميته ، يا سلفيا " .

'لا ، يا سيـدى ، لايمكن أن تكون للناس أهمـيـةٌ واحـدةٌ . إنـهم يشبهون الجبال ... فالطبيعة تخلق الصغير والكبير منها ، ومنها المهم وغير المهم - تستطيع أن ترى ذلك وتتبينه حيثما ذهبت ، يا سيد كامبا" . 'وعليه ، فأنا واحد من أولئك الصغار غير المهمين' . ضحكت ضحكةً فيها شيءٌ من الدلال والجمال ، وراحت تطيل النظر إليه في أثناء سيره . كان كامبا يمشى مشيةً شبه مهمة ، وينظر فى الاتجاه الآخر ، كما لو كان ملكا يتحدث إليه موظفٌ صغيرٌ فى الوقت الذى كان ذهنه فيه مشغولا بأشياء أخرى كثيرة .

حاولت سلفيا جذب انتباه كامبا فسألته : " من أين أنت ، يا سيد كامبا - أقصد من أى بلد أنت؟' .

'خمِّنى ذلك البلد' .

'انتظر دقيقةً من فضلك .. لابد أن تكون ... أنت تشبه - أحسب أنك من ملاوى ، أو من منطقةٍ قريبةٍ من ذلك البلد . هذا إن لم تكن من تانزانيا' .

'أنا كينى' .

'ياه ؟ أود الذهاب إلى كينيا فى يوم من الأيام . يقولون إن كينيا بلدٌ جميلٌ . والحبشة . يا حسرتاه ، لقد مات الإمبراطور العجوز موتة الكلاب . وبينما كان ينبح ، فإن أولئك الذين كانوا يأخذون موته بعين الاعتبار كان من الممكن أن يموتوا الموتة نفسها . الحياة لغز' .

'هل كان الإمبراطور بطلك ؟' .

'لا' .

'إذن ، من كان بطلك ؟' .

'كوامى ... ذلك الرجل ، ولكنك تعرف أن بلادنا لا تعترف بعظمة رجل من الرجال إلا بعد وفاته ، أى فى الوقت الذى لا يفيد فيه ذلك الاعتراف . والناس يقولون إن الإنسان إذا ما مات قبل أن يقبله شخص آخر ، بالرغم من حبه له ، ورغبته واستعداده لتقبيله ، فذلك يعنى أنه لم يقبل ذلك الشخص فى حياته . وأنا أعنى هنا ، موت ذلك الشخص وليس أنت بطبيعة الحال ...' .

دخلوا الصالة واقتادهم "الجرسون" إلى أماكنهم . كان كامبا جائعا وكانت شهيته مفتوحةً تماما .

أثار الصيف الغبار الجوى فى الهواء مع شىء من الدخان؛ وذلك لعدم هبوط الطائرة النفاثة ذات المحركين بالقرب من أحد الملاعب . وبعد أن تخلصت الطائرة من وزن الرائد والو ، ارتفعت الطائرة مرةً ثانيةً . كان الرائد والو رجلا متينا أصلع الرأس وله وجه لامع . كان ذلك الرجل يبدو مشغولا ، كما كانت تبدو الصرامة على وجهه ، إضافةً إلى أن وجهه لم يكن يوحى بالود والصداقة . ولكن كان هذا هو ظاهر الرجل، وأما باطن ذلك الرجل فكان مختلفا تماما ، فهو «حَبُّوبٌ» ، ومتفائل وعلى قدر كبير من المرح ، وقد جاء بمفرده للقاء كامبا كى يلقنه بعض المعلومات الخاصة بمحطته التالية .

تصافح الرجلان وتحاضنا ونظر كلا منهما فى عين الآخر وتحاضنا تحاضنا مفعما بالعاطفة والانفعال للمرة الثانية ؛ تحاضنا كما لو كانا أخوين فرقت الحرب بينهما والتقيا مرةً ثانيةً بعد سنوات طويلة من الانتظار ، وبعد قتل البشر ، ومشاهدة جثث الموتى فى ميدان القتال .

أطال بنى كامبا النظر إلى الرائد والو، وهو يبدو عليه الحزن ، ثم ضغط على كتف الرائد والو وقال : 'أنا آسف لأنك لم تستعيد ابنتك الحبيبة بعد ، أو سمعت شيئا عنها فى أضعف الأحوال . آمل أن تصلك بعض الأخبار وأن تسمع شيئا إيجابيا عن ابنتك . أنا لا أعتقد أنها حدث لها ما لا تحمد عقباه' .

رفع الرائد والو كتفيه ثم أنزلهما . ومن ينظر إليه يرى الحزن مرتسما على وجهه .

وقفت سلفيا تراقب الرجلين كما لو كانت أم لابنين فرقت الحرب بينهما . واقع الأمر أنه كانت هناك حرب بالفعل . فهذا هو الرائد والو لم يستعد بعد ابنته ، وهذا – بحد ذاته – حظٌ عاثرٌ .

بعد ذلك ، وعندما لم تكن سلفيا بصحبته ، كان الرائد والو يلقن بنى كامبا المعلومات المطلوبة . قال الرائد : 'كل شيءٍ على ما يرام . المعدات كلها موجودةٌ هناك ، وجرى اختبارها تماماً، وهى فى انتظارك . ستصل الطائرة عند الساعة الثالثة . سوف توصلك الطائرة إلى ذلك

الموقع ، ثم أشار إلى الخريطة ، وفوق هذا النهر ، وسوف تسقط من الطائرة بقاربك ، ثم تبدأ بعد ذلك الإبحار فى اتجاه مصب النهر ، طبقا لما هو محدد هنا' . ثم عرض على بنى كامبا كتابا من خمس صفحات يحتوى على التعليمات المطبوعة التى يتعين عليه دراستها قبل الرحيل . انتهى الرائد من مهمته ، ثم جلس على نحوٍ من الوقار وأشعل غليونة . وهو راضٍ عن المعلومات التى قدمها للعقيد بنى كامبا . كان بنى كامبا يحصل على كل شىء على وجه السرعة فى جميع الأحوال . كان له عقل يشبه قطعة الإسفنج التى تمتص كل شىءٍ امتصاصا تاما وفى سهولةٍ ويسرٍ .

لوح كل من كامبا وسلفيا بيديهما، عندما كانا يودعان الرائد والو، وهو يركب الطائرة ، التى أخافت وبعثرت الحيوانات القريبة منهما - الحمر الوحشية ، والحيوانات المتوحشة ، وطيور الماء ، ودار وحيدا القرن اللذان كانا على الجانب الآخر حول نفسيهما ، بعد أن أصيبا بالارتباك جراء ما يحدث من حولهما . وهنا أدار السائق محرك الحافلة كومبى Combi وأبعد كلا من كامبا وسلفيا عن الرصيف الجوى . كانا يودان القيام بجولة فى حديقة الحيوان المفتوحة لرؤية ومشاهدة المزيد من الحيوانات . وفى بعض الأماكن ، عن بعدٍ ، يشاهد الرائى سحبا من التراب و الغبار تنبعث فى أثر الحافلات التى تحمل السائحين الذين يتجولون فى الحديقة . هذه واحدة من حدائق الحيوان الجميلة المكشوفة والمفتوحة أيضا ، بل هى الحديقة المفضلة عند السائحين .

علّق بنى كامبا وهو ينظر إلى التلال البعيدة : 'مكان خرافى' . فى مكان كهذا يشعر الإنسان كما لو كان البلد كله لا شىء سوى حديقة من حدائق الحيوان المفتوحة . العثور هنا على مدينةٍ أو منطقةٍ سكنيةٍ فى أثناء التجول يشبه العثور على واحةٍ فى أثناء السير فى الصحراء .

تنهدت سلفيا ، 'أنا على يقينٍ من أننا لن نلتقى مرةً ثانيةً' .

'كيف عرفت ذلك ؟' .

'سترحل عن هنا خلال ساعات قلائل ، وأنت على يقينٍ من أنك لن تجىء إلى هنا مرةً ثانيةً . وإذا ما حدث وجئت إلى هنا ، فسوت تلتقى إنسانة أخرى ولن تلقانى أنا .. " .

فكر بنى كامبا لحظةً فى تلك العبارة وفى مضامينها . 'ترى ، هل تقدم نفسها لى ؟ ' . تعجب كامبا ، 'قبل أن أغادر المكان ؟ أو إن هذه مجرد محاولة منها للحفاظ على حيوية الحوار والمحادثة ؟' .

المرأة تختفى وتختفى وراء قناعات كثيرة .

قال لها : 'الجبال وحدها هى التى لا تلتقى ، وذلك حسب المثل الدائر' . ثم نظر إلى فيل وهو يضع شيئا من تربة النمل على ظهره . كان ذلك الحيوان يبدو أحمر اللون مثل التراب الأحمر الناتج عن حفر النمل .

قالت وهى تكشر عن أنيابها : 'بيتى يبعد عن هنا سبعين ميلا . فى المرة القادمة ، إن جئت إلى هنا ، سأسعد بلقياك ، هذا يعنى أنى سوف

أدعوك للذهاب معى إلى منزلى . هل تود الحصول على عنوانى الدائم ؟'.
قالت ذلك وهى تبتسم .

'هذا شئٌ طبيعى !' ، ثم أخرج من جيبه نوتة ملاحظات (مفكرة) وراح يبحث بين صفحاتها عن مكان شاغر . 'هذه صفحةٌ خاليةٌ' . قالها وهو ينظر فى عينى سلفيا . راح يتأمل حركات حاجبيها وهو يكتب العنوان ، كما راح ينظر أيضا إلى رقبتها وشفتيها . إنها أمر ميسور وممكن من نواحى كثيرة . دار بخلده : 'هذا هو النحو الذى ينتحينه فى البداية . أنت تلتقيهن - يقصد النساء - وهن يلتصقن بك . مثل الأعشاب النادرة ، ويطرن بحثا عن الأرض المناسبة ، وعندما يجدنها ، يبدأن فى النمو فيها' .

بدأت محركات الطائرة العمودية فى الدوران والهدير ثم أخذت ترتفع برفق عن الأرض ، وراحت أنصال مروحتها تدير الهواء على شكل إعصار كان يطوى الأعشاب ، محولا لونها إلى اللون الرمادى ، ثم اللون الفضى ، وأخيراً اللون الأبيض . واكتسح الهواء الناتج عن الطائرة كل ما كان حولها بما فى ذلك صراصير الحقول . أمسكت سلفيا تنورتها بين وركيها مخافة أن تتطاير فى إثر الطائرة الهليوكوبتر . أمسكت تنورتها بأحدى يديها ، فى حين كان وجهها الجميل ممتعضا فى مواجهه الريح ، وهى تلوح بيدها الأخرى مودعة بنى كامبا . كانت تحس كما لو أن شيئا ضاع منها ...

شاهدها كامبا وهى تسقط إلى الخلف كما لو كانت الأرض الواقفة عليها كانت تتحرك من تحتها وتبعدها عنه . وبدأ حجمها يتناقص شيئا فشيئا إلى أن أصبح مثل حجم النملة ، ثم اختفت بعد ذلك واستوت بالأرض ، وبكل شىء .

تمتم بينه وبين نفسه ولم يعرف لذلك سببا : 'سلفيا' . وبالرغم من ذلك ، فهم كل شىء ، وأومأ لنفسه ، المرأة خلقت لتجعل الرجل يستشعر شيئا . مهمتها لمس الرجل ، بشكل من الأشكال . وفى موضع من المواضع' .

وبعد أن طار مدة عشرين دقيقة ، نزل كامبا فى القارب وعلق نفسه بالأحزمة الموجودة فيه ، وذكروه بأحزمة أمان سمبينو . كانت تلك أول مرةٍ يستعمل كامبا تلك المعدات التى صممت خصيصا لهذه المهمة .

خصصت لرقم ٠٠٩ .

وجد فى القارب متسعا للجلوس ، وأراح نفسه داخله . فكر بصوتٍ عالٍ : 'لابد أن ذلك كلفهم الكثير' .

وأومأ الطيار المعاون قائلا : 'أنا أيضا أعتقد أن ذلك كلفهم الكثير' .

أثار كامبا عاصفةً من الضحك 'سيكون هذا القارب أفضل إذا ما كانت فيه امرأة' .

تذكر الطيار سلفيا ، 'تلك الفتاة الجميلة التى التقيتها أنت' .

'أعتقد ذلك ....' . كان ذهن كامبا مشغولا بأشياء أخرى .

انفجر الطيار ضاحكا ، 'هل أنت تعتقد ذلك فقط ؟ لقد تركت جزءا مني معها !' . ضحك الطيار مرةً ثانيةً . واقع الأمر أن الطيار ضحك بصوتٍ عالٍ إلى حد أن كامبا بدأ يعجب للسبب الذى جعل الطيار يضحك على ذلك النحو وبهذه الطريقة ؛ لأن الأمر لم يكن فيه ما يدعو إلى التفكه أو الضحك ، اللهم إلا إذا كان الطيار يفعل ذلك من باب السخرية والتهكم .

قال الطيار : 'لقد شاهدت تلك النظرة على وجه امرأة كنت أحبها ذات يوم . وعندما حاولت عاقدا العزم على إبعادها عن مسار حياتى ، وقفت تنظر إلىَّ ، وكان كل عضو فيها يرجونى ويطلب منى البقاء . لا ، أغلقت عيناى وقلت لنفسى: " يا رجل ، هيا امضى لحال سبيلك ! " لقد كانت مجرد شىءٍ من الفلفل فى حياتى . لقد خلقت جوزة الرجل كى تكسرها المرأة ، والرجل لا يترك أو يفارق امرأةً طيبةً بهذه الطريقة أو على هذا النحو' .

علَّق الطيار : 'المرأة الجميلة يمكن أن تكون مثيرةً جدا .'

قال كامبا : 'الجمال ليس هو السبب' .

سأله الطيار : 'إذن ، ما السبب ؟ ' .

'الجاذبية' .

كانت الطائرة تقترب من الموقع ، وكانت تطير منخفضةً جدا على طول مجرى النهر . كان بنى كامبا مستعدا للهبوط إلى النهر الذى ظهر لهم على شكل خيط ؛ هذا النهر يبدو الآن كبيرا وواسعا ويتسع للطائرة الهليوكوبتر التى تطير حاليا بين ضفتيه . كان النهر محفورا وعميقا فى الغابة الاستوائية ، التى كانت شديدة الاخضرار وفيها أشجارٌ طويلةٌ ، وكان الهواء رطبا وباردا .

بدءا ينزلان كامبا ببطء إلى أن لامس قاربه سطح الماء . وأعطاهما الإشارة بأن كل شىءٍ على ما يرام ، ثم ضغط على الزر ليفصل القارب عن الحبل ، وعاد الحبل إلى الطائرة . أدى رزاز الماء الموجود فوق المرآة العلوية فى القارب إلى عدم وضوح صورة الطائرة إلى حد أن كامبا لم يعرف الموعد الذى انسحبت فيه الطائرة . لم يستطع كامبا سماع أى شىءٍ من العالم الخارجى؛ لأنه كان داخل غرفةٍ لا تسمح بمرور الصوت ، أو حتى فى أضعف الأحوال ، ذلك الصوت الذى يخترق كل الضوضاء الخارجية .

ضغط كامبا زرًّا آخر فسطح القارب نفسه ليصبح على شكل وسادة ويوسِّع المكان . لم يكن القارب مصمما للطفو . كان حوالى ٩٨٪ من القارب على شكل غاطس ، ولم يكن يظهر من القارب على السطح سوى الصندوق الصغير الذى كان يحتوى على الهواء ودائرة التهوية . كان بوسع كامبا إرسال المعلومات واستقبالها من القارب .

جهز الساعة ووضعها على اللوحة أمامه ؛ كى يحسب الساعات التى سيبحر خلالها . وقبل ثلاثة أشهر ، كان هناك قارب مماثل لهذا القارب ، وجرى وضعه فى المكان نفسه لاختيار التوقيت المطلوب ، وكان يحتوى على وزنٍ مساوٍ لوزن بنى كامبا ، وقد استغرق ذلك القارب من الوقت سبع وأربعين ساعةً ، وتسع وعشرين دقيقةً ونصف الدقيقة، لكى يصل إلى الموقع الذى من المفترض أن يصل إليه كامبا فى هذه المرة . كان ذلك داخل منطقة قاعدة شنجولاما .

بعد حوالى ساعتين ونصف الساعة بدأ كامبا يشعر بالتعب ويغالبه النوم . كان يقرأ فى رواية . قد وضعها الآن إلى جانبه . وعلى الفور راح كامبا فى ثباتٍ عميقٍ وقام بعطلةٍ فى أرض الأحلام .

الفصل الثامن

أحصى بنى كامبا الدقائق الأخيرة على الساعة ، فى الوقت الذى كان فيه منفعلا بما سيكتشفه . لقد أبحر المسافة المطلوبة بسلامٍ، وكان كله شوق للعودة إلى البر . ثبت حقيبة ملابسه على ظهره وكان على استعداد لضغط الزر الذى سيقسم القارب بهدوء إلى قسمين ويتركه بعد ذلك يسبح فى المــاء . أما القــارب فسوف يواصل إبحاره فى النهر . لم يتبق سوى عشر ثوان .

هل سيتعين عليه مواجهة التماسيح ؟ كان مهموما؛ لأن ذلك كان واحداً من الأمور التى نسى العلماء أن يحصنونه ضدها ، ولكنه تذكر أن التماسيح لا تعيش فى مياهٍ متحركةٍ ، وأنه استطاع عن طريق عداد السرعة فى القارب ، تبين أن الماء كان يتحرك حركةً سريعةً . قرر: 'لو قدر أن تكون هناك تماسيح فلا يحتم علىَّ التعامل معها '. باقى خمس ثوان .

نظر إلى ساعته . الساعة الرابعة وست عشرة دقيقة . لقد ثبت بالفعل الصواريخ الدفاعية ، التى يصل طولها إلى طول إصبع واحد من أصابع اليد ، نصب هذه الصواريخ فوق يديه .

ضغط الزر الأحمر وسمع صوت صراخ المعدة وهى تنقسم . أحس ببرودة التيار المائى على جسده، وبدأ يسبح فى اتجاه الشاطئ .

كانت هناك امرأةٌ صغيرة السن «تبلبط» فى الماء على جانب من جوانب النهر . كانت تلك المرأة تتعلم السباحة . كان معها ثلاثة أطفالٍ ولدان وابنةٌ واحدةٌ يتراوح عمرهم بين الثامنة والعاشرة ، هؤلاء الأطفال كانوا يغسلون زيهم المدرسى ، ويتكلمون بصوتٍ عالٍ يغطى على الصوت الناتج عن شلال الماء الذى يوجد على بعد مسافة مائة يارد ة فى اتجاه أعالى النهر . هذه المرأة ، كانت هى المرأة نفسها ، التى أصابتها رؤيتها لكامبا بالرعب وهو على بعد أقدام قليلة منها . صرخت تلك المرأة وقفزت من الماء كما لو كانت سمكةً طائرةً ، ثم راحت تجرى بأقصى سرعة ممكنة ، وهى تصرخ . هذا الرعب جعل الأطفال يهربون فى اتجاهاتٍ مختلفةٍ . كلهم ، تركوا ملابسهم وراءهم . كما نسيت المرأة الشابة ملابسها وراءها أيضا .

صاح كامبا قائلا : 'أنا رجل طيب ! أنا لا أهاجم أحداً !'. وقف كامبا إلى جوار الملابس ، والماء يتساقط من جسده . ولزمت المرأة الصمت وأدارت رأسها إلى كتفها ، ووقفت ساكنةً بلا حراك كما لو كانت وعلة تستمع إلى نذير صوتى ، وتوقفت الأطفال أيضا .

كرر كامبا : 'أنا لا أوذى أحداً '. ولكن هذا الكلام لم يجعل المرأة تتحرك . وسرعان ما اكتشفت المرأة أنها عاريةً تماما . واندفعت المرأة

وراحت تستر ردفيها اللامعين ، كما سترت جسدها أيضا خلف دغلٍ من الأدغال . وراحت تنظر إليه من مكانٍ بعيدٍ .

قال كامبا متوسلا : 'لن أوذيك ، تعالِ '. لم تجب المرأة . ووقفت مكانها ، وكانت ضربات قلبها قد تزايدت . وفجأة اجتاحت موجة عقلي الصبيين ، وراحا يجريان هربا ، كما لو كانا خنزيرين بريين .

قال كامبا : 'إذا لم تأتِ فسوف آخذ ملابسك . أنا مجرد رجل ، وأنا كنت أسبح فى النهر لأنى كنت أريد الوصول إلى هذه المنطقة ، ولكنى بحاجةٍ إلى مساعدتك ، أرجوك '.

قالت المرأة : 'من أنت ؟'.

'أنا لست واحدا من أولئك الذين تعرفينهم ، يا سيدتى . أنا من منطقة أخرى '.

'من يمى Yeme'. كان كامبا يعرف مناطق البلد .

تلت ذلك فترة صمتٍ راحت البنت تزن كلامها خلالها . وكان كامبا ، فى ذات الوقت قد فتح حقيبة ملابسه وراح يبدل ملابسه . وخلع رداء الاستحمام على مرأى ومسمع من المرأة . ارتدى قميصا أزرق اللون ، وبنطلون «جينز» .

طلبت المرأة منه: 'ابتعد عن ملابسى '.

قال : "تعالِ إلى هنا ، لا تخافى". ثم راح يبتعد قليلا عن ملابسها . قطعت تلك المرأة غصنا من أغصان إحدى الأشجار وكانت أوراقه عريضة . ثم غطت مناعمها بذلك الغصن ، ولم تعر ثدييها البضين اهتماما ، ثم بدأت تمشى فى اتجاه ملابسها .

وبعد أن انتهت الشابة من ارتداء ملابسها وبدأت تمشى فى اتجاه كامبا ، خرج من الدغل ثلاثة رجالٍ ، وكان ذلك الدغل يبعد حوالى خمسين ياردة ، وراحوا ينتشرون على الفور كما لو كانوا محاربين عظام . كان واحد من هؤلاء الثلاثة يضع بالفعل سهما فى قوسه . أما الرجلان الآخران فكان كل واحد منهما يحمل عصا غليظة يستخدمها سلاحا يدافع به عن نفسه . الواضح أن الولدين كانا قد عادا إلى منزلهما وأبلغا أن شخصا ما كان يهاجم المرأة الشابة . اختفت البنت الصغيرة ، ودهش الرجال الثلاثة عندما وجدوا كامبا يتحدث مع المرأة حديثا عاديا . استرخى الرجال الثلاثة ومشوا للقاء كامبا .

جلسوا فى وكر طينى مظلم ، وراحوا يأكلون فى صمت . كان لون بشرة هؤلاء الرجال ، التى لها سمرة حبوب البن تلمع فى الظلام بفعل الضوء الخافت الصادر عن النار التى كانت تضىء ما حولها إضاءةً ضعيفة ، فضلا عن كشفها أيضا لجزءٍ آخرٍ داخل ذلك الوكر ، كان ذلك الجزء عبارةً عن أكتافٍ عاريةٍ لنساءٍ أخريات، أو يد كانت تمتد نحو الطبق لتناول المزيد من الطعام . فمان أو ثلاثة أفواه كانت تبدو ،

أثـناء تـناول الطعـام ، كـمـا لـو كـانت الألسنة تلوك الطعـام فـى هـون كبـير . كان واحد من الرجال يحس صعوبةً فى التنفس؛ لأنه كان مـصابا بالبرد .

كشر بنى كامبا عن وجهه وضاقت المسافة بين حاجبيه ، لتمنع الدخان من الدخول فى عينيه ، ومنهما إلى المخ . يا لهذا الدخان ! يبدو أن كامبا هو الوحيد الذى يضايقه الدخان ؛ كل الآخرين كانت أعينهم تتلألأ وشديدة البياض ، وكان ذلك البياض يماثل بياض أسنان أولئك الذين كانوا يضحكون أو يتثاءبون . هذا الوكر كان له سقفٌ من القش وكان الوكر مقسما إلى غرفتين : المطبخ وغرفة النوم ، وكلاهما صغيرٌ جدا . كان فى المطبخ - الذى كان فى الوقت نفسه غرفة معيشة - عددٌ كـبـيـرٌ من الناس . كـان من بين هـؤلاء الناس تلك المرأة الشـابة التى وجدها كـامبا عند النهر ، كما كـان هناك أيضـا رجل وزوجـته ، وثلاثة أطفال ، وثلاثٌ من الماعز ونعجةٌ واحدة ، ثم بعد ذلك بنى كامبا و ... نعم ، ثلاثة فراريج : ديك ودجاجتين ، كان لواحدة من هاتين الدجاجتين أربعة عشر «صوصًا» كانوا جالسين تحت جناحيها . كان «صوص» من تلك «الصيصان» يهمس عندما يرتفع جناح أمه ، أو عندما كانت البراغيث تتجمع على الأجزاء العارية من رأسه طلبا للطعام .

جفف كامبا الدموع الناتجة عن الدخان ونظف أنفه . كان طعام ذلك اليوم طيبا ، ولكن ذلك الطعام حصلوا عليه من باب الحظ السيئ . واقع الأمر ، أن ذلك الذى كانوا يأكلونه كان من فضلات أحد الأسود ،

بقايا البقرة الوحيدة، التى حصلت عليها أسرة ذلك الأسد . كان الأسد قد خرج أثناء الليل من مكانٍ لا يعرفه أحد ، ثم قتل تلك البقرة . لم يستطع الأسد الإتيان على فريسته كلها ، ولذلك ذهب لحال سبيله بعد الشبع . لابد أن ذلك الأسد جاء من حديقةٍ من حدائق الحيوان المفتوحة القريبة من هنا . ولكن من النادر جدا أن يغادر أسد من الأسود حديقة الحيوان المفتوحة ويذهب لمهاجمة الماشية . هذا الأسد لابد أن يكون واحداً من تلك الأسود المتقدمة فى السن ، التى لم تعد تقوى على اصطياد الوعل .

كسر الرجل الصمت ، 'أنا لا أظن أن الأسد قطع مسافةً كبيرةً '، مما أخاف الأطفال . كان اسم ذلك الرجل مايرو Maero . مايرو هذا كان رجلا طويلا بارز العظام . كل شيءٍ فى هذا الرجل كان ينتهى نهاية حادةً - الكوعين ، والفكين ، يبدو أن المصاعب صقلت ذلك الرجل . ماكينة فم ذلك الرجل كانت تتحرك بشدةٍ وبقوةٍ سواء أكان يتكلم أم يأكل . استدار ذلك الرجل إلى جانب من الجوانب وأمسك أنفه بين إبهامه وسبابته وزمَّر زمرةً عنيفةً .

قالت زوجته وهى تندب حظها: 'بقرتى الوحيدة ' . اسم هذه الزوجة رومبيسا Rombesa؛ كانت تلك الزوجة حاملا . اثنان من الأطفال كانا ولديها . كانت صحتهما جيدة . واقع الأمر أن الباقين ، بما فى ذلك الماعز ، كانوا جميعا يبدون بصحةٍ جيدةٍ ، كما لو كانوا بعوضاً امتص دماء مايرو Maero وتركوه حطاما بعد ذلك .

جاء دور المرأة الشابة ، فقالت : 'لا أدرى إن كان سيغالبنى النوم اليوم أم لا '.

فهم ماييرو ما تقول وتساءل : 'أكل هذا بسبب الأسد ؟'.

'نعم . أنا مازلت أسمع زئيره يتردد فى جنبات عقلى '.

'ما عليك من هذا الموضوع . ليس هناك ما يمكن أن يقتله الأسد حاليا '.

قال أحد الابنين مهموما : 'هناك الماعز !'.

قال الابن الأصغر وهو خائف : 'هل يمكن للأسد أن يفتح الباب ويجىء إلى هنا ؟'.

'لا ، يا ولدى . الأسود لا تفعل ذلك ' .

جلس الابن الأصغر إلى جوار النار ليزيد من اشتعال النار التى أوشكت على الانطفاء . كان منفاخا وجنتيه يقومان بمحاولات متتالية خيبت آماله فى النهاية ، وتوقف الولد عن النفخ ، وهو يحس بالدوار .

طلب ماييرو من الابن الأكبر تقديم يد العون فى زيادة اشتعال النار ، وقال سنتى **Senti** ، مناديًا باسم ابنه.

قام سنتى **Senti** بزيادة اشتعال النار بمحاولةٍ صغيرةٍ منه . وراحت أوجه الجميع تتهلل من جديد .

راح بنى كامبا يتأمل ملامح المرأة الشابة . كانوا يعيشون، أو إن شئت قلت يبقون على قيد الحياة بالرغم من الفقر ، وبالرغم من بؤس مستوى معيشتهم ، وبالرغم من كل ذلك كانت المرأة جميلة . الجمال لا يأتى مع الطعام الذى نأكله إنما هو يأتى معنا عندما نجىء إلى هذا الوجود . لو أن هذه المرأة ترتدى ملابس طيبة ، حسبما كان يدور فى ذهن كامبا ، لتفوقت على الكثير من النساء من حيث الجمال والملامح الحلوة . لقد وقع فى حبها بسبب ابتساماتها وبسبب صوتها ، بخاصةٍ فى فترة الغروب ، عندما كانت تغنى خلف الجرن ، كان كامبا على يقينٍ أنها كانت تبول فى ذلك الوقت .

ضحك ساخراً مما يدور فى ذهنه وقال : 'هل تغنى عندما تبول ؟'.

كان اسمها ساساسيا Sasasea . من ذا الذى يستطيع نسيان هذا الاسم ؟ حكت لبنى كامبا قصةً من قصص الحظ العاثر التى حدثت لزوجها المدعو بابينا Papena اليوم . قد يكون بابينا حيا أو ميتا ، لا أحد يعرف الرد الحقيقى على ذلك . حدثت قبل ثلاث سنوات عملية تمشيطٍ عسكريةٍ فى كل أنحاء البلاد . كان الرئيس قد أصدر أمراً إلى العسكريين للقبض على كل الثوار والمتمردين حتى يمكن استعادة النظام والسلام . وكان بابينا قد ألقى القبض عليه بالقرب من منزله أثناء الليل .

استطردت ساساسيا Sasaea فى الحديث : 'سمعنا طرقة على الباب بعدها انفتح عنوة ، ورأينا رجالا يلبسون الزى الرسمى واقفين

حولنا . لا ، نحن لم نشاهد سوى الشعلات فقط . أمسكوا بزوجى واقتادوه إلى الخارج . ثم سمعت صراخ زوجى خارج المنزل ، وكنت قد سمعت صوت الضرب قبل الصراخ . ثم انقطع صوت زوجى بعد ذلك . 'هل قتلوه؟'. سألت ساساسيا بنى كامبا كما لو كان موجوداً معهم هناك . واستطردت تقول: 'أم أنهم ضربوه حتى الموت ، وتركوه لتلتهمه الضباع أثناء الليل ؟ لماذا ضربوه ؟ ربما كان يحاول الاحتجاج ، أنا لا أعرف السبب'. هزت كتفيها ثم تنهدت . 'نحن نظن أن هؤلاء الناس يمكن أن يكونوا محتجزين أو ميتين' .

منذ ذلك الحين ، وساساسيا تعيش مع مايرو .

قال مايرو لكامبا الذى كان يسأل عن بابينا : 'عندما خلت الغابة من حيوانات الصيد ... عندما انقرضت الحيوانات ، لم يكن أمام الجنود شيئا يمكن أن يفتحوا عليه نيرانهم . وهنا حولوا نيران بنادقهم إلى الناس' .

'هل يحب الشعب الرئيس ؟' .

أجاب مايرو: 'هل يمكن لنا أن نحب الموت أو نكرهه ؟ لو أن جثث الناس الذين قتلهم الرئيس وضعت إلى جوار بعضها فى مكانٍ واحدٍ ، لكونت تلك الجثث جبلا صغيرا . أنت تعلم ... نحن لا نفكر هنا فى الموت . نحن نفكر فى حياتنا اليومية . الإنسان يعرف كيف يقتل ، ونحن نحمد الله أنه لا يفكر فى تعذيب الناس، وإنما هو يؤمن بقتل هؤلاء الناس' .

'لماذا يفعل ذلك ؟'.

'هل لديه أعداء كثيرون ؟'.

واقع الأمر ، أن بني كامبا لم يكن بحاجةٍ إلى طرح هذا السؤال . وهو يعرف الكثير جدا عن الرئيس . هذا هو الرئيس الذى تحدث عنه الأمن فى مؤسسة نيزا الاستخباراتية ، الرئيس الذى جعل من بلده قاعدةً عسكريةً لشنجولاما Chenqolama ، ولكن الشعب كان يتعجب ما إذا كان الرئيس يعرف حقيقة الشنجولاما . كان بنى كامبا يطرح هذه الأسئلة لتأكيد أشياءٍ محددةٍ ، وليجعل مابيرو يحس بالاطمئنان وهو معه .

تمتع الرئيس بقوة المساعدة العسكرية التى تدفقت بين يديه قادمةً من أولئك الذين يقفون وراء قاعدة شنجولاما . من هنا ، كان ينام على الذهب ويسير عليه أيضا . وازداد الأمر شيئا فشيئا ، وأصبح الرئيس يتسلح بالمستشارين الأجانب ، وعندما زار البلاد الواهبة ، حظيت زيارته بالإعلان على نطاقٍ واسعٍ وبدرجاتٍ مشرفةٍ . وأودعت فى حسابه المصرفى الشخصى مبالغ طائلة .

قال مابيرو : 'الكلب عندما يشبع ينبح جيداً ، ويحارب مخلصا من أجل سيده' .

كان الرئيس "نون" يحكم بالحديد والنار ، ولكنه مؤخرا ، وبعد فوات الأوان بدأ يحس بعدم الأمان فى أيدى أولئك الواهبين الكبار . وماذا

يمكن أن يفعل حتى عندما يكتشف أنه فى خطر ؟ لقد تجاوز نقطة اللاعودة . وهو إذا ما ابتعد عن أولئك الواهبين العمالقة ، فقد يدمروه ويحطموه . ولكنه أيضا ، إذا ما استمر على ما هو فيه ، عقب تحقيقهم لما يريدونه ، أو حتى عندما يعرفون أنه أصبح يعرف الكثير عنهم ، فإنهم قد يبادروا إلى تدميره عند هذا الحد . ترى ماذا يمكن أن يفعل ؟

قال مايرو لكامبا : 'خيوط العنكبوتية فى كل مكان' . كان كامبا يعرف ذلك حق المعرفة . لقد كان فى بلدٍ خطيرٍ ، ففى كل مكان ، وفى أى زمان حياته مهددةٌ بالخطر . كل ما يحتاجه هو مجرد رصاصة واحدة يقتله بها ، وهذه الرصاصة بحد ذاتها يمكن أن تكون قنبلةً فى قلب مؤسسة نيزا الاستخباراتية .

عندما التقى بساساسيا فى مساء ذلك اليوم ، كان الرجال الثلاثة الذين هبوا لإنقاذها ، قد درسوه واستجوبوه تماما . وبالرغم من ذلك ، لم يذهبوا معه إلى شأوٍ بعيدٍ فى ذلك الاستجواب . ولكنهم عندما شعروا حياله بالأمان ، ذهب الرجلان لحال سبيلهما ، وتركا بنى كامبا مع كل من ساساسيا ومايرو ، ذلك الرجل الحظيظ ، عندما جاء الجنود لإلقاء القبض على بابينا ، كان خارج منزله فى الحقل يتغوَّط . وكان ذلك ، سبب عدم إمساك الجنود به ، ولم يفلحوا أيضا فى الإمساك بساساسيا **Sasaea** .

'أنا جيولوجى ، واسمى الدكتور بنى كامبا' ، هو ما قاله كامبا للرجال الثلاثة وقدم لهم سلسلةً من الأحجار القيمة . انتقى واحداً من تلك الأحجار وقال : 'من أجل هذا الحجر ، هذه النوعية بالذات ، جئت إلى هذه المنطقة . هذا الحجر غالى الثمن فى أوروبا' .

انشرح صدر مايبرو لإكرام وفادة بنى كامبا . وطوال حياة مايبرو ، لم ينزل عنده ضيفٌ عالمٌ من علماء ، رجل صاحب علم . على حد تعبيره . وعليه ، وأثناء تناولهم للبقايا التى خلفها الأسد وراءه ، كان آل مايبرو ينتقون كلامهم بعنايةٍ كى يؤثروا على الدكتور بنى كامبا . لم يتكلموا كثيرا لأنهم لم يكونوا متيقنين من ذلك الذى يمكن أن يروق له ، وذلك الذى يمكن أن يفسد عليه فكره . لقد أثر فيهم عندما راح يأكل معهم مثلما كانوا يأكلون ، ولم يهمه أو يتأثر بمعيشتهم مع الحيوانات فى منزلٍ واحدٍ .

عندما بدءوا يلتمسون الأعذار قال : 'لقد نشأت فى مستوى معيشى مماثل ، ومع ذلك استطعت أن أرتفع فى العالم الأكاديمى . الزهور الطيبة تنمو بين الصخور . أبناؤكم الفرص مهيأة أمامهم مثل سائر الخلق ويمكنهم الارتقاء فى سلم هذه الحياة' .

صحيحٌ أن بنى كامبا نشأ وتربى فى مستوى معيشى مماثل . القرع العسلى الذى كانت أمه تزرعه وتبيعه ... فى المدرسة ، كان زملاؤه يضايقونه دوما عندما يقولون له إنه ربما يكون قد نشأ من ذلك القرع الذى كانت أمه تزرعه !

وسع مايبرو كرمه وأخبر بنى كامبا أن بوسعه البقاء معهم كما يشاء . ولم يصدق مايبرو فى اليوم التالى عندما أعطاه كامبا ثلاثمائة شلن لشراء ما يريد أن يشتريه لعائلته . هل تدرى ماذا دار بخلدهم ؟ بقرةٌ أخرى ، غير البقرة التى أكلها الأسد .



الفصل التاسع

اكتشف بنى كامبا أن الطريق الوحيد المؤدى إلى قاعدة شنجولاما به ألف سدادةٍ وسدادةٍ من سدادات الطرق ، كما اكتشف أيضا استحالة تجاوزه لتلك السدادات باستخدام شخصيةٍ من الشخصيات المختلفة التى ينتحلها . ذلك أن الشباب الذين كانوا يتولون أمر تلك السدادات هم أنفسهم سدادات ، على حد قول الناس .

كما أبلغه مايبرو ، أنه إذا ما حاول السير خلال الغابة فإن ذلك يمكن أن يجعل منه فريسةً سهلةً للحيوانات البرية : الجاموس البرى ، وحيد القرن ، والثعابين ، والفهود وهذا مجرد غيض من غيض . يضاف إلى ذلك ، أن كامبا سوف يتعين عليه عبور نهرٍ آخر ، وهذا النهر يسميه الناس ، نهر التماسيح ، ويصل اتساعه إلى حوالى خمسمائة ياردة .

وعليه ، عاش بنى كامبا ، قرابة أسبوع بالقرب من عائلة مايبرو ، وهو حائر لا يعرف ماذا يفعل . كان بنى كامبا قد سبق له أن أمضى بضعة أيام فى مدينة تندو محاولا تعلم أى شىءٍ يمكن أن يفيده أو يعينه

على المضى قدما فيما هو مكلف به . فى اليوم الرابع أفلح اثنان من ممثلى مؤسسة نيزا الاستخباراتية – وهما رجل وامرأة – فى العثور على بنى كامبا . أما هو نفسه فقد فشل فى الوصول إليهما بسبب عطلٍ أو خطإٍ طرأ على آلة الاتصال التى بحوزته . وفى خلال ثلاثة أيام سيكون هناك احتفال وطنى فى العاصمة ؛ ولذلك كان يتعين على كامبا الحصول على بطاقةٍ صحفيةٍ من هذين الشخصين .

عض كامبا إصبعه وهو يقول : 'يتعين علىَّ حضور ذلك الاحتفال . قد يوحى لى ذلك الاحتفال بفكرةٍ فى تحركاتى القادمة' .

كان الزوج والزوجة قد تأثرا تماما ببنى كامبا الذى لم يسبق لهما أن التقيا به من قبل . كان ذلك الزوج والزوجة قد عينا قبل أن يلتحق كامبا بمؤسسة نيزا .

قال جمبى Jembe محذرا : 'القانون يقول ، فى مثل هذه الحالة ، بالشك فى التعامل مع أى إنسان' . ثم نظر جمبى إلى زوجته كما لو كان يطلب منها موافقتها على ما قاله .

أردفت تركسى Trixi وهى تبتسم لكامبا : 'احترس ، وخذ حذرك' .

كانت ساساسيا آخر الذين صافحوا بنى كامبا . كانت الساعة العاشرة مساءً، وكان كامبا قد عقد العزم على التحرك إلى المدينة ، التى تبعد عن هذا المكان سبعة عشر ميلا. كان مايبرو مفيدا للغاية مع كامبا ؛ فقد سبق لهما أن تناقشا سويًا فى السياسة .

عند مـرحلة من المراحــل ، نظر مايـيـرو فى عــين كـامـبـا وسـألـه :
'هل أنت بحاجةٍ إلى امرأةٍ ، خبرنى' .

رد عليه كامبا قائلا : " شكرا' ، وهو يتعجب ما إذا كان مايـيـرو ينوى إعطائه ساساسيا . هذا الأمر غير ممكن ، نظرا لأن الواقع هنا يقول : إن ساساسيا هى زوجة مايـيـرو الثانية ، أو إنه يتعين عليه ، فى أضعف الأحوال ، أن يلبى احتياجاتها طوال فترة الانتظار ... ولكن مايـيـرو لا يمكن أن يلمح إلى شىءٍ من هذا القبيل ... أو أنه قد نسى خلافاتهما ، ولعل هذا هو السبب الذى جعل كامبا ينظر إلى الأمر كما لو كان نكتةً ، أو قد يكون مايـيـرو قد تكلم وهو تحت تأثير المسكر الذى تجرعه فى معدته منذ لحظة .

كانت قبضة ساساسيا قد أمسكت يد كامبا بشدةٍ بينما كان جسدها البض الصغير يهتز وهى تودعه ، فقد ثبت رأسها فى جانب واحد . وحملقت فى وجه كامبا ابتسمت ابتسامة تحولت إلى تكشيرةٍ خفيفةٍ . ومع ذلك ، كان كامبا قد تبين الألم الذى ينتابها . لم يكن ذلك الألم ألم فراق ؛ وإنما هو ألم مختلف ، نظرات يتيمة . وعندما نظر إلى وجهها ، استطاع تبين الأمور تماما ...

تركت يد كامبا يد ساساسيا . كان يعلم أن مايـيـرو وكل الموجودين كانوا يراقبون وجهه وينظرون إليه ، وكانت حرارة النهار قد بدأت تتزايد. كان الهواء محملاً برائحة روث الأبقار والماعز . كانت طيور الزيزان

تملأ الأشجار صخبا وضجيجا . كانت الطيور قد هجعت عائدةً إلى أعشاشها . اللهم باستثناء قلة قليلة من هذه الطيور . كانت هناك وهناك ، كان البعض من تلك الطيور ينادى قائلا: 'فرانسس! فرانسس !' ، ومع ذلك كان هناك بعض آخر يقول : 'فرانسسكا !' كانت شقيقة ساساسيا ، التى كانت تكنس الممر الأحمر المؤدى إلى خارج المنزل ، الأمر الذى أسفر عن إثارة الغبار الذى استغرق وقتا طويلا كى يستقر ويهدأ من جديد ، قد جاءت وفى يدها المكنسة لتصافح كامبا . سألته : 'لماذا أنت مسافر ؟' .

لم يكن كامبا يتوقع منها سؤالا فرد عليها : 'أنا مسافر للعمل' . ووضع يده فى جيبه وأعطاها بعض العملات المعدنية التى كادت تقتلها فرحاً .

سألته : 'هل ستعود إلى هنا مرةً ثانيةً ؟' .

'إذا أراد الله' . قالها كامبا وهو ينظر إلى آثار أقدمها على الأرض الحمراء . كان كامبا يشعر بالقلق نظراً لأنه كان الشخص الوحيد الذى يلبس حذاءً .

مد الديك رجليه ، وصفق بجناحيه بقوة فوق جسده ومد عنقه سعيا إلى أفضل الأوضاع؛ لكى يعلن عن الوقت بأعلى صوت ممكن حتى يسمعه الجميع. هذا الصياح القوى الذى بذل فيه الديك قصارى جهده ، صبغ عرفه باللون الأحمر القانى . وخبى الصوت ونام ريش عنق الديك

ببطءٍ عائدا إلى مكانه . وكما لو كان ذلك الصياح إشارةً ، لوح كامبا بيده للأسرة وبدأ السير . ولم يقف للتلويح مرةً ثانيةً ، ولم يفعلوا هم ذلك ، ثم اختفى كامبا بعد ذلك فى الأدغال .

كانت مكبرات الصوت فى كل مكان من الميدان الواسع الذى كان الرئيس 'نون' N سيلقى فيه خطابا على الأمة بعد الاحتفالات . كانت الأشجار المحيطة بالشرفة معلق عليها زهور من الورق . وهذه هى أشجار الموز ، جرى قطعها من الحدائق ، وهاهى مبعثرة على طول المسار أو الممر . وفى كل مكان تتجه العين إليه ترى لونا مختلفا . وهذه بقع من أطفال المدارس الذين يرتدون زيا موحداً ، ومجموعات من الراقصات التقليديات ، وهاهم رجال الأمن ينفرون من كل مكان .

وقف بنى كامبا أمام البوابة ، يتصبب عرقا من رأسه حتى قدميه ، خائفا من عدم السماح له بالدخول . كان يحمل فى يده آلة تصوير مستعملة قد أحضرها معه من المدينة . استغرقوا وقتا طويلا فى فحص أوراقه ، ثم خرج واحد منهم وراح يدور حوله ويتفحصه بعناية ، وكأنه لم ير ذلك الرجل من قبل . ثم أخذ يتفحص جواز السفر كما لو كان يحاول تحسسه . أحس كامبا بشىءٍ من القلق ، 'ربما كان واحداً من أولئك الذين لهم حاسةٌ سادسةٌ قويةٌ' . نظر الرجل إلى كامبا مرةً ثانيةً ، كما لو كان قد سمع طنين كلمة المرور، ثم تحول بسرعةٍ إلى كامبا ، 'نعم ، نعم ، تقدم من فضلك ...'، ثم أشار بيده إلى كامبا ليواصل المسير ، كان كامبا قد توقف كما لو كان صحفيا يعمل لحساب صحيفةٍ

أجنبيةٍ . لم تكن البطاقة الصحفية كافيةً فى غياب الأشياء الأخرى التى كان يحملها معه .

وصل الرئيس وهاجت الشرفة كلها وماجت بالهتاف . مرت أربع طائرات عمودية راحت تسقط كرات من الزهور فوق أرض الميدان . هذا هو الرئيس ، ذلك الرجل القصير القامة قوى البنية ، له صلعة تلمع وبطن مستديرة تشبه بطن العنزة ، وقف يلوح بيده تحيةً للجماهير . كانت يده تبرز بوحدات قليلة من نافذة السيارة المرسيدس الأطول من اللازم. وهذا هو حرس السيارة يرتدى زيا أحمر يسير أمام السيارة . وفى الخلف كان الحرس المرافق للسيارة يبعد عنها حوالى سبعين ياردة . كان ذلك أبهى وأكبر حرس ، من هذا القبيل شاهده كامبا فى حياته . كان الأمر يبدو وكأن الرئيس القادم ليس مجرد رئيسا لمجرد جزء من أفريقيا ، وإنما هو رئيس للعالم بأسره !

تقدم الرئيس «نون» ، إلى المقعد المخصص له ، والآلاف المؤلفة تهتف تحيةً له . وهذه زوجته ترتدى لبسا أبيضا وتلبس فى يديها قفازا أبيضا ، وتسير خلفه ، وهى امرأةٌ طويلةٌ ، جميلةٌ بمعنى الكلمة ، تبلغ من العمر واحداً وعشرين عاما . أما زوجها فكان فى أواخر الخمسينيات من عمره . هذه المرأة هى الزوجة الرابعة فى حياة هذا الرئيس . وكل واحدة من تلك الزوجات الأربع كانت لها سيارةٌ مرسيدس طراز ٤٥٠ إس . إى . إل ، ٦,٩ فضلاً عن سيارة جاجوار أيضا .

صاح الرئيس مرددا الشعار : 'كويجيه ! ' Kwejeeeh

صاحت الجماهير الهادرة قائلةً : 'واجيه 'Wajeeeeh

'كويجيه ! ' Kwejeeeh

'إنزيس نزى نجوه ! ' Ngwooh

'بواه ! ' Pwaah

'إنزيس نزى نجوه ، كوى ! '

'بواه ! ' Pwaaah، دوت هذه الصيحة فى كل أنحاء الشرفة .

جلس الرئيس «نون» ، يتهلل فخرا بأنه رئيس الأمة . هذه ومضات الضوء تنبعث من آلات التصوير وهم يجرون أمام الرئيس ليلتقطون صورا لذلك الرجل العظيم . كانت الدنيا كلها ممثلة فى هذا الميدان ولابد للصحافة أن تشهد على ذلك كله . كانت المنطقة التى خلف الرئيس تعج بالبيض ، الذين جاء السواد الأعظم منهم من السفارات . كان هناك أيضا مستشار الرئيس ، والخبراء الفنيون ، ورجال الدعاية ، والمبشرون . كل ما يمكن أن يخطر على البال من هؤلاء البشر كان موجوداً فى ميدان ومكان الاحتفال .

كان أول العروض عبارة عن المحاربين الجويين فى هذا البلد ، اهتزت الأرض عقب تشقق السماء بفعل هدير الطائرات النفاثة التى جاءت على شكل دفعات الواحدة منها مكونة من ثلاث طائرات مكونة

رأس سهم . كانت تلك الطائرات تطير على ارتفاعٍ منخفضٍ فوق رءوس الجماهير ، بسرعةٍ عاليةٍ جدا ، وضوضاء مريعة تسبب اهتزاز الحاضرين من داخلهم . الأمهات الحوامل يندر أن يحضرن احتفالات من هذا القبيل . جاءت الطائرات النفاثة بعد ذلك على شكل تشكيلاتٍ خماسيةٍ ، واستدارت بزاوية تسعين درجةً لتختفى بعد ذلك فى زرقة السماء ، وتنقسم كما لو كانت أصابع من أصابع الأخطبوط عندما تكون مفتوحة أو مفرودة .

بعد العرض الجوى جاء دور العرض الفردى ، حيث جاء طيار بطائرته مقلوبةً رأسا على عقب وهى تمرق عبر السماء ، بحيث كان ظهر الطائرة مواجها للأرض . وبدأت الطائرة فى عمل بعض الحركات البهلوانية ، وراحت تنقض نازلة إلى الأسفل ، وراح الناس يلتقطون أنفاسهم أن الطائرة قد انتهت ، فى حين كانت تمرق من فوق رءوسهم وتكاد تلامس أعراف الشجر ، وهى تنطلق بسرعةٍ أعلى من سرعة الصوت .

بدأ الرئيس يسترخى متمتعا بالراقصات التقليديات، وهن يتغنين بأعلى أصواتهن ذاكرين اسم الرئيس، وتدافعت الراقصات فى كل أنحاء الميدان الذى أغرقنه بغنائهن . هذه الفقرة من العرض كانت هى الفقرة الثانية التى حظيت برضا الرئيس . فقرة الرقص جاءت بعد العرض البرى الذى قدمه الجيش والشرطة . كانت أفضل العروض عند الرئيس هو عرض الطائرات النفاثة المقاتلة ، التى لم تفشل مطلقا فى استثارة

الرئيس . وبينما كانت الراقصات التقليديات يغنين ، كان الرئيس جالسا ، وكان ينفجر ضاحكا ، فى بعض الأحيان ، من بعض المشاهد المضحكة والرقصات الخاصة .

لم يصدق بنى كامبا ما كان يحدث ! كان هناك وجه مألوف ومعروف يجلس بالقرب من الرئيس . من صاحب ذلك الوجه ؟ كان قلبه ينتفض بين جنبيه . شخص ما كان يرتدى زى الجيش ، إنها امرأة .

يا إلهى ـ الآنسة سمبينو !

ترى ، هل رأته ؟ راح يكتم أنفاسه كما لو كان مغمورا تحت الماء . آلمته كل مفاصله ، بدأ يتعرق عرقا غزيرا ، بلله العرق تماما . وضع عينه على آلة التصوير وركزها على وجهها ، ليتأكد من ذلك الذى شاهده . نعم ، لقد كان على حق فيما رأى . كان وجهها يملأ شاشة آلة التصوير . كانت مشغولةً بمشاهدة الراقصات . التقط بضع اللقطات ولكنه وجد الأنسب له أن يغادر ذلك المكان بأقصى سرعةٍ ممكنةٍ . كان هو وبعض الصحفيين الآخرين قريبين جدا من الرئيس ، وأحس أن تلك السيدة القاتلة ، يحتمل أن تكون قد رأته أو شاهدته . لو كان الأمر كذلك ، فهذا يعنى أنه يجب أن يضع نفسه فى عداد الموتى .

خرج مسرعا من الشرفة . رأى أن من الأنسب له نسيان الموضوع والعودة سريعا إلى أسرة مايرو . إذ بوسعه أن يقضى معهم يوما آخرا أو يومين يفكر فيهما فيما يمكن عمله أو التخطيط له .

عند هذه المرحلة قرر كامبا الانفتاح على مايرو ، وبخاصةٍ بعد أن أصبح متأكدا الآن من مشاعر مايرو .

قطع كامبا صمته قائلا : 'مطلوب منى تدمير قاعدة شنجولاما' . كانوا كلهم جالسين تحت شجرةٍ كبيرةٍ من أشجار المانجو . وكان ذلك كلاما سريا للغاية بين الرجلين . يبدو أن العبارة صدمت مايرو صدمة مباغتةً ، لم يتكلم الرجل وجلس صامتا لفترةٍ طويلةٍ ، وراح يحملق فى الفضاء مثل رجل أصم أحس بحشرة تزحف على ظهره ، وأراد أن يعرف ماهية هذه الحشرة قبل أن يقتلها ، كان ذلك بعد انقضاء يوم على الاحتفال الذى حضره كامبا .

'لابد من وصولى إلى القاعدة بصورةٍ أو بأخرى' .

أومأ مايرو برأسه قائلاً : 'نعم' ، ولكنه كان ما يزال شارد الذهن .

'هل تعرف أحداً من سائقى الجيش الذين يعملون فى التنقل ما بين المدينة وقاعدة شنجولاما ؟' .

قال مايرو : 'يؤسفنى أنى لا أعرف أحداً منهم' .

'وماذا عن الصلة - شخص تعرفه يمكن أن يقدم لنا العون ، أو يكون على معرفةٍ بشخص آخر يعمل هناك ؟' .

أشاح برأسه قائلا : 'لا' ، ثم فكر للحظةٍ ، ثم نهض واقفا على قدميه واتجه نحو المنزل . وعندما خرج من المنزل ، كان يتحدث مع

ساساسيا . اصطحبها إلى مكان بعيد عن المنزل وراحا يتكلمان لفترةٍ طويلةٍ . كان كامبا يتمنى ألا يكون مايبرو أفشى لها السر .

أخيرا رجع مايبرو بعد أن ترك ساساسيا ، وراح يمشى فى اتجاه كامبا كما لو كانت عظامه متعبة ومرهقة '. ساساسيا تعرف شخصا يعمل فى محطة البنزين فى المدينة ' .قال مايبرو هذه العبارة بعد صمتٍ طويلٍ . "وهو ميكانيكى ، ومتزوج شقيقة واحد من أولئك السائقين الذين ينقلون كبار الموظفين بين الحين والآخر إلى قاعدة شنجولاما' .

عندما سمع كامبا هذا الكلام ، قفز فى الهواء فرحا كما لو كان وجد لنفسه مخرجا مما كان فيه .

نظر مايبرو إليه وقال : 'هل ترى أى أمل فى ذلك ؟' .

'اجلس من فضلك ، لا تقلق النساء . أنا لا أريد لذلك أن يعرفه أحد'. بوسعنا تدبير نوع من الاتصال ، أو الصلة ، بشكلٍ أو بآخر . ولكن الحرص مطلوب ؛ لأن ذلك قد يؤدى بأسرتى كلها' .

أكد له كامبا : 'سوف ألعب هذه اللعبة برقةٍ وبأمانٍ أيضا' .

'أتود مقابلته اليوم ؟' .

'خير البر عاجله ، يا صديقى' .

بينما كانوا ينتظرون الرحلة التى ستقوم الحافلة بها إلى المدينة ، كانت ساساسيا تجلس فى الظل على بعد مسافةٍ قصيرةٍ منهما . أعطى

بنى كامبا مايرو مخططا لمهمته ، بالرغم من يقينه أن كامبا لم يكن يخترع قصةً أخرى .

قال مايرو وهو يشعر بالقلق : 'ما تحاول عمله أمرٌ صعبٌ' .

رد كامبا قائلا : 'ولكنه عمل لابد من إنجازه وحتى إذا ما فشلت أنا فى إنجاز هذا العمل فسوف يتعين على شخصٍ آخر القيام به . الأمور لا يجب تركها لحال سبيلها . هناك أشياء فى الحياة يتحتم علينا المخاطرة من أجلها ، حتى وإن أدى ذلك إلى المخاطرة بحياتنا من أجل مقاومة الشر ومكافحته . وليس هناك بديل لذلك' .

أومأ مايرو برأسه : 'هذا صحيح . سوف أحتفظ بذلك لنفسى . أنت شابٌ شجاعٌ' .

'أرجوك ، أن تحتفظ بذلك لنفسك وحدك ، أفهمت هذا ؟' .

أومأ ببطءٍ بعد ذلك ، 'أتود القيام بذلك العمل لوحدك'، وأردف قائلا : 'لقد تعلمنا من الموقف الذى نحن فيه كيف نضحك بالرغم من الدموع التى دامت سنينا طويلة . فما الذى يمكن عمله غير ذلك ؟' .

'نأكل . وننتظر من يقتلنا' .

'البعض منا يجبرون على أن يدوسهم الغير ويطؤهم بحذائه ... أجبروا على أن يأكلهم الغير ، وليس ليأكلوا الغير . والفرُّوج لا يأكل الإنسان ؛ وإنما الإنسان يأكل الفرُّوج' .

'آه ، أهذا هو أسلوبك فى التفكير ؟' . أحار كامبا مايرو عندما أقحم قصة الفرُّوج فى الموضوع . 'لقد خلق الفُّروج كى يأكله الإنسان ، أم أنك تفكر أو تظن أن مسألة أكل الفروج هى من اكتشاف الإنسان أو فكرة من أفكاره ؟' .

قال مايرو بعد شيءٍ من التفكير : 'أنا لا أعرف ولا علم لى بذلك' .

راح بنى كامبا ينصت تماما لما تقوله ساساسيا ، وهو يقف إلى جوارها . كان يفهم حقيقة مشاعرها .

تلعثمت ساساسيا ، فى هذه الحالة ، إذ سمعت شيئا عنه ... عن بابينا ...'

'هل له ملامح خاصة ، أو أى شيء خاص به ؟'

تهلل وجهها ، 'نعم ، زوجى له شامةٌ كبيرةٌ على جانب عنقه الأيمن ، وأسفل الأذن . أثر حرق . ولا يمكن أن تخطئ تلك الشامة إذا ما نظرت إليه' .

'هل حدثت له تلك الشامة منذ زمن قريب ؟' .

'لا ، لقد أصيب بهذا الحرق عندما كان طفلا صغيرا . وكان ذلك الحرق سيئا جدا على كتفه' .

'هل هو طويل ؟' .

'لا ، إنه قصير مثلى ، وشديد السواد ، وكثير الكلام أيضا' .

أحس بنى كامبا أن بوسعه رد الجميل إليها ، عن طريق الإصغاء إليها والاستماع إلى ما تقول . وقفا يتكلمان ، فى الوقت الذى كان فيه مايبرو قد وضع يديه متقاطعتين فوق صدره ، ينظر إلى الأرض وهو يصغى السمع ، ويومئ برأسه موافقا على وصفها لزوجها . وفتحت ساساسيا فمها لتقول شيئا ولكن مايبرو نادى قائلا : 'هى ، هاهى الحافلة بدأت تغادر المكان' .

هنا تراجعت ساساسيا فى الحال بعيدا عن بنى كامبا ، وهى تمسك فمها بيدها كما لو كانت تحاول منع الكلام . كانت الحافلة مليئة بالمسافرين عن آخرها ، لا بالمخلوقات البشرية فحسب ، ولكن بكل أنواع المخلوقات والأشياء التى ترافقهم : الأمتعة ، والسكارى تفوح منهم رائحة العرق ، ورائحة الكحول ، والدجاج ، والقطاط واليمام . كما كان هناك راكب أيضا كان يدلك أنف تيس صغير كان يضعه على حجره .

ساعد مايبرو بنى كامبا وهو يركب الحافلة . ألقت ساساسيا نظرةً أخيرةً على بنى كامبا قبل أن يختفى .

كانت الحافلة من النوع القديم وقد تعثرت خمس مرات قبل أن يدور محركها .

كانت على ظهر الحافلة عبارة تقول : 'ابحثوا عنا فى السماء' .

لوح بنى كامبا بيديه ليرد عليهم السلام والتحية .

الفصل العاشر

فى ظروف الطريق الناعم الذى كانت السيارة تمشى عليه ، يتبين لبنى كامبا أن الطريق إلى شنجولاما كان طريقا جيدا . اللحظات التعيسة الوحيدة كانت تتمثل فى تلك المطبات التى كانت الحافلة تتجاوزها على الطريق . فقد جرى تهريبه فى شنطة (صندوق) السيارة .

كان الصبى الذى يعمل فى محطة البنزين متعاونا تماما ، إذ قام بالاتصال بنسيبه الذى تحمل المشاق وجاء لزيارته .

قال النسيب : 'أنا أخشى الإقدام على فعل شىءٍ من هذا القبيل ؛ ولكننا بوسعنا مناقشة الأمر مع كبير الميكانيكيين الذى يقوم حاليا بأعمال الصيانة اللازمة للسيارة ، وهذا أمر دقيق وحساس للغاية . وأنا يتعين علىَّ توصيل الناس إلى القاعدة قبل الساعة الخامسة بعد عصر هذا اليوم' .

كان كبير الميكانيكيين هو الذى وضع بنى كامبا داخل شنطة السيارة ، وهو أيضا الذى قاد السيارة من محطة البنزين ،

وهو أيضا الذى أحضر بنى كامبا من بين الأدغال من على بعد حوالى كيلو متر تقريبا . وكان بنى كامبا قد أجزل لهم العطاء ، وكانوا جميعا سعداء .

وعليه ، عندما جلس السائق إلى عجلة القيادة ، حتى يقوم بنقل الضباط إلى منازلهم ، فإنه كان يعرف حق المعرفة ذلك الذى كان فى صندوق السيارة . وذلك الذى فى صندوق السيارة ، عصر ذلك اليوم ، كان قد أعطاه ما يعادل ثلاثة أضعاف مرتبه . هذا يعنى أنه كان سعيداً ماليا .

ومع ذلك ، فقد كان مهموما هم الموت ! ولعل هذا كان هو السبب وراء عدم تركيزه فى القيادة فى هذا اليوم بالذات . كان فى السيارة أربعة رجال ، منهم ثلاثة أفارقة ورجل واحد أوروبى .

انتهت نعومة الطريق فجأة وبدأت ضوضاء السيارة تبدو كما لو كانت مثل وقع أصوات أقدام عشرة آلاف من الماشية التى يجرى دفعها ناحية النهر كى تشرب منه . فهم بنى كامبا أن الجزء الممهد من الطريق لابد وأن يكون قد انتهى وأن السيارة بدأت تسير فى الطريق غير الممهد . ولما كان بنى كامبا على علمٍ بأنه سيصل بعد أن يرخى الظلام سدوله ، فقد خطر بباله أن ذلك سوف يهيئ له فرصة البحث لنفسه عن مكان يختبئ فيه فى المنطقة المجاورة ، وعندها يمكن أن يقرر الخطوة التالية التى ينبغى أن يخطوها ، ولو قدر له أن يقتل خلال القيام

بهذه الخطوة ، فإن ذلك سيكون من قبيل الحظ العاثر . كانت حياته تعتمد على مدى إتقانه للسير بعنايةٍ على خيوطٍ رفيعةٍ للغايةٍ . كان بنى كامبا يخاف من الأمر برمته . كان بنى كامبا يعلم أن المرء مهما بلغت شجاعته ، فإنه لا يستطيع التحرر من بعض المخاوف .

وبينما كان ينتظر فى الفندق بالقرب من محطة البنزين ، كتب رسالةً إلى كرستينا وأودعها صندوق البريد فى الفندق .

خطر ببال كامبا : 'هذه يمكن أن تكون نهايتك ، فهل تعرف ذلك ؟' .

'وماذا بعد؟' ، رد عليه الجانب الآخر منه ، والذى كان يسميه بنى ، وأردف ذلك الجانب قائلا : 'أنت مستأجر لتَقْتُل أو لتُقْتَل ' . كان بنى أكثر شجاعةً وتفاؤلا من كامبا .

رد كامبا : 'ليس للقتل' .

لاحظ بنى ، 'نعم ، ليس للقتل ، وإنما ليس للقتل وحده ، ولكن للقتل من أجل هدف خير' .

احتار الرجل ، 'هذا أفضل يا بنى . بنى ، هل تظن أنى سوف أبقى على قيد الحياة ؟' .

'أرواح الناس الذين تحارب من أجلهم تقف وراءك' .

'لتحفظنى ؟' .

'بالضبط . أنت تبدو كما لو كنت تستسلم !' .

'ليس هذا بالضبط . كنت أشك فى نفسى' .

'هذا أمر طبيعى يا سيد كامبا ؛ لقد قلنا ذلك لك مراراً' .

'هل تظن أنى سوف أدمر القاعدة ؟' .

'حاول' .

كان بنى كامبا لا يعرف إن كانت هناك سدادات طرق على ذلك الطريق أم لا . لم يتوقفوا فى أى مكان ، ولكنه فى بعض الأماكن ، كان يحس التغير الذى يطرأ على سرعة السيارة ، وعندما كانت السيارة تهدئ من سرعتها إلى أدنى حد ممكن، وفجأة أحس أن السيارة بدأت تسير فى الطريق الممهد .

تساءل متعجبا : 'ماذا يحدث ؟' . عرف بحاسته أنهم لابد أن يكونوا قد وصلوا إلى المكان المقصود . ساعته الصاروخية المضاءة أوضحت له أن السيارة كانت تتحرك طوال ثلاث وثلاثين دقيقة .

كان على حقٍّ وصوابٍ ؛ لأن السيارة كانت قد هدأت من سرعتها استعداداً للتوقف . كان الغبار ، المتصاعد من الطرق الترابية ، يدخل من الثقب الذى أحدثه الميكانيكى فى صندوق السيارة ، من أجل التهوية ، وقد بدأ يستقر ويهدأ ، مما سهل على بنى كامبا عملية التنفس .

أصاخ السمع وقدر عدد الضباط الذين نزلوا من السيارة بأربع ضباط . ثم خطر بباله أنه ربما يكون قد أخطأ فى تقديره الذى مفاده أنهم سيصلون بعد حلول الظلام . لابد أن يكون النهار مازال طالعا خارج صندوق السيارة نظرا لأن الساعة كانت تشير إلى السادسة وعشرين دقيقة . أمله الوحيد كان يتمحور فى أن سائق السيارة سوف يتسكع هنا وهناك إلى أن يحل الظلام ، ثم يفتح صندوق السيارة له بعد ذلك .

تنهد ، ثم تخشب ، إذ هيئ له سماع خطوات خافتة تدور حول السيارة . أصاخ السمع ، وهو يمسك أنفاسه . شعر بالخوف عندما سمع مفتاحًا يفتح صندوق السيارة ! كان على صواب عندما اعتراه الرعب والخوف . انفتح باب صندوق السيارة . وعندما نظر إلى الأعلى ، وقعت عيناه على عينى شخصٍ لم يكن يتوقعه ـ الآنسة سمبينيو ! كان هناك رجلان يقفان إلى جوارها .

'مرحبا بك فى قاعدة شنجولاما ، يا سيد بنى كامبا' ، وابتسمت ومدت يدها لتساعده على الخروج من صندوق السيارة . 'لقد تأخرت جدا ، يا سيد كامبا ؛ كنا ننتظر وصولك إلى هنا طول الأيام الثلاثة أو الأربعة الماضية . هيا ، تعال ، جميل بحق أن نراك هنا بعد غيبةٍ طويلةٍ' .

خرج بنى كامبا من صندوق السيارة وهو يحس كما لو كان فأرا أمسكت المصيدة بعنقه . 'يا له من لغزٍ سخيفٍ !' . راح يتأمل تلك التوصيلة ويتفكر فيما إذا كان ماييرو قد غشه أم لا .

خطر بباله : 'هذا لا يمكن أن يحدث أبداً' .

كلمته وهى تنظر فى وجهه ، 'كيف كان حال رحلتك ، يا سيد كامبا ؟ هل تسمح لى بالاعتذار لك عن وعورة تلك الرحلة ؟ لقد كان ذلك من اختيارك وبمحض إرادتك ؛ كان بوسعك اختيار وسيلةٍ مريحةٍ أكثر من هذه الوسيلةٍ - بأن تركب فى السيارة كما لو كنت «جنتلمان» ، أو شخص مهم ، أو واحد من طيارى الطائرات العمودية . هنا' ، ومدت يدها له على سبيل التحية . وأمسك بيدها بطريقةٍ آليةٍ .

'لقد كنت رجلا رائعا ، يا بنى كامبا . هل تذكر ذلك ؟'، قالت ذلك بصوتٍ رخيمٍ ، ثم صفعته بشدةٍ على وجهه . 'طظ فيك !' . صمتت لحظةً ، ثم أشارت بعد ذلك إلى الرجلين اللذان كانا يقفان خلفها ، وأمرتهما أن يأخذاه بعيدا عنها . 'خذاه وعاملاه معاملةً طيبةً '' ، قالت ذلك ببرود ، ثم مشت مشيةً تنم عن أهميتها .

سرى الخوف والحذر فى كل أجزاء جسم بنى كامبا . فقد كان يعرف معنى لغة 'عاملاه معاملةً طيبة' ، فى مثل هذه الظروف . كان يعلم جيداً أنه سيلقى عذاباً شديداً .

قال كامبا لبنى : 'لقد نزل عليك العذاب ، يا رجل' .

أكد بنى : 'سأموت موت الرجال ، موت الجنود ، سأموت وأنا **أقاتل** من أجل شعبى' .

وضعا «الكلبشات» فى يديه واقتاداه بعيداً عن المكان . وحمل أحد الرجال حقيبة ملابسه ، وتركه عارياً وبلا سلاح ولا يستطيع **الدفاع** عن نفسه .



الفصل الحادى عشر

اتضح أن التعليمات التى أصدرتها الآنسة سمبنيو لمعاملة بنى كامبا معاملةً طيبةً نفذت تنفيذا حرفيا . فقد أحسن الرجلان معاملته . فقد اقتاداه إلى سلم مؤدى إلى تحت الأرض ، أوصلاه إلى جزء من المبنى ، الذى ظهر أنه صورة طبق الأصل من مركز رئاسة مؤسسة نيزا الاستخباراتية .

فتح أحد الحارسين بابا معدنيا ثقيلا وقال : 'الطريق من هنا ، من فضلك يا سيدى' . كان الحارس قصيرا ، له بشرةٌ فاتحة اللون ، ويحتمل أنه كان عربيا .

دار بخلد كامبا وهو يمر خلال الباب : 'أنا ذاهب الآن إلى غرفة التعذيب'. اندهش عندما وجد نفسه فى غرفةٍ مؤثثةٍ تأثيثا خاصا . كان ينتظر أن يسمع من الحارسين أنهما جاءا به إلى هنا بطريق الخطأ ، ولكنهما لم يقولا شيئا من هذا القبيل . وعلى العكس من ذلك ، فك الحارسان الكلبشات من يديه وطلبا منه أن يتجرد من ملابسه .

'سألهما ما سبب ذلك ؟' .

'نفذ ما نقوله لك فقط ، يا سيدى' .

نفذ تعليماتهما ، وفى الحال وقف أمامهما متجردا من ملابسه .

سألهما : 'ماذا بعد ذلك ، هل أقدم لكما رقبتى ؟' .

'سيدى ، لسنا أولئك الأشرار الذين تود أن نكون منهم' . قالها الحارس الثاني ، بلهجةٍ دفاعيةٍ . كانا قد أغلقا البابِ خلفهما .

قال الحارس الأول : 'إذا كان الأمر لا يهمك أو يعنيك ، أو حتى لا تمانع فى ذلك ، اخلع ساعتك وضعها على ملابسك . واخلع جواربك أيضا' .

رد عليهما كامبا : " أنا على يقين من أنكما لا تعنيان ما تقصدانه من العبارة "إن كنت لا أمانع" . واقع الأمر أننى أمانع وأود الاحتفاظ بساعتى فى يدى . فهل تسمحان لى بذلك ؟' .

هز الحارس رأسه .

وضع ساعته وجواربه فوق ملابسه وقال : 'أهذا ما تريدانه ؟' .

كان الحارس الذى قال إنهما ليسا من الناس الأشرار ، واقفا خلف بنى كامبا ، وكانت بندقيته فى وضع الاستعداد للرمى إذا ما طرأ طارئ . وراح الحارس الآخر يفتش فى شعر بنى كامبا بحثا عن أى نوع من أنواع الأسلحة .

سأل كامبا : 'هل يمكن أن تجلس القرفصاء ؟' .

نزل كامبا إلى الأرض ، 'وهو كذلك' ، مرر الحارس يده على مقعدة بنى كامبا ، تحسبا من أن يجد عليها صاروخا ، ملصقا على جسمه ، ولكنه لم يجد شيئا من هذا القبيل . بعد ذلك ، جمع الملابس وحملها هى والحذاء . ولف الملابس والحذاء ووضعهما تحت إبطه . وراح ينظر إلى شكل بنى كامبا البنى اللون وأشار إلى دولاب الملابس . 'فيه كل الملابس التى قد تحتاج إليها . والحمام والدش الاثنان خلف هذا الباب . طاب مساؤك ، يا سيد كامبا' .

قال كامبا لبنى : 'أيها الرفيق ، ستطهى الآن مستعملا سمك الخاص بك' .

'أخرس !' .

مشى ناحية دولاب الملابس وفتحه . يبدو أن ما كان داخل دولاب الملابس كان مرتبا له خصيصا . المؤكد أنهم كانوا ينتظرون قدومه . تفكر فى الأمر ، وبدأ يتعجب من سر الطريقة التى استطاعوا بها الإمساك به واكتشافه . وهنا أدرك أنه أساء فهم الاستخبارات التى تقف خلف الأمر . كلما زاد تفكيره فى الأمر ، ازداد إحساسه بمدى صغره وقلة حيلته .

انتقى قميصا أحمرا وبنطلونا بنى اللون . فى الرف السفلى من دولاب الملابس كانت هناك تشكيلةٌ كبيرةٌ من «الشباشب» . انتقى «شبشبا»

من الجلد . لم يهتم بلبس الملابس الداخلية . ودخل إلى الحمام . ياه الحمام كان وسيعا ، ومزوداً بكل ما يمكن أن يخطر بباله .

مشط شعره بعد أن غسل وجهه ثم عاد بعد ذلك إلى الغرفة . كانت غرفةً واسعةً وكبيرةً، طولها ثلاثون قدما وعرضها خمسة وعشرون قدما. فى ركن منها كان هناك سرير يتسع لفردين ، وكل ما يعد مكملا لذلك السرير ، وفوق الطاولة المجاورة للسرير كان هناك جهاز تليفون ، وأمام السرير كان هناك أربعة كراسى «فوتيل» ، موضوعة حول طاولة من طاولات القهوة . كانت هناك أيضا منفضة (طفاية) سجائر ، وولاعة ، فضلا عن كتاب سميك .

كل الجدران كانت مزينةً بورق الحائط الذى يشبه القشدة فى لونه . كانت هناك أيضا ثلاثة رسوم معلقةً على الجدران . كان أحد تلك الرسوم عجيبا ، ومرسوم بالأبيض والأسود على لوحةٍ من القماش ، رسم تجريدى يمكن أن يكون لامرأة ورجل يتبدلان القبل ، أو قد يكون لنوع من النبات .

ألقى بنى كامبا بنفسه على السرير . هذا سرير مريح تماما . تفحص المكان خلف الرسوم ووجد فيه ماكينات للتهوية . كانت إضاءة الغرفة رائعة . لابد أنها من صنع خبير ؛ الإضاءة تشعر الإنسان بالارتياح . خطر ببال كامبا ، أن من يقيم فى هذه الغرفة لابد أن يكون ضابطا مهما . تناول الكتاب السميك ، الذى اكتشف أنه إنجيل من الأناجيل ، وفتح الكتاب . وقرأ أول آيةٍ وقعت عيناه عليها من المزامير :

'يا الله ، لا تعاقبنى فى غضبك ،

ولا تعاقبنى فى قمة استعارك .

ارحمنى ، يا الله ، فقد خارت كل قواى .

اشفنى ، فعظامى تؤلمنى .

يا الله ، إلى متى ستبعد عنى ؟

عد إلىَّ ، يا الله ، أنقذ روحى

أنقذنى ، إن كنت تحبنى ؛ لأن الموت

ليس فيه تذكر لك .

من الذى يمكنه أن يتغنى بأفضالك فى المقابر ؟' .

هنا بدأ يفهم جيداً آلام سيدنا داود عندما كتب ذلك المزمور .

قال كامبا لبنى : 'مسكين أيها الرجل ، أنت الآن فى المقابر ' .

'من ؟ أنا ؟' .

'نعم أنت ، بالطبع أنت !' .

'وهو كذلك ، إذن هذا بتصميم وتخطيط' .

'أى تصميم وأى تخطيط ؟' .

جادل بنى جدالا شديداً . 'هناك زاويا أخرى ، وتصميمات أخرى ، ومنعطفات أخـــرى ، و تفسيرات أخرى ، و أغراض أخرى ، وأشياء أخرى لا تخطر على بال . سر الحياة محاط بظلام كثيف لا يستسلم لضوء صغير . العيون الطبيعية ، وكذلك الخيال فيهما ذلك الضوء الصغير' .

'تفاؤل أعمى' .

'كامبا ، عندما تبلغ الثمانين من العمر ستكون قد رأيت قدرًا كبيرًا من التناقض مع ما تراه حاليا' .

'تقول ثمانين ؟ أنا أموت فى هذا المكان اللعين ! ولكنك تتحدث الآن عنى وأنا فى الثمانين من العمر . هل أنت مجنون ؟' .

'نعم ، يا سيد كامبا ، قد أكون مجنونا . كم من التفسيرات الجديدة والأفكار الجديدة التى توصف بالجنون ؟' .

أغلق بنى كامبا الكتاب .

" ما المطلوب من هذه المكالمة ؟ أهى خدمة ؟ ماذا يمكن أن يحدث لو ... رفعت أنا السماعة ؟ قال لى . مد يده نحو سماعة التليفون ووضعها على أذنه .

سمع صوتا نسائيا ناعما يقول : 'نعم ، يا سيد كامبا ، هل لى أن أساعدك ؟' .

فكَّر ... " مـاذا تقـولين ؟ آسف ، كل مـا أردتـــه ... إننـى كنت أتعجـب ما إذا كان هذا التليفون يعمل أو لا' .

ضحكت ، 'أهذا هو كل ما فى الأمر ؟'

'نعم' .

'هل أنت متأكد أنك لم تكن تريد شيئا معينا ؟' .

سألها لمجرد تمشية الحال : 'متى يكون موعد العشاء ؟' .

'لا داعى لأن تشغل نفسك بهذا الأمـر ، يا سيد كامبا . أنت فى أيدى جيده جدا' .

'أهذا صحيح ؟' .

كان صوتها واثقا ، 'فى كل الأحوال' .

أعاد السماعة إلى مكانها ثم تنهد . صوت هذه الفتاة يشبه إلى حد كبير صوت كرستينا . إنه يفتقدها . خوفه من أن يموت قبل أن يراها مرةً ثانيةً كان يزيد من شدة حبه لها . هذا هو ما يحدث فى مثل هذه الظروف ، الإنسان عندما يستشعر أن السيل قد بلغ الذبى ، فذلك يحدث فى معظم الأحيان بعدما يودع الإنسان أعز الناس لديه . وبعدها يمكن أن يمضى الإنسان فى سلام إلى المكان الذى يتعين عليه الذهاب إليه .

فكر فى الآية التى قرأها من الإنجيل ، وراح يتعجب ما إذا كان ذلك تصميم آخر فى غموض الحياة ، يتحتم عليه قراءة هذه الآية . هل كانت الآية تحثه على الاتجاه إلى الله ؟ أو إن الآية ، على حد قول المسيحيين ، كلام الله ، كانت نصيحةً حيةً يتعين عليه الصلاة بها ؟ أو إنها يمكن أن تكون إشارةً أخرى ، أو علامة ، مثل الضباب الذى مضى أمام الإسرائيليين عند خروجهم من مصر ، وإن الله كان يقودهم ويرشدهم ؟

قال كامبا لبنى : 'عندما تحاصرك المصاعب ينشغل بالنا بكثير من الأمور . أمور محلية وأخرى وهمية . والموت يذكرنا بالله ، أو الموت والإله هما شيءٌ واحد . الفقر وقلة الحيلة يجعلانا نفكر فى الله ... أهذا هو الأمر ، أولا وقبل كل شيءٍ : إن الشدة هى عصا الله الذى يهش بها على أغنامه فى الخلاء ، أهى العصا التى تسعى لإعادة الأغنام التى تحاول الافتراق عن القطيع ؟' .

تفحص بنى كامبا الأماكن كلها بدقة وعناية ، وراح يقلب الوسائد بحرص ، وكذلك السجاد ، كل شيءٍ فى الغرفة ، كيما يتمكن من كشف ما يمكن أن يكون مخبأ فى الغرفة . وبينما كان يفعل ذلك دق جرس الهاتف .

تسابق قلبه مع خطاه وقال : 'نعم !' .

رد عليه صوت امرأة : 'يا سيد كامبا ، مطلوب منك أن تأخذ قسطا كبيرا من الراحة ؛ لأن هناك يوما طويلا وثقيلا ينتظرك . الغرفة ليس فيها أى شىءٍ مخبّأ ، لا تشغل نفسك بالبحث هنا وهناك " .

سأل مندهشا : 'كيف عرفت ما أفعله؟ 'من أين تتكلمين ؟ ' بحث السقف وفتشه . لابد أن تكون هناك وسيلةٌ تنقل صورته من الغرفة .

" لا تشغل نفسك بمكان وجودى . استرح من فضلك . سيكون ذلك فى مصلحتك . هل أرسل لك من يرتب لك السرير ، ويعيد الأشياء إلى ما كانت عليه ؟' .

قال : 'لا' . قالها بشىءٍ به كثير من الشك ، وراح يستشعر المزيد من القلق . توقف وبدأ يعيد ترتيب السرير مرةً أخرى ، ويعيد كل شىءٍ إلى ما كان عليه .

'أوه نعم !' . قالها بصوت عال ، ثم راح يفكر فى الأمر بفضول شديد . ترى ، أين أوفدوا الآنسة والو Walo؟ هل مازالوا يحتفظون بها معهم ، أو إنهم قتلوها ؟ لم يفكر فيها طوال بضعة أيام . ولكنه الآن ، ونظرا لوجوده هنا ، فإن مسألة رؤيته إياها أمر محتمل . تعجب ، 'هل أرفع سماعة الهاتف وأسأل عن مكانها أو عما حدث لها ؟' .

جلس وراح يفكر فى الأمر . لو سأل عنها ، فما هو الخطر الذى يمكن أن يترتب على ذلك ؟ أحس بعدم اليقين والشك ؛ ولذلك فكر فى تأجيل ذلك الأمر بعض الشىء .

قدمت له امرأةٌ صغيرة السن وجبةً من السمك على صينية من الفضة . لم تغلق تلك الشابة الباب وهى تقدم له الطعام ، وحتى عندما تراجعت إلى الوراء لتناوله النبيذ الذى طلبه ، تركت أيضا الباب مفتوحًا . لابد أن هناك حراسا فى كل مكان ، والاحتمال الأكبر أن يكونوا عند المدخل الرئيسى الذى يمكن أن يكون مغلقا .

وعقب انتهائه من تناول وجبته ، دخل عليه رجلان . كان أحدهما يحمل صينية عليها شيء من الحلوى . وضع الرجل الصينية أمام بنى ، فى حين راح الرجل الأخر يجمع الأوعية الفارغة ، وعندما هم الرجل ، الذى كان يجمع الأوعية ، بمغادرة المكان لاحظ بنى شامة على جانب عنقه .

'ما هذا ؟' ، قالها كامبا بصوتٍ عالٍ ، وهو يحملق فى عنق الرجل طلبا للمزيد من التأكد أهذا هو زوج ساساسيا ؟

أشار للرجل بالاقتراب منه . تراجع الرجل قليلا إلى الوراء ، ولكنه تقدم بعد ذلك فى شىءٍ من التردد .

همس بنى : 'أنا أعرفك ، أنت زوج ساساسيا . أليس كذلك ؟'.

أحس الرجل بصدمة . همس قائلا : 'نعم، نعم! كيف عرفت ذلك ؟' .

'كنت مع زوجتك ، ومع شقيقك . انصرف حالا . وعد إلىَّ إذا ما استطعت ذلك " .

كان الرجل الآخر ينتظر كما لو كان لا يريد أن يترك زميله .

خرجا وتركا بنى كامبا وراءهما مندهشا ومتعجبا . إذن ، زوج ساساسيا لم يمت . 'يا لها من مصادفة !' .

بعد ذلك بساعة ، عاد بابينا Papena لأخذ الصينية . احتمى بنى كامبا بباب الغرفة وأعطى بابينا وصفا موجزا لما حدث ، وسمع من بابينا كيف أمكن تسجيله للعمل فى تلك القاعدة . وانكشح الرجل بسرعة ، محذرا كامبا إذا ما اكتشف أمره ، فإن الخطر قد يتهدد حياته . وبعد خمس عشرة دقيقةٍ من انصرف بابينا ، شاهد كامبا الباب ينفتح ببطءٍ . ومن خلف الباب دخلت الآنسة سمبنيو Sampenyo .

دخل رجل بعدها يحمل صينية عليها بعض المشروبات . وحمل الصينية التى سبق أن أحضروا عليها الحلوى ، الذى لم يلمسه بنى كامبا . غادر الخادم وأغلق الباب خلفه بعناية .

لم تكن الآنسة سمبنيو مرتديةً ملابسها الرسمية ، وإنما كانت ترتدى بنطالا له لون رمادى فاتح ، كما كانت ترتدى «بلوفراً» ، و«إيشارباً» جميلاً أوحى لبنى كامبا على الفور بحماقته عندما لم يستغل ذلك «الإيشارب» فى خنق الآنسة سمبنيو حتى الموت ، ولكن من غير المحتمل تماما أن تجىء إلى هذا المكان وهى عزلاء من السلاح .

قالت بطريقةٍ عارضةٍ وهى تسحب أحد الكراسى : 'مساء الخير ، يا سيد كامبا !' ، ثم جلست بعيدةً عنه .

رد عليها كامبا مبتسما ، 'حسنًا ، مساء الخير ، آمل ألا تكون هناك صفعةُ أخرى ، أهذا صحيح ؟' ، ثم راح يتحسس ذقنه .

'أوه لا ، لا ، يا سيد كامبا ! أنا أعتذر عما حدث . لقد فقدت أعصابى واتزانى' .

'لماذا فقدت أعصابك يا آنسة سمبنيو ؟' .

'ماذا تقول ؟ أما زلت تستعمل الاسم نفسه ؟ أنا العقيد سوبيتا Swipta وأنا الآن لن أخفى ذلك عنك' .

أطال النظر إليها ، 'عقيد ؟' .

'ما رأيك ؟ أنت وأنا من رتبةٍ واحدةٍ' .

'مفاجأة' .

'أنا أعرف ذلك . هل تمتعت بوجبتك ؟' .

'نعم ، شكرا . آمل ألا تكون محتويةً على سم أو مخدر' .

ضحكت ، 'لماذا يتعين علينا فعل ذلك معك ، يا سيد كامبا ؟'

'ألا تتذكرين ؟' .

تكلمت بهدوء ، 'حسنًا ، الأفضل لنا أن ننسى الماضى' .

'كنا صديقين طيبين قبل أن تحاولين قتلى " .

تصرفت بطريقةٍ عاديةٍ وقالت : 'لم أكن أنوى قتلك ، يا بنى' .

'وأنت لم تريدي قتلى ، إذن ماذا كان هدفك ؟' .

'العقيد لديه أوامر يتعين تنفيذها' .

'فهمت ما تقولين' .

" كيف حالك منذ ما جرى لك ؟' .

'ها أنا أمامك' .

" كيف تعاملك الصحراء Desert؟" .

'أنت تعرفين ذلك بالفعل' .

ضحكت ...

'بالرغم من كل ما حدث ، فقد تمتعت جدا بوجودى معك فى فندق جادينى Jadini . لقد كان وقتا ممتعا بحق ، أليس كذلك ؟' .

'بالتأكيد' . قالها بطريقةٍ آليةٍ .

'أنت تعرفين ، أنك كان بوسعك إنهاء حياتى بقنبلتك' .'أية قنبلة ، يا بنى ؟' .

'القنبلة الزمنية ، وليست قنبلة حياتك' .

'أنت أفشلتها' .

'هل تودين قتلى ؟ ها أنا ذا هنا من أجل ذلك مرةً ثانيةً ؟' .

غيرت نغمة صوتها، وقالت : 'أنا لا أعرف ذلك الذى تفعله ' .

'بالمجىء إلى هنا ؟' .

'أوه ، انتبه ، أنا أختبر شجاعتك ليس إلا . وبالرغم من كل ذلك ، لقد أحضرت نفسك لنا . أنا لا يتعين علىَّ اصطيادك بعد الآن بقنبلةٍ زمنيةٍ . ولكنى ليس لدى نية فى قتلك ، أو يقتلك أحد غيرى . أنا أحسب أنك رجل عنيف ... وتعرف كيف تغازل ، يا بنى ' .

'هل يتعين علينا الدخول فى ذلك ؟' .

'بنى ، بعد ذلك الحادث ، خطر ببالى أنك ينبغى أن تكون أذكى من ذلك، وتستقر على شىءٍ آخر ، شىء أفضل ، بدلا من مواصلة عملك مع جماعة المافيا Mafia التى تنتمى إليها فى الصحراء Desert. ألا تعرف قيمة حياتك ؟' .

'جماعة المافيا ؟' .

'المافيا ، بالطبع وبالتأكيد !' .

'هل جماعتى هى المافيا ؟' .

'الزم حدودك من فضلك . فى ذات الوقت ، هل تزوجت كرستينا ؟' .

'إذن ، أنت تعرفين حكايتها أيضا ؟' .

'هل كانت حكايتها سرا ؟'.

تفكر كامبا فى السؤال التالى وقرر الكلام فى الموضوع ، 'على فكرة ، يا سيادة العقيد سوبتا Swipta ، ماذا عن الآنسة والو - هل تحتفظون بها هنا ، أم أنكم قتلتموها ؟'.

'هل تود مقابلتها ؟'.

'أود ذلك جدا ، إذا ما كانت على قيد الحياة '.

'إنها حيةٌ ترزق . نحن لا نقتل المخلوقات البريئة التى من هذا القبيل . بل إننا على العكس من ذلك ، نعطيهم شيئا مفيدا يفعلونه '.

'وماذا أعطيتموها ؟'.

تمددت وقالت : 'هذا ليس من شأنك ، يا بنى '.

'هل تظنين أن بوسعى أن أقابلها ؟'.

'ليس الآن '.

'ولكن فى وقت ما ؟'.

'هذا أكيد '.

'أذن ، يا سيادة العقيد سوبتا Swipta ، فلندخل فى الموضوع الرئيسى ؛ لماذا جئت إلى هنا لزيارتى ؟ وبخاصةٍ بعد أن حاولتى قتلى ، وعندما التقيتنى هنا فقدت أعصابك وصفعتنى... ومازال وجهى يؤلمنى.'

جئت لأعتذر لك عما حدث منى '.

'أتريدين منى أن أشترى ذلك الذى تبيعنى إياه ؟'.

" أنا امرأةٌ بسيطةٌ . خضعت لك . وأستطيع الذهاب معك إلى مدى أبعد إذا ما أردت أنت ذلك . المرأة لديها فصول ومواسم كثيرة فى ذهنها ".

'أنا لا أفهمك '.

'أنا أعرف أنك لا تفهمنى ، لأنك أصلا لا تريد ذلك '.

'هذه المرة ، لن تجعلى منى غبيا أو أحمقا '.

'لم يخطر ببالى أنى سوف أفعل ذلك بطريقةٍ ناجحةٍ '.

'أنت تقولين ذلك لإرباكى . أنت بوسعك إرباك أى إنسان عن طريق فعل العكس تماما من عباراتك وتصرفاتك السابقة . وبعد ذلك ، وبطبيعة الحال ، وعندما تنتهين من وضع الخطة تبدئين فى الضرب بسهولة . أليس هذا واحد من التكتيكات الأفريقية البسيطة ؟'.

'حسنًا يا كامبا ، إنه أسلوبٌ بسيطٌ تماما ـ إذا لم تكن راغبا فى قبول اعتذارى لأنك تود التمسك بأفكارك الأخرى عنى ، فهذا متروك لك . السبب فى ذلك أننى لم أجئ إلى هنا لأرضائك '. وقفت وقد ارتدت ثوب السلطة ، 'وأنا لدى السلطات التى تخول لى قتلك ، أو عدم قتلك . ترى ، ما هى الأسباب التى تجعلنى أطلب العفو عنك ؟ هل تحاول الاستهزاء بى والسخرية منى ؟'، وفتحت عينيها واشتد بصرها .

'أنا آسف ، يا سيادة العقيد سوبتا ، اجلسى ولا تفقدى صوابك مرةً ثانيةً '.

سخرت .

أردف كامبا قائلا : 'سيدتى ، أنا لا أرى سببا يجعل رجلا صغيرا مثلى يستهزئ بك ، يا سيادة العقيد . أنا صغير من منطلق أنى واقع فى فخ سلطتك ، ومن ثم ، فأنا أعرف أنه بوسعك أن تفعلى معى كل ما يحلو لك . وأنا لا أحاول أيضا أن أظهرك على أنك رأس كبير '.

جلست ، 'بنى ، هل تقبل اعتذارى ؟'.

'لكن ما أسباب اعتذارك لى ؟'.

'لأنى أسأت إليك ، وهذا هو كل ما فى الأمر '.

'لماذا أسأت إلىَّ فى المقام الأول ؟ ما هى الظروف التى كنت تحت تأثيرها آنئذ، ولست تحت تأثيرها فى الوقت الراهن ، وأنت تعلمين أنى أتحدث معك الآن فى مركز رئاستك التى تحصلين منها على سلطتك كلها وعلى راتبك أيضا ؟'.

'حسبما تريد ، يا بنى . بوسعى أن أفرض عليك أشياء أخرى ؛ ولكن ذلك واحد من الأشياء التى لا أستطيع فرضها عليك . والقلب أبعد ما يكون عن أى إنسان حتى يجبره على قبول شىء هو لا يريده . لدى السلطة عليك فى أشياء أخرى ؛ ولكن ليس لدى سلطةٌ على قلبك '.

'يا سيادة العقيد ، إن جاز لى مخاطبتك بتلك الرتبة قد تكون حماقةً من جانبى ، أن أغفل الحقيقة التى مفادها أنك امرأة على درجةٍ عاليةٍ من التدريب وصاحبة ذكاء كبير . لماذا تريدين منى أن آخذك بهذه البساطة ؟'.

'لأن الحياة تظل بسيطة إلى أن نبدأ نحن فى تعقيدها '.

'العفو ... هل أنا على صواب إذا ما استنتجت أن الكلام الذى يدور بيننا حاليا ، يجرى تسجيله من بعد ، فى غرفة من الغرف ؟'.

'نحن نعلم أنك على علمٍ بذلك ، ولن نكون أغبياء فى مسألة الحصول منك على الكثير باستعمال الابتكارات التى من هذا القبيل . لدينا وسائل أخرى أفضل ، نستطيع بها استخلاص المعلومات المطلوبة . أنت محق ، نحن نستطيع تسجيل أى صوت يحدث فى هذه الغرفة ، ولدينا معدات إليكترونية متناهية الصغر تغطى الغرف كلها - دعنى أكون صريحةً معك - هذه المعدات تتفاعل وتبدأ عملها بفعل الجسم البشرى وتنقل الرؤية إلى غرفةٍ بعيدةٍ أخرى . وهذا اختراع جديد تماما. وعليه لا تشغل نفسك بالبحث عن آلات التصوير على الجدران . لن تستطيع رؤية أى شىء . تلك المعدات الإليكترونية متناهية الصغر لا يمكن رؤيتها . حاولت أن أكون صريحة معك ربما تود معرفة أن الشاشات مطفأة ومغلقة حاليا . ونحن نشغل الشاشات من حين لآخر من أجل السلامة والأمن . رؤسائى يعرفون أنى هنا ، وإذا أردت أن

تعرف ذلك ، فأنا أقول لك : إن كبار الضباط لا يجرى تتبعهم أو رؤيتهم باستعمال التلفاز إلا عندما يهدد الخطر المكان الذى يكونون فيه '.

تنهدت .

تهلل وجهها ، 'هل تصدق يا بنى أنى هنا لتمضية وقت فراغى ، ولست فى مهمةٍ أو عملٍ رسمى . وأنا حرةٌ فى فعل أى شىءٍ أريده إلى الساعة السابعة من صباح الغد؟ '.

'لكن يا سيادة العقيد سوبتا ، ليست هذه هى الطريقة التى تزجين بها وقت فراغك '.

'أنت مخطئ يا كامبا '.

'لماذا ؟'.

'كنت أود الحديث معك كشخصٍ اقتربت منه تماما فى مرةٍ من المَّرات '.

كشر بنى كامبا جبينه .

'أما زلت تشك فى ؟'.

'لكى أكون أمينا معك ، فأنا أعرب عن أسفى فى الوقت الراهن ، يا سيادة العقيد سوبتا ، لعلنا نطرح موضوع العفو هذا جانبا '.

هزت كتفيها ، 'حسبما تريد '.

تذكر بنى كامبا شرابه وتساءل: 'ماذا لديك غير ذلك ؟ حسنًا ، هل يمكن لنا أن نتناول شيئا من الشراب سويا ؟'. لعبها بسهولةٍ ويسرٍ وقال : 'لا يوجد سوى كأس واحدة '.

'بالتأكيد'، ثم سحبت كرسيها إلى جواره . 'ألا تظن أننا يمكن أن نشرب من الكأس نفسها ؟ وذلك من باب المغامرة ، على أقل تقدير '. 'يا سيادة العقيد سوبتا أنت شخصٌ مسلٍّ جدا '.

ابتسمت ابتسامةً عريضةً وعميقةً وقالت : 'شكرا ، هل تعرف ؟ المال يجعلك تفعل أشياء أنت لا ترضاها ، وهذا أكيد ، لا أحد يود قتل أى إنسان . بل إننا لا نود قتل القردة لأن فيها شبه من الإنسان . ومع ذلك يجب على الجنود أن يقتلوا الناس . ظريف ، أليس كذلك ؟ سكبت مزيدا من الشراب فى الكأس وأخذت منه رشفة ، وأومأت وقالت : 'فى صحتك !'.

شرب من الكأس قائلا : 'فى صحتك ! لماذا تتحدثين عن القتل ؟'.

'لا تذهب إلى بعيد ، يا بنى ، دعنا نشرب سويا يا رجل ، من الذى يعرف ما سيحدث فى الغد ؟ ما نأكله اليوم ، هو الذى يجب أن نعده ، ملكا لنا ، وليس ذلك الذى ننتظره أو نتمناه . الغد نكون بين يدى شخص آخر ... آمل ألا يضايقك كلامى . بوسعى الانصراف إذا ما أردت أنت ذلك ، وعلى الفور . ألا تريد النوم مبكرا أو التأمل ؟'.

'بوسعكِ البقاء . من أين جئت يا آنسة سوبتا ؟'.

'دعنا من الكلام عن المكان الذى جئت منه فى الوقت الراهن . لقد وقعت على أوراق تمنعنى من الحديث عن ذلك . وأنا على يقين أنك تعرف السبب '.

'ما الذى تنون عمله معى أيها الناس ؟'.

'هذا ليس من اختصاصى . المدير العام هو الذى يستطيع الرد على هذا السؤال ؟'.

'أين هو ؟ هل هو قريب من هنا ؟'.

'لا عليك . سوف تلقاه غدا فى موعد تناول الشاى . إنه رجلٌ طيبٌ ، طالما لم تغضبه '.

" قد يكون رجلا طيبا ، ولكن المسلم به ألا يكون طيبا مع أعدائه ، وأنا لست موضوعا لطيبته ، وإنما أنا موضوع لقسوته " .

'سوف تندهش عندما تكتشف أنك مخطئ فيما تذهب إليه '.

'هل هناك إنسان طيب خلف هذه القاعدة ؟'.

شربت من الكأس ثم ناولتها لكامبا. 'نحن نعرف أن الناس يسيئون فهمنا . أنا على يقينٍ من أنك لا تعرف أهدافنا . لابد أن ضالّة عقول جماعة الصحراء التى أنت تابع لها ، قد غسلت مخك غسلا تاما . لماذا

تعتقد أننا مازلنا نحتفظ بالآنسة والو على قيد الحياة ؟ سوف تدهشك عندما تلقاها ، إنها بهية الطلعة . لن تصدق ما أقول '.

' إذن ، أنتم ما تزالون تعتبرون أنفسكم أناساً طيبين ؟'.

'نحن نساند الحرية ، والوحدة الدولية ، واستغلال الموارد الطبيعية الأرضية ، والتقدم التقنى - والقائمة طويلة . نحن لسنا مثلكم يا أهل جماعة الصحراء ، لا تهتمون إلا بالسياسات الفئوية والقبلية '.

'وليس هناك أى شىء قبلى أو فئوى فى مسألة الكفاح من أجل الرجل الأسود . كل كلب من كبار الكلاب فى أوروبا يود لنفسه نصيبا من اللحم الأفريقى '.

'أنت تفهم الأمر بطريقةٍ خاطئةٍ يا بنى . العدو الأكبر للرجل الأسود ليست أوروبا وإنما هو عدو نفسه - أفريقيا ! نحن نعرف ذلك ، كما نعرف ذلك أيضا الذى نكافحه . نحن لا يمكن أن نلقى باللوم بعد اليوم، على أوروبا على كل ذلك الغائط الجاف الذى يرفض الخروج من الشرج الأفريقى . سامحنى على هذا التعبير '.

'أنا لا أعتقد أنك قد جرى غسل مخك غسلا تاما . على كل حال ، وبالرغم من حرصى البالغ معك ، فأنا معجبة جدا بذكائك . ولكنى أرى الآن ذروة ما يدور بخلدك '.

'أنت مخطئ '.

'لأنى أعتقد أن الأمم الكبيرة إنما خرجت لاستغلال أفريقيا ؟' .

' لا لأنهم يريدون استقلال أفريقيا ' .

'أذن لماذا ؟' .

'السبب أن العرق الأسود عرق الأقلية . والأقليات هى أول الأشياء التى يمكن استغلالها . هناك دول أوروبية كثيرة تستغل شعوبا أوروبية أخرى . القضية الرئيسية ليست الأسود فى مواجه الأبيض ، وإنما هى مسألة الانتقاء أو الانتخاب الطبيعى للبقاء على قيد الحياة ، من يأكل من السمك الكبير يعيش على السمك الصغير ' .

'هذا الفكر هو ما نكافحه ' .

'هذا نتيجة عجزك عن التفكير السليم . أنت لا يمكن أن تعكس النظام الطبيعى للأشياء . الجبال الصغيرة هى أول ما ينجرف تحت الماء عند حلول الفيضان . هل يمكن أن تفعل أى شىءٍ إزاء ذلك ؟' .

'هل أنت من علماء الطبيعة ، يا سيادة العقيد سوبتا ؟' .

'أنا إنسانة . لا داعى أن نتطرق إلى الأكاديميات . كل ما يجب أن تضعه فى حساباتك يا بنى ، هو أن أفريقيا ليست سوى فتاة جميلة تجذب الكثير من العشاق ، وهذا هو كل ما فى الأمر' .

'من هنا ينبغى حمايتها من الأوغاد ومن النصابين . بعض الذين تجذبهم الفتاة ربما يفكرون فى اغتصابها ، إذا لم تستسلم لهم هى بإرادتها ، ومن ثم فهى لا يمكن أن تحب الجميع أو تعاشرهم كلهم'.

'ألم تغتصب امرأة ذات مرة ، يا بنى ؟'.

'لا'.

'مطلقا ؟'.

'لا تستظرفى ! أنا أحصل على ما أريد من خلال الأرض المتبادلة . ولكننا لم نكن نتحدث عن ذلك ، لا تحاولى تغيير الموضوع'.

'لماذا لا تغتصبنى ؟'، قالتها وهى تحملق فى عينيه .

كان ذلك من قبيل المفاجأة ، 'ما هذا الكلام الشيطانى ؟'، قالها وهو مهموم .

نغزته وهى تقول : 'بنى'.

'نعم ؟'.

'سألتك : لماذا لم تغتصبنى ؟'.

الفصل الثانى عشر

دق جرس الهاتف وأيقظ بنى كامبا من حلمه الذى كان يتشاجر فيه مع والدته حول شىءٍ من الأشياء . نسى للحظةٍ المكان الذى كان فيه . وأعادته حواسه مرةً أخرى إلى قاعدة شنجولاما .

قال بنى للناطق بلسانه : 'كامبا ' .

آسف يا سيد كامبا ، لإيقاظك من نومك ... هل تود تناول طعام الإفطار ؟' .

نظر كامبا إلى معصمه الخالى ، 'أنا لا أعرف ، كم الساعة الآن ' .

'الساعة التاسعة وعشر دقائق ، يا سيدى ' . كانت هى الفتاة نفسها التى ردت على الهاتف فى اليوم السابق . لقد نام جيداً . غالبه القلق فور استيقاظه من النوم .

'وهو كذلك ، نعم ' . لم يفكر فى الأمر كثيرا .

'ما الذى تود أن تأكله ، يا سيدى ؟ هل هناك قيود على أى نوع من الطعام ؟' .

'أنا آكل كل شىء '.

ضحك الصوت الذى على الطرف الثانى من الخط .

'أفى الأمر ما يضحك ؟'.

'نعم ، يا سيدى . أنا على يقينٍ من أنك لا تأكل كل شىء ، يا سيدى '.

علق سماعة الهاتف ودخل إلى دورة المياه . بدأ ينوء بإعياء حياته التى يتهددها الخطر ، فى هذه المرحلة أكثر من ذى قبل . هو يحس اليوم بتدنى روحه المعنوية ، ومع ذلك فهو هجومى وعدوانى . فقد استغرق حديثه اليوم وقتا طويلا مع تلك المرأة الغامضة التى على الطرف الآخر من الخط . وهو يتعين عليه حاليا عمل كل ما فى وسعه للهروب لمجرد إنقاذ حياته ، ويصبح بوسعه بعد ذلك التفكير فى المهمة المكلف بها من منظورٍ آخر ، 'أو استقيل !'، قالها بصوتٍ عالٍ .

شغل الحمام وقفز فيه ، وراح «يبلبط» فى الماء فترة قصيرة ، وينثر الماء هنا وهناك .

راح يضرب الماء وهو يقول : 'طظ فيك !'.

أوقفه الألم الناتج عن ضرب الماء من القيام بالمزيد من العدوان . نزل مرةً ثانيةً إلى الحمام الدافئ، ومكث فيه وهو يحملق فى السقف ، لا يفكر فى شىء وغير عابئ بأى شىء .

اقتاده حارسان من غرفته إلى مبنى آخر ، هو المبنى الوحيد الظاهر فوق الأرض المنحدرة انحدارا خفيفا عند سفح التل ، والشخص الذى يبعد قليلا عن ذلك المبنى يمكن أن يحسبه مجمعا للهاتف . كانت بعض الهوائيات البارزة من سطح ذلك المبنى تضفى عليه منظر رأس حشرةٍ من الحشرات، وقد شهرت قرون استشعارها كبيرة الحجم . كان حجم البيت كبيرا ، ويعادل حجم ثلاثة مبانى من مبانى الطبقة المتوسطة . ومن خلف ذلك المبنى كان هناك سهلٌ كبيرٌ يمتد على مدى مرمى البصر .

كانت هناك سيارةٌ «جيب» تقف خارج ذلك المبنى ، مركبة من المركبات العسكرية . صعد بنى كامبا إلى تلك السيارة وجلس فوق المقعد الخلفى بين الحارسين . وهنا تحركت السيارة «الجيب» وراحت تصعد التل من خلال طريق ترابى متعرج . وبدأ انحدار الطريق يتزايد شيئا فشيئا . وراح يتعجب مما لو كانوا يصعدون فى اتجاه قمة ذلك التل ، ولكن السيارة الجيب لم تتمكن من ذلك ، فقد كان الطريق شديد الانحدار ..

كان الحارسان ، اللذان يرتديان زى الجيش ، يجلسان صامتين ، ويهتزان بفعل خضخضة السيارة من ناحية، ووعورة الطريق من الناحية الأخرى ، وكان كل واحد منهما ممسكا ببندقيته الآلية . كان الحارسان قصيرين ، أحدهما متين وفى منتصف العمر ، والثانى فى العشرينيات من عمره ، وهو هزيل ، وله وجه متجهم . عينا ذلك الرجل توحى

بالإجرام ، وهما حمراوان وكبيرتان ، وله شفتان غليظتان . كان فاتح البشرة ، وذلك على العكس من زميله الذى كان أسود سواد الفحم ، ولكنه له وجه وسيم . كانت تبدو عليه البراءة التى تجعل الناظر إليه يعجب إن كان بوسعه أن يفتح النار على أحدٍ من البشر . ولكن ، سطح البحيرة لا ينبئ بطبيعة الحال ، عن عمق الماء الذى فى تلك البحيرة ، أو عن الذى يعيش فى ذلك الماء .

قال كامبا بصوت مرتفع : 'هذه هى نهاية الطريق !'. كما لو كان السائق لم يتبين حقيقة الموقف . لم يتكلم أحد غير كامبا . وثبت السائق على عجلة القيادة كما لو كان إنسانا آليا ينظر إلى الأمام . كان السائق يلبس هو الآخر زى الجيش .

بعد ذلك ، كانت ثلاثة أرباع الطريق المتجه نحو أعلى التل ، عبارة عن جزء كبير من الأرض يغوص وينحدر تدريجيا إلى جانب واحد من جانبى الطريق . ثم دلفت السيارة «الجيب» لتدخل بعد ذلك صالةً كبيرةً . توقفت السيارة وقفز منها الحارسان ، وهما يشيران إلى كامبا بأن يتبعهما . تبعهما إلى الجانب الأيسر من الصالة ، حيث يوجد باب معدنى كبير يفتح على مكتب من المكاتب العادية . كانت هناك امرأة تجلس أمام لوحة المفاتيح . خمن كامبا أن تلك المرأة لابد أن تكون هى تلك التى تكلمت معه بالهاتف . ولكن كيف يمكن أن تكون هى الفتاة نفسها فى عدم وجود شاشة حوله . كيف تمكنت من رؤيته ؟ كان يجلس مع تلك

المرأة ثلاثة رجال . حملقوا فى كامبا كما لو كانوا أناسا يعرفون الكثير عنه بالفعل . ترك الحارسان كامبا فى ذلك المكان .

رأى كامبا واحداً من الرجال الثلاثة وهو يعمل على روافع الأبواب، يفتحها ويغلقها حسب الطلب . كما كانت هناك شاشةٌ حيةٌ أمام مشغل الباب .

وعقب اختفاء الحارسين خلف الأبواب انفتح باب آخر من خلف عامل الهاتف ليدخل منه العقيد سوبتا Swipta. كل هؤلاء الناس كانوا يعملون بطريقة فطرية ؛ لأنه لم يكن هناك من يقول لهم ما ينبغى أن يفعلوه أو يقوموا به ، اللهم باستثناء عامل الهاتف ، ولم يكن لدى هؤلاء الناس سماعات يضعونها على آذانهم . ترى هل استرقوا السمع على كل ذلك ؟

قال العقيد سوبتا : 'ادخل يا سيد كامبا . ادخل" ، ثم مدت يدها إليه كما لو كان طفلا وهى تحاول مساعدته . 'هل نمت جيداً ؟'.

ظهرت على وجهه ابتسامةٌ خافتةٌ وهو يقول : 'نعم' .

'حسناً ! هيا بنا' . اقتادته عبر المكاتب الثلاثة التى كانت مؤثثةً تأثيثا طيبا . ولكن المكاتب كانت خاليةً من البشر . بعد ذلك ، وجد كامبا نفسه يمشى فوق سجادةٍ حمراء خلف العقيد سوبتا داخل ممر طويل . لم يكن فى ذلك الممر سوى منعطف واحد على الجهة اليمنى ودخلا إلى ما يمكن أن يصفه أى إنسان بأنه مكتب داخل قصر . حيتهما موسيقى

كانت تصدر عن آلة البيانو . ووقفت عينا كامبا على شخص رجل طويل يرتدى ملابس بيضاء وينحنى على عازفة البيانو أثناء العزف . ولكن العازفة توقفت فجأة كما لو كانت لوحة مفاتيح البيانو شاشة كانوا يشاهدون عليها وصول كامبا . ربما تكون تلك العازفة قد رأتهما بطرف عينها . تقدم الرجل الطويل ببطء ، ووقف منتصب القامة وبلا حراك ، ثم أخذ يتفحص شكل كامبا كما لو كان يحاول تذكر ذلك الذى وصل .

استمر الرجل فى عمله ، وحيا كامبا بحرارة ،' أوه ! صباح الخير ، يا سيادة العقيد كامبا !'. كانت مصافحته قوية جداً . أحس كامبا بتلك اليد القوية جدا وهى تمسك يده . 'ها ! يا لها من مفاجأة !' وراحت عيناه تتفحصان كامبا من فوق إلى تحت . 'الدكتور ثندر Thunder أليس هذا اسما مستعاراً ؟ . 'إنه اسمى يا عقيد كامبا . إنها لمصادفة حقا أن يقترن اسمى بعمليات الرعد . والداى أطلقا علىَّ هذا الاسم منذ البداية ...'. تنهد ثم فرك يديه ، 'ها ! أنا سعيد بلقائك شخصيا ، يا سيادة العقيد كامبا . لقد سمعت الكثير عنك '.

قال كامبا ، وهو ينظر حوله كما لو كان يحاول تجاهل ما يقول الدكتور ثندر Thunder ' : أنت تملك مثل هذا المنزل اللطيف '.

قال وهو يضحك بصوتٍ عالٍ : 'أهو جميل بحق ؟ إنه ليس منزلى ، وأنت تعرف ذلك' . ثم أردف قائلا : 'أنا لا أقبل تحمل تكاليف أى

منزل، حتى وإن يكن قريبا من هذا المنزل ؛ لأنى بكل المقاييس و المعايير ما أزال فقيرا '. وابتسم الرجل مرةً ثانيةً . وراح كامبا يحملق فى وجهه .

وضع الدكتور ثندر أصابعه أمامه وراح ينظر خلسة إلى كامبا 'نعم ، لابد وأنك تسأل عن جنسيتى . هل أنا معيب فيما قلت ؟ لقد شاهدت ذلك الفضول على وجوه كثيرة . ولكن ، حسبما تبدو ملامحى لك فأنا لست عربيا أو أوروبيا ، إيه ؟'.

انسحبت العقيد سويتا بهدوء ، وراح بنى كامبا يتفحص عمارة القصر الساحرة الماهرة . هذه العمارة جعلته يحس بصغره وضآلته وأدخلت فى نفسه الكثير من الخوف . عازفة البيانو ، تلك البنت الجميلة البيضاء التى تتدلى خصل شعرها الأشقر ، كانت قد توقفت انتظارا لصدور الأوامر . وعلى مقربةٍ من البيانو الخشبى الفخم كان يوجد شىءٌ يمكن أن يوصف بأنه بنك من بنوك الحاسب الآلى . قمطر ، أو طاولة كبيرة جدا موصلة بخط من الشاشات، وعلى الجانب الأخر كان هناك مكتب آخر عليه شاشة من بين كل الشاشات الموجودة فى هذا المكان . فى كل مكان يوجد مخرج من نوع ما من مخارج الحاسب الآلى .

أشار الدكتور ثندر إلى كرسى بمسند من بين خمسة كراسى أخرى موضوعة حول طاولة زجاجيــة خاصة بالقهوة ، ثم قال: 'اجلس يا سيادة العقيد كامبا '. كانت هناك مزهرية طويلة فيها بعض الورود الطبيعية . كانت الأبعاد الداخلية للمكتب أقل من أبعاده الخارجية التى

كانت تشتمل على حديقتين على الجدران المقابلة . وكان هناك حائطٌ كبيرٌ على كل جانب من جوانب الجدران الداخلية لتقوم بدور الخداع ، فى وجود الإضاءة المبهرة ، وتجعل الناظر إليها يحسب وكأنه ينظر إلى مناظر ريفية حقيقية .

رفع الدكتور ثندر أصابعه مرةً ثانيةً ، حضرت الشقراء على أثرها وكانت تلك لغة التواصل بينهما .

راحت تمشى وهى تهز أردافها، وكانت امرأةً جميلةً جداً تسترعى الانتباه .

قال لها : 'تقدمى يا عزيزتى ، قابلى هذا الشخص المهم - العقيد بنى كامبا ' . واستدار الدكتور ثندر إلى كامبا وقال : 'اسمها الآنسة دنلوب ، ونحن نطلق عليها اسم لوزيانا Lusiana ' .

تصافحا وراح كلٌّ منهما ينظر فى عين الآخر . اسم هذه الفتاة ذكرنى بمخلدات دنلوب . أشار الدكتور ثندر إشارةً أخرى بإخلاء سبيل هذه المرأة . وراح يراقبها إلى أن اختفت . ودخلت من الباب نفسه بنتان سوداوان تلبسان ملابس بيضاء ، دخلتا من الباب نفسه عبر خروج الفتاة البيضاء . كانت الفتاتان متماثلتين فى الحجم والطول . كانت كل واحدة منهما تحمل صينية ، إحداهما عليها شاى وكعك ، والأخرى عليها قهوة وأنواع مختلفة من الكعك، وكانت على الصينية نفسها

سلطانيتان مملوءتان بالعنب. كانت إحداهما بها عنب أبيض اللون وفى الثانية عنب أسود اللون .

جلس الدكتور ثندر على مقعد مقابل للمقعد الذى كان يجلس عليه كامبا . وقفت البنتان إلى أن أمر الدكتور ثندر بانصرافهما .

نظر الدكتور ثندر إلى ساعته وقال : 'أف ! مرحبا بك ، يا سيادة العقيد ، إلى فنجان من القهوة . أنا ليس أمامى متسع من الوقت ...'. عادت عينا الدكتور ثندر إلى كامبا ، 'بلغنى أنكم تزرعون كميات كبيرة من الشاى والبن فى كينيا ... شاى أم قهوة ؟'.

'قهوة من فضلك '.

'هل تريد أن تدخن ؟'، وسحب الدكتور ثندر صينية عليها ماركات مختلفة من السجائر والسيجار . خطر ببال كامبا أن الدكتور ثندر لابد أن يكون فى الخمسينات من عمره .

نظر كامبا إلى علبة السجائر ، 'لا ، أشكرك '.

وهنا فرك الدكتور ثندر يديه كما لو كان مصارعا يستعد لدخول مباراة .'حسنًا ! هل يمكن أن نبدأ العمل ؟ مبلغ علمى ، أن مجلس مديرى مؤسسة نيزا الاستخباراتية أوفدك إلى هنا عن قصد ... أنا أعرف كل شىء عن مؤسستكم ... المدراء التسعة جرى جلبهم من تسع دول أفريقية مختلفة هى بالتحديد : نيجيريا ، وكينيا ، ومصر ، وغانا ،

وتنزانيا ، وإثيوبيا ، والسودان ، وموزمبيق ... وكل دولة من الدول الأفريقية الأخرى ، الداخلة ضمن التقسيم الثانى لمؤسستكم ، لها أيضا ممثل فى مؤسسة نيزا ، أو بالأحرى لها عضو فى المجالات المختلفة مثل الإدارة ، والتدريب ، والتحرى ، والتخطيط ، والعلوم ، والأسلحة الدفاعية ، ...إلخ فهل أنا على صواب ؟ وأن العقيد كامبا ، رقم ٠٠٩ ، هو الوحيد المرخص له بالقتل نيابةً عن مؤسسة نيزا ، وذلك فى الحملة التى تقوم بها مؤسسة نيزا الاستخباراتية من أجل خلق ولايات متحدة أفريقية جديدة . توقف الدكتور ثندر بعض الشىء ، وراح يتفحص وجه كامبا ، ثم انفجر بعد ذلك ضاحكا .

اعتذر الدكتور ثندر عن الضحك قائلا : 'لا تؤاخذنى ، يا سيادة العقيد '. وراح يصب القهوة فى فنجان كامبا . 'لعلي أحصل على ذلك من فمك مباشرةً ... يا سيادة العقيد كامبا ، ما هى مهمتك بالضبط فى شنجولاما ؟'، ثم اتكأ الدكتور ثندر متراجعا إلى الخلف .

قال كامبا ما طرأ على ذهنه فى الحال : 'أنا هنا لأرى ما يدور هنا .'

'هل أشترى ذلك الذى تقوله ، يا سيادة العقيد ؟ أقطعت كل هذه المسافة من الصحراء الكبرى إلى هنا ، من أجل هذا الشىء فقط ؟'.

'حسنًا ، يبدو أنك تعرف كل شىءٍ عن مؤسستك ، التى جئت منها، والغرض الذى جئت مـــن أجله كما تعرف تفاصيلا عن بلدى وعن ... "

" وهو كذلك ، هنا سوف أقول لك كل شىء عن ذلك . مؤسسة نيزا الاستخباراتية تشعر بالقلق منك، بصفةٍ خاصةٍ ، ومن القاعدة أيضا '.

ضغط الدكتور ثندر بإصبعه على صدره ، 'أنا ؟ أنا ؟'، ثم ضحك بصوتٍ عالٍ .

'نعم ! أنت والقاعدة '، ثم رشف رشفةً من القهوة .'لقد أرسلونى إلى هنا لاكتشاف المزيد عن القاعدة وعن ...'، وأومأ برأسه تهكما ،'نعم ! نعم . تقتلنى وتدمر القاعدة ؟ يا عقيد كامبا ، لماذا لا تتوقف عن هذا الكلام الصبيانى وتدخل مباشرةً فى الموضوع ؟'، ثم راح يمضغ قطعة الكعك ويومئ برأسه ببطءٍ كما لو كان يتمتع بالمذاق .

'سوف أتركك تفكر كيفما تشاء '.

'أنا لا أفكر فى أى شىء . كل ما أعرفه هو أنك فى مهمةٍ لتدمير هذا المكان . أتمنى لك حظا سعيدا '.

'هذا أفضل . وماذا بعد ؟'.

رفع كتفيه للحظةٍ ثم أنزلهما ، 'تقول ، وماذا بعد ؟ ما الذى يدفعك إلى ارتكاب عمل كهذا ـ تدميرنا ؟'.

'لما أنتم عليه ... أنتم تشكلون تهديداً كبيرا لدول أفريقيا '.

'أنت تحاول استطلاق نكتةً ، يا عقيد كامبا ! نحن على عكس ما تقول ، نحن هنا لزيادة رفاه الشعب الأفريقى '.

'عن طريق زرع الحكام الصنائع مثل الحاكم الذى يحكم هذا البلد '.

'نحن بحاجةٍ إلى أمثال هؤلاء الناس ، الصنائع على حد قولك ، كى نصل إلى أهدافنا !'.

'أى هدف يا سيدى ؟'.

'القوة ، وما غير القوة ؟ لا تسألنى عن نوع هذه القوة لأنى أعلم أن ذلك سيكون سؤالك التالى . القوة بكل معانيها '.

'يا دكتور ثندر ، نحن نعرفك ونعرف عملياتك حق المعرفة . نحن لدينا المعلومات الكافية عما تمثله أنت ، الدمار الذى أحدثته فى الدول الأفريقية ، والأسوأ من كل ذلك هو ذلك الذى مازلت تحتفظ به فى جعبتك . وأنا أؤكد لك يا دكتور ثندر أن هذه ستكون قبضتك الأخيرة فى أفريقيا . بوسعك أن تقتلنى ، وأنا على يقينٍ من أنك ستفعل ذلك بسهولةٍ ويسرٍ . ولكنك لن تقتل روح الرجل الأسود '.

'هل تظن أنى رجل أبيض ؟'.

'نحن نعلم أن والدك كان إيطاليا وأن أمك كانت مغربية ، وأنك تلقيت تعليمك فى كندا ، وأنك تقوم بالتدريس فى الولايات المتحدة قبل أن تمتهن التدريس فى يوغسلافيا ، وعندما كنت فى يوغسلافيا تجولت كثيرا فى سائر أنحاء أوروبا . وأخيرا سلكت طريقك إلى هذه المهنة التجارية التى تبيع من خلالها بلدنا إلى تجار البلدان المتقدمة. لقد استأنفت عملك هذا منذ أربع سنوات مضت . لدينا كتاب عنك '.

أطال الدكتور ثندر النظر إلى بنى كامبا ، ثم نهض بهدوءٍ واقفا فى مكانه ، كما لو كان يود توجيه ركلةٍ وحيدةٍ وقاتلةٍ إليه ، أو يمزق جسده بزَخَّةٍ من الطلقات . كان كامبا يبدو كما لو كان متشحا بثوب شجاعته . ورشف رشفةً من فنجان قهوته ، ثم نظر إلى الدكتور ثندر .

أبدى الدكتور ثندر ملاحظةً صادقةً ، 'يبدو أنك غصت كثيرا فى حياتى الماضية '.

'ليس إلى هذا الحد ، كما تزعم أنت ، لأن التاريخ الذى لدينا عنك لا يقول لنا شيئا عن عمرك . ولكننا نعرف الكثير . سوف أنتهى من قهوتى وأقدم لك نفسى كى تذبحنى وتأكلنى . لأنى أرى أن تلك هى سياسة المستبدين فى هذه القارة ، إذ من عاداتهم أكل كبد عدوهم عندما يقتلوه وذلك منعا لروح ذلك العدو من مواصلة الكفاح . ماذا ستفعل بى بعد قتلى ؟ أنا شغوف جدا لمعرفة ذلك !'.

'يا سيد كامبا ، الناس لا يتوقفون عن أكل الدجاج لأنه يصيح عندما يمسكون به . ولكن فى الوقت الراهن ، دعنا لا نتحدث عن قتلك أو ماذا سنفعل بجسدك وكبدك . فأنت أصغر من أن نقتلك ولو بطلقةٍ واحدةٍ . عندما تنجز كل شيءٍ ، ربما تكون قد أديت لنا خدمةً أو خدماتٍ كبيرةٍ بعبقريتك . فى البداية ، سوف ندمر فى الصحراء مخبأكم الذى يشبه جحر النمل الأبيض ، ثم نحدد مستقبلكم بعد ذلك . وفى المرة القادمة ، لن تطول المساومة أكثر من ذلك . هيا معى إلى مكتبى'، أشار

الدكتور ثندر بيده وهو مضطرب .' ليس من ذلك الاتجاه ، ولكن سر فى هذا الاتجاه ، من فضلك '. اقتاد الدكتور ثندر بنى كامبا عبر طابقين ، ثم دخل بعد ذلك غرفةً كبيرةً . خمَّن كامبا أن تلك الغرفة لابد أن تكون غرفة المراقبة المركزية (غ. م. م.) ، وغرفة المراقبة المركزية هذه فيها لوحة مفاتيح طويلة وأزرار للسيطرة وميكروفونات لماذا لا يوجد أحد اليوم فى غرفة المراقبة هذه ؟ ولماذا كان عدد الناس قليلا فى الأماكن التى مروا بها ؟ هل كانت غالبية العاملين فى إجازة ؟

أشار الدكتور ثندر إلى كرسى من جلد ، 'تفضل بالجلوس " . من هذا الكرسى كان كامبا يستطيع رؤية الشاشة أمام عينيه مباشرة . الشاشة من الحجم الكبير مقاس سبعة فى خمسة أقدام . ضغط الدكتور ثندر على زر بعينه وطلب شخصا بعينه ، ثم جلس بعد ذلك بجوار بنى كامبا ، ووضع يديه على صدره وراح ينتظر وهو ينظر إلى الشاشة .

استغرق مجىء الشخص المطلوب شيئا من الوقت . كان واضحا أن الدكتور ثندر يعلم مسبقا ذلك التأخير . كان الرجل صبوراً . كان يومئ لنفسه فى بعض الأحيان ، ويعض على شفته السفلى ويخبط بأصابعه على جانبيه . وفى النهاية دخل رجل طويل - ربما كان مايرو Maero باستثناء بشرته البيضاء وتعلمه - إلى الغرفة وهو يلهث . انحنى الرجل على الدكتور ثندر ، وعندما وقعت عيناه على كامبا كشر جبينه، وخرج كما لو كان كامبا حيوانا ينتظر أو يتوقع وجوده فى الغرفة .

قال الدكتور ثندر : 'انقل المنظر لنا على الشاشة الكبيرة '.

سحب العامل الفنى كرسيا ، ثم جلس أمام كامبا والدكتور ثندر ، وقد أعطاهما ظهره ، وهو ينظر إلى الشاشة الرئيسية . وهنا ظهر المنظر كاملا اعتبارا من التل إلى القاعدة كاملا وجليا على الشاشة .

'ما الذى تراه ، يا سيد كامبا ؟'.

'المنظر اعتبارا من التل والمنطقة الموجودة خلفه '.

أردف الدكتور كامبا : 'حسنًا . الآن ، ركز يا كراب (*) آلة التصوير كيما تعطينا مدخل القاعدة ، كان اسم كراب هذا لائقا على مسماه إلى حد أن كامبا كان يظن أنه مجرد اسم مستعار ليس إلا .

ظهر المبنى السفلى على الشاشة وكان واضحا تماما .

'ما الذى تراه يا سيد كامبا ؟' .

'أنت قلت إنه مدخل القاعدة '.

'كراب ، أعرض لنا القاعدة '.

ظهر على الشاشة مجمع لم يخطر على بال كامبا . وحاول العامل الفنى إظهار الورشة الأرضية ، قسم بعد آخر لإعطاء المزيد من

(*) كراب : Crab اسم لنوع من القشريات يقال له الكابوريا . (المترجم)

التفاصيل . كان المنظر عبارة عن بدروم كبير يعمل فيه عددٌ كبيرٌ من الناس .

'أعطنا الثندر كرست Thunder crust '.

ظهر على الشاشة صاروخ كبير بحجم الشاشة . كان يبدو كما لو كان عشا ضخما من أعشاش أكل الغراب .

تساءل بنى كامبا :'لماذا كل ذلك ؟'. استدار كراب وراح ينظر إلى كامبا ، ثم نظر إلى الدكتور ثندر كما لو كان يطلب الإذن بالشرح والتفسير . ولكن الدكتور ثندر ابتدأ الكلام ، هذا هو بالضبط ما أردت أن أريك إياه . هذا الصاروخ مصمم خصيصا لنسف الجبال ، وهو يبدو ، كما ترى ، مثل قلم من أقلام الرسم . الصاروخ ينطلق دوارا كما لو كان مسماراً محويا . والصاروخ عندما ينزل على الجبل الذى نود نسفه ، فإن مقدمته تدفن نفسها فى الأرض عن طريق الثقب، إلى أن تلمس الطَّبَّة الأرض، ويصبح سن الصاروخ مدفونا تماما فى الأرض . وهنا يقفل الصاروخ على نفسه آليا داخل الأرض ، إلى أن تختفى الحفرة تماما . وما أن يختفى الصاروخ حتى يبدأ فى العمل كما لو كان صرصارا من صراصير الحقول يضع البيض ، أى يحدث سلسلةً من الشحنات . وعندما يكتمل وضع الديناميت ، وأنا لست بحاجة إلى أن أحدثك عن عمق ، فإن الانفجارات تتوالى بحيث تستغرق خمس دقائق . وبعدها تشهد نسف الجبل . هذا الصاروخ ثندر كرست Thunder crust

يمكن استعماله أيضا فى عمل البحيرات الصناعية . راح الدكتور ثندر ينظر إلى كامبا :

'عليه ، هذا هو الصاروخ الذى سوف نستعمله فى تدمير عش النمل الأبيض التابع لكم فى الصحراء ...'. تنحنح الدكتور ثندر ، 'يا كراب . اعرض علينا منظر ذلك المكان فى الصحراء '.



الفصل الثالث عشر

أحس بنى كامبا بالهزيمة . انتهى الأمر ، فقد أنفق القسم الأكبر من وقته فى سكنه يفكر فى أى شىء ، أى سحر ، وهو ينتظر النحلة الأخيرة لأية فكرة ، وهى تطير عبر ذهنه لتقول له ما يمكن أن يفعله . ولكن لا شىء . لا شىء جعله يتشجع . كانت يتراءى له نهاية مؤسسة نيزا قادمة فى الأفق لا محالة . وربما معها نهاية حياته هو الآخر .

تساءل كامبا بصوتٍ عالٍ ، وهو يتجول من أقصى الغرفة إلى أقصاها . لم يدخل الزاد جوفه بسبب القلق ، لم يعد لأى شىءٍ طعمٌ فى فمه . ومع ذلك كان جوعانا . "يا إلهى ، ماذا يمكن أن أفعل ؟".

لم يجب صوت من عند الله على سؤاله . ومع ذلك ، هناك قلةٌ قليلةٌ من الناس على هذه الأرض ، إذا كان لا يزال هناك بعضٌ منهم ، يتميزون بالاستماع إلى صوت الرب مثلما سمعه (سيدنا) موسى (عليه السلام) . ربما، إذا ما استمعنا إلى صوت الرب ، تصبح الأشياء جد خطيرة مع الإنسان العجوز ؛ لأننا عندما ننظر حولنا ونقرأ التاريخ ، نجد أن شيئاً لا يمكن أن يقلق الرجل العجوز أو يحيره .

قرأ بنى كامبا فى كتيب التشغيل ، مدى استحالة إحداث أى شىء من قبل إنسان وحيد وخالى اليدين مثله . كانت الشاشات الخاصة بالمراقبة ، وكذلك أمن القاعدة وتعقيدها ، وكذلك الاستخبارات التى تدير المكان ، كل ذلك كان يحتقر قدرات كامبا ويقلل من شأنها .

خطر ببباله : 'كم الساعة الآن ؟ لابد أن الساعة التاسعة ليلا' . لم يستطع مقابلة جونيس والو **Junis Walo** مرةً ثانيةً والسبب فى ذلك هو الكلبة العقيد سوبتا التى رفضت إعطاء إذن بذلك . حتى تلك اللحظة ، كانت سوبتا تحير كامبا وتربكه بما كانت تريده وتبغيه . كانت سوبتا بشكل أو بآخر تغار على كامبا بشكل غريب . ربما كانت تظن أن كامبا سوف يعاشر جونيس، ولكن ماذا لو حدث ؟ وما الخطأ فى ذلك ؟ ما الذى يجعل سوبتا تحس بالضيق من هذا الموضوع فى الوقت الذى يعد فيه كامبا سجينا لديهم ؟ ما الذى تنوى أن تفعله معه ؟ هل ستحتفظ به حولها من أجل مصلحتها الخاصة ؟ وهل سيكون ذلك مقبولا من رؤسائها إذا ما علموا بما فعلته ؟

خطر ببال كامبا احتمال مؤداه أنهم بعد أن يدمروا مؤسسة نيزا الاستخباراتية قد يفهمون أن كامب، لم يعد يشكل أى تهديد لمؤسستهم . كان من الصعب عليه تفهم الأمر كله . فى الليلة السابقة ، كانت سوبتا قد زارت كامبا للمرة الثانية ، ولكنها لم تطلب منه أن يغتصبها . ترى هل ستأتى هذه الليلة ؟

قال بنى كامبا بصوتٍ عالٍ : 'غداً ، عند الساعة السابعة سيقومون بتدمير مركز رئاسة مؤسسة نيزا . فى صباح الغد ، عند الساعة السابعة ، بدأ يعصر ذهنه ، 'سيكون هناك رجل أسود ، الرئيس ، الرئيس « نون » ، وهو جالس فى الشرفة يراقب منظمةً هائلةً وهى تدمر أمل ومستقبل القارة الأفريقية ' .

خطر ببال كامبا كلام الدكتور ثندر Thunder، فيما يتعلق بالرئيس « نون » .

'نحن بحاجةٍ إلى صنائع كى ننفذ أهدافنا .....' .

وبينما كان بنى كامبا يزرع الحجرة جيئةً وذهاباً ، خطر بباله كلٌّ من داود وجولياث اللذان وردا ذكرهما فى الإنجيل . ' أنا لا أصدق كيف أن التاريخ يواصل إعادته لنفسه ؟ هذه مواقف كلٍّ من داود وجولياث تتكرر هنا وهناك . ولكن تبا للأرض ! كم من داود سُجن بأيدى أمثال جولياث ، ويا لقلة أمثال جولياث هذا الذى استطاع أمثال داود اجتثثاهم من على الأرض ! وهنا خطر ببال كامبا ، أن داود صغيرا آخر سيموت هنا' .

جلس على السرير متعبا ، كما أحس بالغثيان أيضا بسبب دورانه داخل الغرفة كما لو كان ضبعا أخذ يلف ويدور فى قفصه بحثا عن مخرج . وهنا خطر بباله مواجهة الموقف بحذرٍ وحرصٍ .

قال فى نفسه : 'لا أحد يود لنفسه الهزيمة ، ولكنه عندما ينهزم ، فلابد أن يقبل الهزيمة' . من هنا راح يفكر فى قبول الهزيمة والتسليم بها . ربما يكون قد حان الوقت الذى يمكن له أن يفكر فى إنقاذ حياته هو . قال فى نفسه : 'إذا لم تستطع إنقاذ العالم ، ينبغى عليك أن تنقذ نفسك أنت . من الأفضل الآن أن تفنى الدنيا ويبقى آدمى واحد .... فى هذا الحال ، تكون أنت نفسك ، ذلك الآدمى '.

كان قد مضى عليه قرابة نصف الساعة عندما اعترف بهزيمته ، ولكن مجرد ذرة من الأمل كانت لا تزال تعتمل فى داخله . لا ، كان لا يزال لهبا لإعصار أفكاره ؛ وبعد ذلك كان تفكيره ينصب على أمه أو ربه . والأمور عندما تتأزم وتستحكم تجعل الذهن لا يستدعى أو يتذكر سوى قلةٍ قليلةٍ من الناس - أعز الناس وأخلصهم لك : والديك ، وحبيبتك ، وطفلك ، وربك . وربما كان هؤلاء هم الذين ينبغى أن يكونوا محور الاهتمام فى كل حياةٍ .

خطر ببال بنى كامبا ، 'ولكنى ليس لى طفلٌ من صلبى .....!'.

بشكل من الأشكال ، الإنسان عندما يفاجئه الموت ، يتمنى أن يجيئه وله طفل من صلبه فى هذه الدنيا ؛ لأن الطفل يعد امتداداً لحياتك ، وأنت لا تموت تماما إذا ما بقى طفلك بعد وفاتك . خطر ببال كامبا : 'ينبغى أن أبعد عن ذهنى ذلك الذى لا يخلف وراءه طفلا من صلبه فى الحياة ؛ لأن مثل هذا الشخص هو أشد الرجال قسوةً على

حياته ، اللهم إلا إذا كان عاجزا عن الإتيان بذلك الطفل بسبب انهزامه الطبيعى الذاتى '.

بعد أن انتهى كامبا من ذلك الخاطر ، سمع صوتا أمام بابه ... شخصٌ ما كان يفتح الباب . هذه هى العقيد سوبتا جاءت وهى ترتدى الزى الرسمى ، دخلت من الباب ، كما لو كانت - وهى امرأة - ستعطيه الطفل الذى كان يفكر فيه ، قبل أن تغرب شمس حياته .

راحت العقيد سوبتا تتبختر فى مشيتها ، بعد أن أغلقت الباب خلفها . وبقى كامبا ممددا على السرير ، بلا حراك ، كما لو كان رجلا مريضا جدا . وواقع الأمر أنه كان مريضا تماما ولكن بطريقةٍ مختلفةٍ . كانت العقيد تمسك ملفا فى يدها .

رفع كامبا رأسه ، 'ما الحكم ؟ هل هو فصيلة الإعدام ؟'.

ابتسمت وهى تقترب منه ، ومدت يدها لتلمس يده ، 'بنى ، ذهنك متوحش كيف حالك ، يا سيد ؟'.

استقبلها استقبالا باردا ، وكان لا يزال راقدا فى مكانه ، 'أنا لست ، سيداً '.

'تقول ، لست ماذا ؟'.

'أنا أسير ، اللهم إلا إذا كنت تودين مداعبتى . لماذا أنتم أيها الناس لا تفتحون النار علىَّ ، وتردونى قتيلا ، وتتوقفوا عن تعذيبى على هذا النحو ؟'.

'من الذي يعذبك ، يا بني ؟'.

'أنت ! تعذبين روحي !'.

'نحن لم نطلب منك أن تجيء إلى هنا ، أليس كذلك ؟'.

'وهو كذلك ، عندئذ ، بعد أن أسرتموني ، لماذا تسعدون لألمي وكربي ؟'.

'لم أتوقع ذلك من جندي . الجندي لا يشفق على نفسه بهذه الطريقة . قبول هذه المهنة يعني أن أصحابها منذ البداية على استعداد أن يقولوا نعم للتعذيب وللموت . أن يكونوا مستعدين للسجن ، والجوع ، والإيذاء ، والتشويه أيضا - أي شيء' ، ثم غيرت نبرة صوتها وقالت بخفة : 'مؤسستك كان ينبغي لها أن تستخدم واحدةً مثلي . فأنا امرأة ، ومع ذلك فأنا جلَدي أكثر من جلَدك ، بكل ما فيك من رجولة '.

'هناك نساء فيهن من الرجولة أكثر مما في الرجال '.

'هِيْ ! أين تعلمت هذا الكلام ؟'.

'إنه كلامٌ عامٌّ '.

'إذان ، أنت لديك من الكلام العام أكثر من الشخص العادي '.

صاح فجأة : 'تخلصوا من حياتي !'.

تراجعت إلى الخلف ، مع احتفاظها بهدوئها ، 'أوه ! يا بني ، الأسير لا يملي على الناس الطريقة أو المعاملة التي يود أن يعاملونه بها' .

حملق فيها لفترةٍ وجيزةٍ . كانت قد مالت عليه وراحت تنظر إلى وجهه . كانت فى زيها الرسمى تبدو سلطويةً وأكبر من سنها الحقيقى . ومن الصعوبة بمكان تخيل السمات البدنية لامرأة عندما ترتدى زيًّا عسكريا . المرأة فى هذا الزى تبدو كما لو كانت بندقيةً معمَّرةً ، وليست امرأةً لها ...

ابتسم كامبا لها ، 'اجلس يا سيادة العقيد '. تحرك قليلا كى يتيح لها متسعا لتجلس على السرير . جلست وفتحت الملف ، ثم قلبت ثلاث صفحات .

'ما هذا الملف ؟'.

'هل هدأت من روعك ؟'.

'نعم '.

'الملف ، هو سبب وجودى هنا '.

'هل أصبح لى ملف بالفعل ؟'.

تجاهلت سؤاله وقالت : 'هذه أسئلةٌ يتعين عليك الإجابة عنها . وأنا أطلب منك ألا تحاول أن تكون ذكيا . بادئ ذى بدء ، لقد حملونى مسئوليتك . وأمامى تقرير لابد من إنجازه ، هذا إن أردت أن أكون مباشرةً وصريحةً معك' .

'كم عقيد من النساء فى منظمتكم ؟'.

'على قدر ما تستطيع تخيله '.

'يا سيدتى ، سويتا ، إنك لم تكونى لطيفةً معى ، أنت شخص ، حاول أن يراوغ بهذا الكلام " .

'ما الذى تعنيه بهذا الكلام ؟'، ثم وقفت لتجلس على كرسى من الكراسي . كان ينبغى لها أن تفعل ذلك منذ البداية ، ولكنها الآن تجلس بعيدا عنه كما لو كانت تود أن تكون رسمية وفظة . أحس كاميا أنه ربما كان التعامل مع الرجال أفضل من النساء . النساء مخلوقاتٌ معقدةٌ ، يعنين الكثير بتحركاتهن .

'كنت أود أن أعرف اسمك الأول' ، ثم نهض كاميا واقفا ، 'ولكنى لم أنس العلاقة بين القط والفأر ، أو إن شئت فقولى العلاقة بينى وبينك . قد يفرحنى لو تعرفت عليك بعض الشىء '.

" بالتأكيد ليس هناك ما يمنع من أن تعرف اسمى الأول'. لم يكن يتوقع منها أن تتحول بهذه السرعة .

'حسنًا '.

'أنا اسمى كنولولو **Konolulu**'.

'إى ! يا له من اسم !'.

'أهو اسمٌ جميلٌ ؟'.

'كنولولو أجمل الأسماء التى سمعتها فى حياتى كلها ... كنولولو هل تجرين رجلى ؟'.

'لماذا ينبغى أن أشد رجلك ؟'.

'كنولولو '.

'ما الجميل فى هذا الاسم ؟'.

'الجرس و ..' .

'وماذا أيضا ؟' .

'إنه اسم جنسى'.

'وأنا جنسية ، وأنا أعرف ذلك '.

'هل تحبين ذلك ؟'.

'إنه فى دمى ، سواء أحببته أم لم أحبه '.

'كيف تربطين ذلك بمهنتك ؟'.

'الأنثى العقيد لها كل المقومات التى لدى كل امرأة . كل الرجال العظماء والنساء العظيمات فى العالم كانوا جنسيين '.

'لماذا لم تعرفينى على سكنك ؟ فقد كنت أفكر – وبالرغم من كل شىء – فى أننا قريبان من بعضنا جدا ، حتى وإن كانت رائحة الموت تفوح من حولى . هل تعيشين وحدك ؟'.

'فى أحيانٍ كثيرة '.

سوف أسعد لرؤيا سكنك ، وأرى أيضا أين تعيش كنولولو ، أشاهد منزلها قبل أن تنتزع الطلقات منى حياتى '.

'لماذا تود رؤية المكان الذى أعيش فيه ؟'.

'إنه أمر طبيعى . أنا ليست فى ذهنى أية خطط محددة . ما رأيك فى مثل هذه الزيارة ؟ أنتم أيها الناس حبستمونى ، وأغلقتم علىَّ الأبواب ، وبوسعكم أن تفعلوا معى ما تريدون وأنا داخل هذا السجن . لقد ألقيت المقاومة جانبا وتخليت عنها'.

'يا رجل ، الجندى لا يتخلى عن المقاومة . لا تحاول جس نبضى '.

'أنا أعرف أنك لن تصدقينى . ولو عندى شىء آخر لقلته لك . كنت أود لنا أن نتكلم عن طلبك فى مرة أخرى . العفو . هل يمكن أن تسامحينى أنت نفسك ، إذا ما طلبت منك العفو والسماح ؟'.

'ما الذى ترمى إليه ؟'.

'أود أن أضع حياتى بين يديك ، أو أن أعطيها لك هدية '.

'هذا يبدو مثل حكايات الأطفال '.

'ربما كان ذلك ؛ ولكن هذا الكلام صادرٌ من الأعماق ومفعمٌ بالأمانة . لقد كنت أفكر فى هذا الأمر ، وإياك أن تظنى أن ذلك شىءٌ طرأ فجأةً على ذهنى ، فأنا غارقٌ فى تفكيرى منذ يومين ، تقريبا . هل تعرفين السبب ؟ لقد كشفتى لى عن بعض الجوانب العجيبة فيك ... ربما قبل كل شىء ، كان هناك شىء أعمق من ذلك بكثير بينى وبينك . إن مهنتينا هما اللتان تضاربتا . هناك قوةٌ غامضةٌ خلف كثير من الأشياء . كنولولو ، أنا أود بحق أن أعرف الآن ذلك الذى تشكلينه فى حياتى ، أهو الموت أم الحياة ، أهو الصدق أم العداء ؟ '.

'ليس من المفروض أن أنحنى للتأوهات وأنسى واجباتى . أنا عندما أجمع المال الذى أود جمعه ، سوف أتبنى ذلك الفكر والحياة التى أتحدث عنها الآن ، وعندها أستقيل وأجد المكان الذى أعيش فيه والرجل الذى أحبه وأتبادل معه لهو الحياة '.

'هاه !' ثم «طرقع» بأصابعه كما لو أن فكرةً جميلةً خطرت بباله ، 'أنا لن أُدهش ، إذا ما صحوت يوما من الأيام ووجدتك فى سريرى زوجةً لى ! كنولولو ، أنت لا يمكن أن تعرفى أن الحياة ....'، ثم غير موضوع الحديث ، 'مازلت أعتقد أن اسمك جميل . هل فى المكان الذى جئت منه نساء يحملن مثل هذا الاسم ؟'.

'أنا لا أعـــرف عن ذلك شـيـئًـا . لماذا لا نعـود إلى مـا جـئتُ من أجله إلى هـنا ؟ أنا ليـس لدى مـتـسعٌ من الوقـت ؛ أمـامى عمـل كثـير ينبـغى القـيام به هذه الليـلة . يجب ألا يغـيب عن بـالك أن الرئيس قـادم إلى هنا صـبـاح الغد عند السـاعة السـادسـة والنصـف ، وسـوف نواصل الحديث فى هذا الأمر فى فترةٍ لاحقةٍ ، إما فـى مسـاء الغد أو فى ليل بعد الغد '.

'كنت أحـسب أنك سـتريحيننى بدعوتى إلى منزلك . لقد دعـوتينى إلى أماكن أخرى شديدة الخصوصية وشخصية جدا ، وهذا هو ما دار بخلدى ، كـمـا أنى على يقينٍ من أن ذلك هو الذى جـعلك تظنين أنى مجنون ، بوسعك أيضا أن تأخذينى معك إلى منزلك ، إلى غرفتك ، أعنى سوف يؤدى ذلك إلى اكتمال الدائرة . أتعرفين ذلك يا كنولولو ؟ الزيجات مختلفة الأعمار . فـأنت وأنا ، بغض النظر عن قصر المدة ، متزوجان من بعضنا البعض بغض النظر عما ستئول إليه نهاية القصة . وأنا عندما أقول إنى أحبك ، فماذا ستقولين أنت ردا على ذلك ؟'.

'سأضحك لهذا الكلام '.

'هل تظنين أنى أتصنع الكلام ؟'.

'هذا كلام مضبوط ودقيق '.

'القلوب لا تحس نيابةً عن بعضها البعض . أنا خائف ، وربما كان سبب ذلك الخوف نفسيا ، باعتبار أن ذلك سببٌ من أسباب البقاء على

قيد الحياة أو شيئًا من هذا القبيل . لقد أصبحت أحس بك إحساسا عميقا ، ولعل ذلك يكون هو الإحساس الذى كان يعتمل داخلك عندما طلبتِ منى أن أسامحك وأعفو عنك . لقد فهمت الآن ، أو بالأحرى ، كان لابد من تغيير إحساسى . كنولولو ، الحياة فيها الكثير من الأشعار الحية .

'أنت مريض '.

'قد أكون كذلك ، يا كنولولو . أنتِ يمكن أن تكونى أشياء كثيرة دون أن تعرفى ذلك ، ولكن هناك أشياء أخرى كثيرة لا يمكن لك أن تدركيها تماما إلا فى وقتٍ لاحق . والأرجح أن هذا الرجل الذى أمامك ، عندما يختفى عنك بصورةٍ أو بأخرى ، فى السجن أو فى جهنم ، هنا فقط سوف تدركين ذلك الذى كنت أعنيه ، وذلك الذى كنت أقوله ...'.

بقيت كنولولو صامتةً فترةً من الوقت ، وراحت تنظر فى اتجاه واحد مثل كتكوت ابتلع حبةً كبيرةً من الحبوب انحشرت فى حلقه وراحت تؤلمه أثناء نزولها إلى المرىء .

تنهدت ، 'حسنًا، هيا بنا نواصل الحديث فى بيتى إذا ما كنت تتحرق شوقا لرؤياه ولكن لا تحاول اللعب علىَّ ! فى مثل هذا الحال ، سيتحتم علىَّ تحديد من منا يجب أن يبقى على قيد الحياة . لن أسمح لك بإخراجى عن حواسى باستعمال أية حيلةٍ من حيلك . ربما كنت تحاول القيام باستعراضٍ كبير '.

'الشك ، من طبيعة البشر ، يا كنولولو . الأمر يبدو وكأن الشىء لعبةٌ كبيرةٌ ، مقامرةٌ كبيرةٌ . أنت وأنا مجرد مخلوقين صغيرين من نواحى كثيرة . لغز الحياة ، كنولولو كبيرة . ولربما فى النهاية لا يعرف أى منا إلى أين نحن ذاهبان' .

'ينبغى أن تكون جنديا ، لا فيلسوفا' .

'من الجندى ؟' .

'إنه رجل عملى' .

'ألست أنا رجلا عمليا ؟' .

'أنت حالم مريع . وليس من المدهش أن تجر نفسك إلى حبل المشنقة' .

أخافه ذلك الكلام . أشارت إليه أن يتبعها ، وهى تقص قلمها من طرفيه .

غمغم لنفسه قائلا : 'مشنقة ، هل أنا ..؟' .

الفصل الرابع عشر

كانت ساعة الحائط تشير إلى عشر دقائق بعد منتصف الليل . حتى تلك الساعة لم تستطع العقيد سوبتا الحصول على الإجابات التى كانت تريدها من بنى كامبا . كان كامبا قد حاول الإبحار بالسفينة الكبيرة فى بحر العاطفة المضطرب الذى كان يبحر فيه مع كنولولو .

يبدو أن ضرباته بدأت تصيب تقديرها الأبخس . كانا جالسين على سريرها . كانت كنولولو ترتدى لباس نومها ، فى حين كان هو يرتدى بنطاله . لقد عاشرها ويبدو أنها استمتعت تماما بتلك المعاشرة ، وكان ذلك ظاهرا فى كلامها . وهى الآن تفكر فى التماس سبق أن تقدم به لها : ألا وهو تهريبه ، وبحكم ما دار بينهما ، وتركه يعود ثانيةً إلى كينيا .

قال : 'أولا وقبل كل شىءٍ ، أنتم ستدمرون نيزا الاستخباراتية ' .

تنهدت فى النهاية وقالت : 'ليس من الصواب أن تخلط بين العمل والأمور الأخرى ' .

'أنا على ثقةٍ ، أنك ستحتاجيننى فى المستقبل ' .

'هذا حلم يا بنى'.

'نستطيع أن نحاول سويا اكتشاف معنى الحياة . فقد لا تكون الحياة طويلة مثلما تظنينها . ما الذى تعرفينه عن الحياة ؟'.

'أنت لست بحاجة إلى معرفة أى شىءٍ عن الحياة ؛ إنما عليك أن تعيشها فقط حسبما تتأتى لك'.

نظر فى أرجاء غرفة نومها . خطر بباله ، أنها لا يمكن أن تكون امرأةً حرةً مثلما تدعى . امرأة مثلها لا يمكن أن تكون بلا عشاق من أصحاب المراكز العالية . كان يسائل نفسه هل عاشرها الدكتور ثندر جنسيا أم لا ؟

كانت غرفة النوم مؤثثةً تأثيثا جيدا . كان لديها غرفة معيشة كبيرة ، فيها شاشة كبيرة ومسجلات . كان هناك باب يربط غرفة النوم بغرفةٍ أخرى ، ولكنها رفضت أن تُريه ما بداخل الغرفة . خطر بباله أن تكون تلك الغرفة مخزنا ، أو قد تكون غرفةً سريةً من نوعٍ آخر .

كان زيها العسكرى موضوعا على كرسى ، ومن فوق الزى كانت هناك حمَّالة الصدر البيضاء اللون ، فى وضعٍ مقلوب .

واصل بنى كلامة قائلا : 'ما الذى يمكن أن أفعله حتى أجعلك تصدقين ذلك الذى أقوله لك ؟'.

'الرجال ممثلون'.

'لا ، هذا غير صحيح . الجنود ممثلون'.

'أنت ، إذن تمثل'.

'مع جندى ، نعم . ولكنه الجندى الآخر ، العقيد سوبتا ، يمثل الآخر . فلنكن جادين بمعنى الكلمة . أنا قلق بشأن حياتى . فى حقيقة الأمر ، عندما يتهدد الموت حياتك ، فإن ما تقوله وما تفعله يكون جاداً ، بمعنى الكلمة . كنولولو ! أنا على يقينٍ من أنى ، فى أضعف الأحوال ، لابد أن أجد فيك معنى من المعانى ، مهما صغر . أنا لا أمثل . فى بعض الأحيان ، قد يصعب على الجندى أن يتخيل الآلام التى تترتب على نظر ضحيته إليه ، وبخاصةٍ عندما يكون هو الذى سيفتح عليه النار . ما الذى يمكن أن أفعله كى أقنعك أنى أقلعت عن ذلك الهراء الذى اسمه القتال ؟ شىءٌ واحدٌ ، حادثةٌ واحدةٌ ، مثل هذه الحادثة ، كفيلةٌ بأن تجعل الإنسان يقرر الإقبال على أسلوبٍ جديدٍ للحياة والدخول فيه ، وهذا هو ما فعلته أنا . وأنا أدعوك إلى هذه الحياة الجديدة لتكونى صديقتى الشخصية ، شىء ، أو شخص أعمق بكثير من مجرد الجندى أو مجرد امرأة التقيتها أثناء مغامرات الحياة . قد يكون ذلك ، من تدبير الرب ، وبخاصةٍ فى مسألة تدبير اللقاء . أنا أريد لنا أن نكون شيئًا آخر . أنا على يقينٍ من أنك تحبينى بشكلٍ أو بآخرٍ . لقد رأيت بنفسى أنك تغارين منى ، وربما ذلك لأن فىّ شيئًا أنت تحبينه . ليس مجرد الجنس . لا تحاولى خداع نفسك . لقد أثبت أنى لا يمكن أن أكون ذلك

الذى أرادته لى نيزا أن أكونه . يجب ألا تنسى أن تلك كانت أول محاولة لى . وأنا منذ البداية كنت مقدرا الفشل . وها أنا ذا هنا فى هـدا المكان . أنا أعتقد ، وهذا على حد قولك أنت ، أنى مثالى أكثر منى مقاتل ، وأنا أرى أنك عملية أكثر منى . الأفضل للإنسان أن يسلم بالهزيمة ، وأنا أحبك يا كنولولو .

قالت بلطف ورقة : 'أنا متأكدةٌ أنك لا تعنى ما تقول' .

'متأكد ! أقسم على ذلك' .

قفزت من السرير وتناولت بندقيةً من الدرج ، ووقعت عينا بنى كامبا على السلاح وكاد يموت من الرعب . لهث وقال : 'أتقتلين رميا بالرصاص ؟' .

هدأت ، 'لا ، لا ، يا بنى لا تتوصل إلى نتائج من هذا القبيل . أنا لن أفتح النار عليك . أنت أقيم بكثير فى يدى الدكتور تندر ، عما تكون بين يدى أنا . لكنى أريد منك أن تفعل شيئًا واحدًا . وأنت إذا ما فعلته ...' . قاطعها قائلا : 'طالما لا تطلبين منى أن أفتح النار عليك . فأنا لن أستطيع فعل ذلك . وإذا ما طلبتى منى معاشرتك جنسيا ، فسوف أفعل ذلك . وفيما عدا ذلك ، إذا أردت أن تفتحى النار على ، فأنا على يقينٍ من أنك قادرة على تنفيذ ذلك . اختلقى قصةً مفادها أنك فتحت النار علىَّ من باب الدفاع عن النفس لأنى حاولت قتلك' .

وضعت البندقية فوق رجلها ، 'بنى ، لماذا لا تحاول الإصغاء أولا ؟ الرجال مفروض منهم أن يكونوا أكثر صبرا . أنا مازلت أعتقد أنك تتصرف تصرف النساء إلى حدٍّ بعيدٍ '.

تنهد ، 'أنا أسف '.

'هل تنصت إلىَّ الآن ؟'.

'نعم ' .

'خذ هذه البندقية ، و ....' ، ثم أعطته البندقية .

'وماذا بعد ؟'. أخذ البندقية . هل ستخبره بالمكان الذى يوجد فيه الدكتور ثندر حتى يذهب إليه ويفتح النار عليه ؟ راح ينتظر فى قلق .

'انتظر ، أعد إلىَّ البندقية ، تناولت البندقية ، ووجهت فوهة ماسورتها نحو منتصف راحة يدها ، ثم أردفت قائلة : 'أفتح النار على راحة يدك اليسرى وأنا أراقبك . وأنت إذا ما فعلت ذلك ، فسوف أصدق ما تقوله . سوف أنظر إليك نظرةً مختلفة '. أعادت إليه البندقية .

فكر بنى كامبا فى الأمر برهةً من الوقت ، وكان إصبعه السبابة بين أسنانه . وقفت إلى جوار السرير وهى تلاحظه ، منتظرةً أن يمتنع ويعيد إليها البندقية . كان شكلها لطيفا فى لباس نومها لأنها كانت تقف أمام الضوء .

نظر كامبا إلى الساعة . كانت تشير إلى نصف ساعة بعد منتصف الليل .

تنهد كامبا وهو مكلوم وقال : 'وهو كذلك ، ظننا منه أنها سوف تسحب الاختبار وتصدق كلامه' .

ولكن العقيد سوبتا لم تفعل ذلك . وأكدت : 'أود أن أرى ذلك بعيْنَىَّ' .

صوب بنى كامبا البندقية إلى يده ، وسد فوهة ماسورتها براحة يده . ونظر إلى سوبتا . لقد كانت جادةً تماما . بذل المحاولة الأخيرة ، 'وهو كذلك ، هل تسمحى لى بأن أفعل ؟' .

قالت وهى تتراجع بضع خطوات إلى الوراء : 'نفذ ' .

عض بنى كامبا على أسنانه ، وأغلق عينيه ، وفتح الطلقة النارية على راحة يده ، وراح يتأوه ألما . انتقل الألم إلى مخه وغلى دمه . قفز مبتعدا عنها وصوب البندقية ناحيتها . ارتسمت على وجهه نظرةٌ شرسةٌ مميتةٌ ، 'سأفتح النار عليك أيها العقيد سوبتا ' .

'لا ، بنى ، أرجوك لا تفعل ذلك ! لا تفعل ذلك ! اعمل معروف !' .

لكنه فتح النار على صدرها وأصابها فى قلبها إصابةً مباشرةً . صاحت فواق الطلقة الأولى طلقةٌ أخرى فى الوجه جعلت سوبتا تسقط على الكرسى الذى كانت تعلق عليه زيها الرسمى .

تلوَّث الزى فى أثناء خروج الروح من جسدها .

وفى ألم فظيع ، كما لو كانت هى التى فتحت النار عليه ، راح كامبا يتعجب فيما يمكن أن يفعله ، ولكنه حاول فى البداية دفع جثمانها أسفل السرير ، ثم قطع جزءا من ثوب نومها وربط به جرحه ، ثم قام بلف السجادة التى كانت مضرجة بدمها ودفعها هى الأخرى تحت السرير مع جثمان سوبتا . كانت رائحة دمه فائحة . واستخدم زيها الرسمى فى تنظيف المنطقة المحيطة به .

سأل نفسه : 'وماذا بعد ؟'، ثم أمضى شيئًا من الوقت يبحث ويمشط المكان بحثا عن المعلومات التى يمكنه الحصول عليها . فأى شىءٍ يمكن أن يفيد فى مثل هذه الظروف .

'الحمد لله !' . لقد عثر على حقيبة ملابسه فى الغرفة الأخرى . كانت الغرفة صغيرة ومليئة بالملفات بالابتكارات الميكانيكية بدءا من المسجلات إلى آلة الكمان . ترى ، هل كانت سوبتا تعزف على الكمان ؟ كانت الغرفة صغيرة ، أبعادها عشرة أقدام ليس إلا . لم يأخذوا من حقيبة ملابسه سوى أشياء قليلة .

كان يراوده أمل فى عدم وجود الحراس فى هذا المكان فى ذلك الوقت ، وكان قد سبق له أن دمر كل المصابيح واللمبات التى كانت فى سكن العقيد سوبتا ، وهنا نزل النفق وهو يتصبب عرقا . تناول قنبلتين ودحرجهما أمامه . انفجرت القنبلتان وملأتا النفق بدخانٍ كثيفٍ أسودٍ .

وعندما لامس الدخان الجسم البشرى ، فإن التيار المتولد عن ذلك الجسم البشرى جعل الدخان المحيط به يتوهج ، مما أدى إلى كشف الجسم البشرى وسط الدخان . وقد سهل ذلك على المهاجم فتح النار وقتل العدو . ولكن المهاجم تعين عليه أن يبتلع فى النهاية الأمر قرصين أو حبتين من الحبوب المضادة للقنابل ، والمصممة خصيصا لجعل الجسم يتفاعل مع تياره ، مما يجعل الخواص المحيطة بالجسم لا تتوهج . وبهذه الطريقة ، أمكن للمهاجم أن يظل مختفيا فى الدخان . تلك كانت الطريق التى استطاع بها العقيد كامبا قتل الحراس الثلاثة الذين صادفوه . وصل إلى الباب الأول من أبواب غرفة الجماعة الرئيسية MSR، ولكنه لم يكن معه المفتاح . الطريق الوحيد المؤدى إلى غرفة الجماعة الرئيسية يكون عن طريق كسر القفل باستخدام مطواةٍ إليكترونيةٍ . غرفة الجماعة الرئيسية هذه كان لها بابان . أفلح فى الدخول من الباب الأول ولكن آلام يده تزايدت وأصبحت لا تطاق . لم يقو على المضى قدما أكثر مما وصل إليه . اتكأ على الجدار ، ثم سقط بعد ذلك على الأرض . انقشاع قنبلة الدخان يحتاج إلى ساعةٍ كاملةٍ .

تحامل على نفسه ووقف وراح يفكر . البديل الوحيد أمامه هو الاستمرار فى إلقاء قنابل الدخان بواقع قنبلة واحدة كل ثلاثة أرباع ساعة ، والمحافظة على بندقيته جاهزة تحسبا لفتح النار على كل من سيلقاه . ها هو قد وصل الآن إلى الباب الثانى ، وهو جاهز لفتح النار

على كل من سيأتى من غرفة الجماعة الرئيسية . كان هناك باب آخر خلف تلك الغرفة وذلك من باب توفير المزيد من الأمن .

سب ولعن ، 'ياإلهى ، ما هذا الذى فعلته ؟'. واقع الأمر أن العقيد سوبتا كانت على صواب : لقد كان يمثل بالفعل . كان يمثل بصورةٍ أو بأخرى ، وهو يتطلع إلى أن الفرصة قد تسنح له ، وهو عندما تناول البندقية وفتح النار على راحة يده ، كان يفكر فى شىء آخر تماما : إن سوبتا سوف تستدعى طبيبا لتقديم الإسعاف الأولى . وبعد انتهاء العلاج ، سوف يؤدى إلى تحسين علاقته بسوبتا . هذا يعنى أنه سيكون بوسعه الاستمرار دون أن يستثير شكوك العقيد سوبتا . هذا يعنى أيضا أنه سوف يترقب الفرصة التى ستسنح له بالقيام بالضرب فى الوقت المناسب .

ولكن حدث شىءٌ آخر . فقد التمع الضوء فى ذهنه وأيقن فى تلك اللحظة ، أنه لابد أن يفتح النار على كنولولو ويرديها قتيلةً ، وربما يكون الألم الذى أحس به فى يده هو الذى أوحى له بهذه الفكرة . لقد أحس كما لو أن شخصا قطع اليد بكاملها . لقد تصرف بدافعٍ من الفطرة والغريزة .

ولكنه الآن وهو يكابد الألم ، راح يلوم نفسه لأنه أتى ذلك التصرف . هذه علامات الهزيمة الكاملة ترتسم أمام ذهنه . خطر

بباله : 'إذا كان شيءٌ إيجابيٌّ سيحدث لى ، فإنه سيكون مجرد ضربة حظ ، أو واحدة من المعجزات الإلهية النادرة '.

فتح شنطة ملابسه ، وراح يبحث عن العشب الذى نسى أن يتعاطاه ، العشب الذى يقتل الألم . هذا العشب يصيب اليد بالخدر ويشل الألم لمدة ست ساعات . وطوال هذه الفترة ستكون اليد عديمة النفع كما لو كانت ميتة . الفتحة التى حدثت فى الباب أدت إلى امتلاء الغرفة بالدخان .

بنى قال ناصحا : 'يا سيد كامبا ، يجب أن تعمل بنصيحتى هذه المرة . لا تدخل غرفة الجماعة الرئيسية إلا عند الفجر . فقد يرونك بسهولةٍ ، وأنت لا تعرف تلك الابتكارات التى لديهم وتساعدهم على معرفة من يكون فى غرفة الجماعة الرئيسية . وليتك تنظر إلى حادث العقيد سوبتا من هذا المنطلق . ولعلك ، تتمنى أيضا ألا يكون أحدٌ قد عرف شيئًا عن الحراس الذين قتلوا ، وألا يدخل أحدٌ إلى غرفة الجماعة الرئيسية للمراجعة أو الكشف على أى شىء فيها .

الفصل الخامس عشر

استسلمت آخر قطعة من القفل للمطواة الإليكترونية ، وسقط معدن القفل داخل الغرفة ، وقد أحمر لونه بفعل الحرارة الشديدة . رمى كامبا الباب بقدمه وفتحه وهو يشهر بندقيته استعدادا لفتح النار . ولكن أحداً لم يكن فى غرفة الجماعة الرئيسية . تعجب إن كان تراك Track واحداً من الرجال الثلاثة الذين قتلهم . ومنذ أن فتح النار لم يظهر أى أحد خلال النفق .

خطط كامبا تخطيطا دقيقا لتحركاته انتظارا لمرور ذلك الوقت الأليم . كان أول ما تعين عليه عمله عندما يصل إلى غرفة الجماعة الرئيسية هو سد مكانين مهمين على وجه السرعة . هذان المكانان هما المدخلان الرئيسيان لتلك الغرفة ، أحدهما يؤدى إلى الورشة والثانى يؤدى إلى صالة التدريب وأماكن النوم . وبمجرد غلق هذين المدخلين فى الغرفة أصبح على يقينٍ من أنه سيلقى مقاومةً ضعيفةً . هذا يعنى أن أية جماعة لا يمكن لها أن تنطلق نحوه لتسحقه . كانت الساعة السادسة والربع صباحاً .

عثر بنى كامبا على المفتاح المخبإ الذى يُشَغِّل شاشة المراقبة ، وبمساعدة تلك الشاشة الخاصة بالمراقبة يستطيع رؤية أية غرفة من الغرف المضاءة . كانت أول واحدة يستدعيها هى الآنسة والو Walo كانت الآنسة والو لا تزال فى فراشها ، وذلك من واقع الشكل الباهت الذى شاهده فوق السرير . كانت هناك قاعدة ، مفادها أن الضوء الرئيسى فى الغرفة ، الذى كان خافتا إلى حدٍّ بعيدٍ . ينبغى عدم إطفائه على الإطلاق . لم يستطع كامبا أن يستعيد من ذاكرته الطريقة أو الوسيلة التى يجرى بها فتح الطلقات النيرانية من هذه الغرفة .

كان كامبا يحاول البحث عن تلك الوسيلة وفجأة سمع صوتا خلف الباب الآخر . كان هناك شخصٌ ما قادما إلى ذلك المكان . تناول بندقيته ووقف إلى جوار الباب . سيطلق النار على من سيدخل كائنا من كان .

خطر بباله : 'لابد أن يكون ذلك الشخص هو تراك Track'.

انفتح الباب ودخل منه إلى وسط الغرفة تراك ، كما لو كان شبحا . لابد أنه اكتشف أمراً ما . السرعة التى دخل بها تراك إلى الغرفة لم تسمح لكامبا بفتح النار . اندفع تراك ناحية كامبا . رفس كامبا برجله ، ولكنه اندهش من النتيجة التى ترتبت على ذلك ، فقد أمسك تراك بقدم كامبا وهى فى الهواء وألقاه فسقط على ظهره . وجاء تراك ليلقى بثقله فوق كامبا ، ولكنه الأخير أمسكه بإحكامٍ من رأسه ، عن طريق طلقةٍ

سددها إليه وأجهزت عليه . نهض كامبا واقفا على قدميه ، وانتظر برهة ، انتظارا لاحتمال قدوم أى شخص آخر . وبعد دقيقةٍ ، أو دقيقتين ... لم يأت أحد .

ركز كامبا اهتمامه على المبنى الموجود أسفل السهل . كانت هناك ثلاث من سيارات «الجيب» وخمسة من المسئولين ينتظرون . لابد أن أحداً من هؤلاء هو الدكتور ثندر . تعرف كامبا عليه من طوله الفارع .

'أه ، ها هو هناك !'. وجد كامبا أن الرئيس وصل إلى المكان فى طائرةٍ عموديةٍ ، وكان بصحبته طائرةٌ عموديةٌ أخرى ، هبطت بعد الطائرة الأولى . رحب الدكتور ثندر بالرئيس 'نون' N . تحاضنا الاثنان ، وتبادلا عنقيهما مرتين فى كل جانب من الجانبين ، ثم اقتاد الدكتور ثندر الرئيس بعد ذلك إلى السيارة «الجيب» ، وتبعهما بقية الحاضرين .

'ماذا بعد ؟'. كان كامبا خائفا . شغَّل كامبا غرفة المراقبة الرئيسية - التى كان مقررا للدكتور ثندر هو والرئيس أن يجلسا بها ويشاهدا إطلاق صاروخ ثندر كرست Thunder crust . هل نسى الدكتور ثندر ، أن يطلب إحضار كامبا ليشهد عملية الإطلاق ؟

خطر ببال كامبا : ' لكن ربما سيرسل الدكتور ثندر شخصا ما لإحضارى . ما يزال أمامه متسع من الوقت '. كانت عقارب الساعة تقترب من الساعة السادسة والنصف .

وصلت الشخصية المهمة إلى غرفة التحكم الرئيسية . لم يكن كامبا يود المزيد من المخاطرة بالبقاء فى الغرفة . شق طريقه إلى خارج الغرفة غرفة الجماعة الرئيسية بعد أن أفسد الأضواء كلها . اندفع داخلا إلى مكتب الدكتور ثندر . كان فى المكتب رجل يرتدى الزى الرسمى وكان يتصفح ملفا موضوعا على مكتب الدكتور ثندر . أحدث الرجل صوتا يشبه خوار البقر عندما يحتضر ، بعد أن ضربه كامبا على عنقه من الخلف سقط الرجل علي وجهه ، ولكي ينهي كامبا الأمر برمته ضربه بطلقةٍ في رأسه ، وكان من الطبيعى أن ينتقل كامبا بطريقةٍ آليةٍ إلى مدخل غرفة التحكم الرئيسية ، الذى كان لا يزال مفتوحاً .

قفل الباب وأصدر أمراً . توقف الجميع وكادوا يتجمدون خوفا .

صاح كامبا مرةً ثانيةً : 'تحركوا نحو الزاوية ، وأيديكم فوق رءوسكم ، كلكم بلا استثناء ! وسأفتح النار عليكم إذا خالفتم الأمر !'.

أطاع الرجال الستة الموجودين داخل غرفة التحكم الرئيسية الأمر ، وتجمعوا فى الركن البعيد من الغرفة . كان كامبا يتمنى ألا يهاجمه أحدٌ من الخلف . وهنا تهيأت له فرصة الدخول إلى الغرفة . أغلق الباب خلفه ثم اتكأ عليه . كان الجميع صامتين صمت الموت .

حاول الرئيس رفع يديه إلى أعلى حدٍّ ممكنٍ ، كما لو كان سيطلق سراحه إذا ما فعل ذلك .

'اخلعوا ملابسكم ، الواحد بعد الآخر '. أصدر كامبا ذلك الأمر بصورةٍ قاطعةٍ . 'ألقوا كل شىء على هذا الجانب ! ابدءوا بالدكتور ثندر . تقدم إلى الأمام يا دكتور ثندر ! أكرر أنكم إذا قاومتم ، فسوف أفتح النار عليكم جميعا . والبندقية التى معى تستطيع قتلكم أنتم الستة بطلقةٍ واحدةٍ '.

كانت يداه ترتعشان من القوة . كانت البندقية من نوع خاص يطلق طلقات صغيرة تنفجر متحولة إلى نار عندما تصطدم بالهدف . كان يشعر بالأمان فى وجود تلك البندقية .

أطاع الدكتور ثندر الأمر فى هدوء ، كما لو أن شيئًا خطيرا لا يحدث . لابد أن يكون ذلك الرجل صاحب أعصاب قوية . واصل الدكتور ثندر خلع ملابسه ، وراح يرميها قطعةً بعد أخرى ، عند قدمى كامبا ، وكان كامبا يرفس تلك القطع إلى الركن ؟ .

نظر الدكتور ثندر إلى كامبا ، 'هل هذا يرضيك ؟' .

'الرئيس !'. كان ذلك هو أمره التالى الذى أصدره دون أن يقول أى شىءٍ للدكتور ثندر ، سوى التأشير له بالعودة إلى وضعه السابق . غمغم الرئيس كما لو كان خنزيرا بينما راحت يداه تتحسسان ملابسه . ألقى «بالجاكيت» على الأرض ، وخلع بقية الأجزاء على وجه السرعة ، كما لو كان شخصا متمرسا على فعل هذا الشىء .

أصبحوا كلهم عراةً فى نهاية الأمر . وعندما أصبحت ملابسهم كلها إلى جواره ، أحس بنشوة الانتصار . وفى هذا العرى الطبيعى لم يستطع كامبا تمييز العامل أو المشغل عن الآخرين .

قال كامبا : 'الأمر الأول ، أريد إحضار جونيس والو إلى هنا '.

سأله الدكتور ثندر فى هدوء : 'وكيف لنا بعمل ذلك يا عقيد كامبا ؟'. تزاحموا جميعا فى ركن الغرفة . فى حين وقف الرئيس خلف الجميع ، وهو يحاول إخفاء جسمه الضخم ، وهو يتصبب عرقا كما لو كان فى حمام من حمامات «الساونا» .

صاح كامبا ، دون أن يلقى بالا لطريقة تنفيذ ذلك الأمر ، 'نفذوا الأمر على وجه السرعة !'. طلب الدكتور ثندر إلى عامل التحويلة الاتصال بها . عندما ناداها عامل التحويلة على الشاشة ، كانت مستيقظة ، وتتجول فى غرفتها وهى ترتدى ثياب النوم .

قال الصوت المرتعش : الآنسة والو ! يا آنسة والو ! مطلوب منك الحضور إلى غرفة التحكم الرئيسية ... فوراً ... أكرر ... مطلوب حضورك على الفور إلى غرفه التحكم الرئيسية ... تعالى على النحو الذى أنت عليه ... طوارئ '.

الآنسة والو التى كانت واقفة بلا حراك مثل جزع شجرة ، بدأت تستأنف الحياة ، وراحت تدور فى الغرفة وتدور حول نفسها ، كما لو كانت

حيوانا أصابه مس من الجنون ، كان يبدو عليها أنها تتوقع وجه ذلك الشخص الذى يناديها .

قالت : 'وكيف أصل إلى هناك ؟' .

كان عامل التحويلة ، أو إن شئت فقل عامل التشغيل ، متماسك إلى حد بعيد . كانت له خصلةٌ من الشعر الأشقر الكثيف فوق العانة . ولكن الرئيس كانت له خصلةٌ أكثر كثافة ، وربما ذلك راجعٌ إلى بشرته السمراء ، التى أدت إلى زيادة الحصول . شاهدوا شكل جونيس والو وهو يختفى من الحجرة .

دوت أجهزة الإنذار فى كل مكان . فى مكتب الاتصال فى رسائل غرفة التحكم الرئيسية ، من الورشة ، كانت هناك إشارات بكل الألوان تنذر بالخطر . لم تكن الميكروفونات مفتوحة ، ولذلك لم تكن هناك أصوات . رواق الإطلاق الفرعى فى الورشة لابد أن يكون قد أصابه الرعب والفزع جراء ما حدث . استطاعوا إرسال صورهم إلى غرفة التحكم الرئيسية ، ولكنهم لديهم الوسيلة التى يستطيعون بها استقبال أية صورةٍ من غرفة التحكم الرئيسية .

التقطت شاشة غرفة الإطلاق الفرعية صورة وجهٍ كله خوفٌ ورعبٌ ، وهو يتوسل بلا صوت ، أن يخبروه ويفسروا له ما يحدث . ظهرت كتابات على الشاشة :

المدخل الرئيسى مغلق ....

لا مرور من خلال غرفة التحكم الرئيسية ....

لا ردود من غرفة الجماعة الرئيسية ....

رجاء ....

رجاء ، تصرفوا !

سمح كامبا للآنسة والو بالدخول . أصيبت بصدمةٍ جراء ما شاهدته ! اختفى عامل الاستقبال هو ومشغل الباب ؛ بسبب الرعب والخوف والفزع . لابد أنهما مختفيان حالياً فى مكانٍ ما ، أو أنهما قد هربا بحياتهما عبر السهول . هرب عامل الاستقبال ، بعد أن أحضر أحد العاملين للانضمام إلى الرئيس ، وعندما وجد الضابط ، الذى قتله كامبا ، فى مكتب الدكتور ثندر ، وهرب من بعده عامل تشغيل الباب .

فتشت جونيس الملابس ووجدت فيها بندقيتين . فى تلك الأثناء ظهرت على الشاشة واحدةٌ من الطائرتين العموديتين أثناء إقلاعها .

كان منظر صاروخ الثندر كرست **Thunder crust** مكتملا . كان شيئا جميل المنظر ، كما كان يبدو عليه أنه لا يقوى على إحداث أى نوعٍ من التدمير أو الأضرار . كان الصاروخ جاهزا للإطلاق . اليوم أصبح لذلك الصاروخ ثلاثة دعامات يمكن أن تنفصل عنه عن طريق طيها على الأجناب .

تنحنح كامبا ، وهنا جفل كل الحاضرين . صاح كامبا : 'يا دكتور ثندر ، أريد منك تدمير القاعدة . ثم بعد ذلك يمكن أن أساومك على حياتك ' .

'مستحيل !' .

زأر كامبا : 'زبالة ! ابدأ ما قلته لك ! أطلق صاروخ الثندر كرست !' .

كان كامبا يعرف جيداً أن الصاروخ ثندر كرست يمكن استخدامه فى تدمير القاعدة وذلك عن طريق التحكم الكهربى فيه عندما يصل إلى هدفه . كان الدكتور ثندر رجلا شجاعًا ، كان يتطلع - حتى عندما يتبدد الأمل - إلى إمكانية وجود مخرجٍ من أى موقف من المواقف الصعبة أو المعقدة . كان الدكتور ثندر لا يزال يخطط لعملية الهجوم .

صاح كامبا : 'الرئيس . تقدم ناحيتى !' .

بدأ الرئيس الذى اسودَّ من كثرة الخوف ، وكان يتصبب عرقا كما لو كانت واحدةٌ من زوجاته الشابات تدهن جسمه وتدلكه بالزيت ، بدأ يظهر أمام بنى كامبا ، دون أن يعرف ما سيناله أو سيحدث له .

أمره كامبا دونا عن سائر الآخرين : 'تحرك إلى ذلك الجنب ' . كانت غرفة التحكم الرئيسية كبيرة . أطاع الرئيس الأمر ؛ واقتاده حجمه إلى المكان الذى حدده له كامبا . فخذاه كانا قصيرين بشكلٍ يستثير الضحك .

زمجر كامبا ، 'وأنت يا دكتور ثندر ، افعل ما سآمرك به . سأريك كيف تتصرف '. طلب كامبا من جونيس ، بلغة مؤسسة نيزا الاستخباراتية ، أن تفتح النار على الرئيس . فتحت البندقية الآلية طلقاتها ؛ فاخترقت صدر الرئيس الذى كانت تغطيه كتل اللحم ، كما لو كانا نهدين من نهود النساء .

سقطت الجثة على الأرض ، وراح يرفس برجليه مع سكرات الموت . وها هى جثته ملقاة على الأرض كما لو كانت حزمةً صغيرةً .

كان الدكتور ثندر لا يزال مغلوبا على أمره ، 'هل تعرف ذلك الذى تريده ، يا كامبا ؟ نحن لا يمكن لنا تدمير القاعدة دون أن ندمر أنفسنا معها . قلت لك إن صاروخ الثندر كرست لا يدمر سوى مساحة ميل واحد مربع '.

'هذا أمر سهل .... هناك طائراتٌ عموديةٌ واقفةٌ . وسوف نهرب قبل انفجار صاروخ الثندر كرست Thunder crust'.

بدأ كلاهما بالصاروخ . وهذا هو الدكتور ثندر يبدو كما لو كان قد استسلم تماماً . وبالرغم من تفاؤله الشديد إلا أنه أدرك أن التفاؤل بحد ذاته يمكن أن يكون نوعاً من الحماقة فى بعض المواقف .

راح كامبا يراقب الأمر مراقبةً لصيقةً . كانت جونيس والو لا تزال واقفةً خلفه ، ممسكةً ببندقيتين فى يديها . كانت تبدو وكأنها سيغمى

عليها فى أية لحظةٍ من اللحظات . لم يسبق أن رأت فى حياتها رجلا يموت بفعل طلقةٍ من طلقات بندقية ، كما أنها لم يسبق لها أن أطلقت بيديها حتى ولو طلقةً واحدةً ، ولكنها فى الموقف الراهن على استعدادٍ لفتح النار ، ومستعدةٌ للقتل أيضا .

استجمع الصاروخ ثندر كرست قواه وسرعته ، وبدأ رأسه يختفى تماما عندما بدأ يخترق الأرض مخلفا وراءه حلقةً من الشرار الأحمر حول قاعدته .

وهنا أطلق بنى كامبا نيران بندقيته لكى تنهى حياة كل من الدكتور ثندر وبقية الحاضرين . وأمسك جونيس بيده وفرًّا هاربين من الغرفة . لم يكن أمامهما سوى طريقةٍ واحدةٍ للهرب - باستعمال طائرة الرئيس العمودية . أخذ كامبا المفاتيح من ملابس الطيار .

وبالمصادفة البحتة كان بابينا قد استطاع الهرب من القاعدة ، وظهر فجأةً إلى جانبهما عندما كانا موشكان على الهرب . لم يكن هناك متسعٌ من الوقت لسؤاله عن الطريقة التى هرب بها . جرى الرجلان ومعهما جونيس ، كل واحد منهم كان يجرى بأقصى سرعته الممكنة . ولكن كيف يمكن لكامبا أن يتعامل مع يده الميتة ؟

ساعد كل من بابينا وجونيس كامبا على ركوب الطائرة . وما أن أغلقوا باب الطائرة حتى أدرك كامبا أنهم لن يستطيعوا الهرب بها فى سهولةٍ ويسرٍ ؛ فقد شاهد كامبا نحلتين فى السماء ، ولم يكن أمامه

متسعٍ من الوقت كي ينذر من معه بالخطر المحدق . كانت المقاتلتان القاذفتان تهوران من فوق رءوسهم ، وانطلقت في السماء في الاتجاه المعاكس .

قال بابينا بصوتٍ عالٍ : 'انتهينا !'. ولكن كامبا أدار محرك الطائرة العمودية ، وبدأت الطائرة في الارتفاع عن الأرض . كان كامبا مشغولا بالفعل بإعطاء الأوامر والتعليمات التي تمكنهم من مساعدته وتقديم العون له . لابد أن تكون جونيس هي اليد الثانية طالما أن يدا من يديه قد ماتت .

عادت النفاثتان مرةً ثانيةً ، وهما يطيران على ارتفاعٍ منخفضٍ .

'أوه ياإلهي ! انظر ، يا بني !'، صاحت جونيس وهي ترى الطائرتين العسكريتين تقتربان من الطائرة العمودية . حشر بابينا نفسه في مقعده ، ولم ينطق بكلمةٍ واحدةٍ أو يتحرك حركةً واحدةً .

عض كامبا على شفتيه ، ثم قال : 'يا الله ! الموضوع مسألة حظ !' ، ثم بدأ يطير بالطائرة على ارتفاعٍ منخفضٍ حول التل . ولكن الطائرات المقابلة وصل عددها إلى خمس طائرات ، وتأكدت أن العدو كان يهرب في الطائرة العمودية . تبعتهم الطائرات الحربية ، وهي تطير على ارتفاعٍ عالٍ ، وهي تسقط على الأرض المزيد من الجنود المظليين . حاولت المقاتلات إسقاط الطائرة العمودية . لا ، فقد كان كامبا يبذل قصارى جهده . لتحاشي الرمي بالنيران .

بلغ الغليان فى قاعدة شنجولاما ذروته . اهتزت الأرض وتمزقت منفتحةً ، وتمخضت عن انفجارٍ مصحوبٍ ببرق . يعتقد بنى كاميا أنه رأى الضوء من الطائرات العمودية ، ، وعلى الرغم من أنهم كانوا على بعد أميالٍ كثيرةٍ من القاعدة . وتصاعد الدخان إلى السماء وفى الهواء ، وغطى الغبار السهل المحيط بالقاعدة لمسافة أميالٍ عدةٍ .

لم ير كامبا ذلك الذى حدث بعد الانفجار ، فقد شقت الطائرة العمودية طريقها خلال الوادى محاولةً الهرب ، ولكن المقاتلات راحت تلاحق الطائرة العمودية وتطاردها ، ثم استدار كامبا بزاوية ثلاثمائة وستين درجة ، وراح يطير على ارتفاعٍ منخفضٍ ، منخفضٍ جدا ، وفى الاتجاه المعاكس . استطاع الهروب بصورةٍ مؤقتةٍ من ملاحقة المقاتلات ؛ ولكن بنى كامبا لم يخطئ فى معرفة الحقيقة التى مفادها أنهم أصبحوا على بعد مسافةٍ كبيرةٍ وبعيدةٍ جدا عن القاعدة ، وهنا هبط بالطائرة على الطريق ، وهنا قفز كل من بابينا وجونيس من الطائرة وراحا يجريان بأقصى سرعة مبتعدين عنها ، فى الوقت الذى أصابت قنبلةٌ ضخمةٌ الطائرة وحطمتها .

صرخت جونيس مع حدوث الانفجار ، وراحت تدفن رأسها فى صدر كامبا وهى تمسك به . كانت قطعةً ساخنةً من المعدن قد مرت بجوار كامبا ، ولمست كتفه ، لتصيبه بجرحٍ طفيفٍ. وإلا ، لكانا قد نجيا تماما من الخطـــر ، اللهم إلا إذا كانت قنبلةٌ أخرى قد انفجرت أو أسقطت عليهما .

لم يكن بنى كامبا نهازا للفرص . نظرا لخوفه من أن يراه أحد ، فقد جر جونيس إلى الأرض وراح ثلاثتهم يزحفون على الأرض من دغلٍ إلى دغلٍ . وفى خلال عشر دقائق لم يتبق لجونيس من ثيابها سوى قطعٍ صغيرةٍ . كانت ركبهم تؤلمهم ، وكذلك أيديهم . يبدو أن بابينا كان متدربا على الزحف بسرعة . فقد كان يسبقهم دوما ثم يعود إليهم بعد ذلك .

فى النهاية وبعد أن أحسوا بالإرهاق الشديد ، زحفوا إلى دغلٍ كثيفٍ واختبئوا داخله . أحس كامبا بقواه وهى تخور ، ثم دخل بعد ذلك فى غيبوبةٍ . وقبل أن يغمى عليه ، خطر بباله أنه رأى شكل جونيس وهى منحنيةً عليه وثديها اليسار مكشوف ، ووجهها يكاد يلامس وجهه ، وشعرها منكوش ... كما لو كانت امرأة أصابها مس من الجنون ، وكانت تريد أن تغتصبه . كما كان جسمها يرتعش . كان بابينا يرقد فى دغل آخر ، يبعد عن دغلهما خمسين ياردة .

تولى بابينا دور المرشد ، وراح يرشد الآخرين عبر الغابة ، متجها نحو الوادى ، ثم سار بعد ذلك بمحاذاة حوض نهر جاف أوصلهما إلى الجهة الشمالية . مشوا بضع ساعات قليلة ، وكانوا يتوقفون بين الحين والآخر كى ينال الجريح قسطا من الراحة . كانوا قلقين مخافة أن يموت منهما كامبا ، قبل أن يصل بهم بابينا إلى مكان يجدون فيه الطعام والإقامة لمدة يومٍ واحدٍ .

لم ينتظروا طويلا عند الطريق الرئيسى ، فقد مرت بهم حافلةٌ من حافلات السياحة التابعة لشركة كومبى . ولوح كل من بابينا وجونيس لسائق الحافلة ، أملا فى أن يرق حاله ويوقف السيارة . كان كامبا يرقد فى الظل ، وآلامه تتزايد .

خفضت الحافلة الصفراء سرعتها استعدادا للوقوف ، ونزل منها رجلان دنمركيان . أما الراكبة الثالثة فكانت امرأة ومعها ولد يبلغ من العمر عشر سنوات . كانت تعبيراتهم تدل على الشفقة والود . تساءل أحدهم : 'هل يمكن أن نساعدهم ؟'.

احتضن بابينا بنى كامبا ودس رأسه فى صدره ودمعت عيناه . كانت جونيس تطيل النظر إليه . واحتضنت هى الأخرى بابينا ، الذى راح يراقبهما وهما يركبان الحافلة . بعد سبعة وعشرين ميلا سيعبران الحدود إلى البلد المجاور ، وفيه سيكونا فى حريةٍ مطلقةٍ ، ويبحثان عن وسيلةٍ يعودان بها إلى كينيا ، التى سيحصل فيها كامبا على شىءٍ من العلاج .

راح بابينا يراقب الحافلة ، وراح يلوح لها بيديه إلى أن اختفت عن الأنظار فى سحابةٍ من الغبار . وفجأة انحرفت عن أحد المنعطفات ، لينتشر الغبار الناتج عن انحرافها فوق الغابة الاستوائية مرتفعة الأشجار .



المؤلف فى سطور

ديڤيد . جى . مايلو .

ديڤيد DIVID جى G مايللو MAILLU كينى الجنسية مايللو ، وهو من أوسع الكُتّاب الروائيين انتشاراً فى كينيا . وقد ولد مايللو فى شرقى كينيا فى العام ١٩٣٩ الميلادى . وهو بحكم جرأته وبحكم كونه كاتبًا يدور من حوله جدل كثير ، يتبوأ مكانة فريدة فى شرق أفريقيا . وهو يكتب بصراحة مطلقة وبشىء من خفة الظل . وهو صاحب بصيرة نافذة قادرة على عكس نكهة ومذاق المجتمع الذى يعيش فيه . وهو بالإضافة إلى كونه كاتبًا يعد أيضًا ناشرًا وفنانًا ومغنيًا ؛ هذا يعنى أنه متعدد المواهب ، وله روايات أخرى منها « الحية ربيكا » .

المترجم فى سطور

صبرى محمد حسن

أستاذ اللغويات غير المتفرغ ، له أكثر من عشرين بحثًا ومقالاً نشرت فى المجلات والصحف العربية المحلية والدولية منها :

له مقالات وأبحاث نشرت بمجلة الفيصل - الرياض - المملكة العربية السعودية ، ومجلة كلية الملك عبد العزيز الحربية - الرياض - المملكة العربية السعودية ، والمجلة العربية - الرياض - المملكة العربية السعودية ، ومجلة الهلال - القاهرة - جمهورية مصر العربية .

وله كتب مترجمة إلى العربية :

(أ) كتب نشرتها دور نشر عربية .

١ - التفكيكية : النظرية والممارسة ، تأليف : كرسيتوفرنوريس ، دار المريخ ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

٢ - الشاعر والشكل ، تأليف : جدسون جيروم - دار المريخ .

٣ - الاستراتيجية العربية والإسرائيلية وجهالوجه دار المريخ .

٤ - الأطفال والمخدرات دار المريخ .

(ب) كتب نشرتها دار آفاق الإبداع العالمية للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

١ – المعطف المشاكس ٢ – عمل الفريق الفعال .

(جـ) كتب نشرت ضمن كتاب الهلال ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية .

١ – هارون الرشيد ، تأليف : فيلبى .

٢ – الكوكائين والمراهقين .

٣ – بنات مدمنى ومدمنات المسكرات .

(د) روايات مترجمة نشرت ضمن روايات الهلال .

١ – حلم ليلة أفريقية .

(هـ) كتب مترجمة نشرها المجلس الأعلى للثقافة ، جمهورية مصر العربية .

١ – سبعة أنماط من الغموض ، تأليف : وليم أميسون .

٢ – وسط الجزيرة العربية وشرقتها ، تأليف : بالجريف (جزءان)

٣ – حركات التحرر الإفريققى ، تأليف : ريتشارد جبسون .

٤ – إرادة الإنسان فى علاج الأدمان .

٥ – قلب الجزيرة العربية (جزءان) .

٦ – سيرتى الذاتية ، تأليف : أحمد بللو .

(و) روايات مترجمة نشرها المجلس الأعلى للثقافة ، جمهورية صر العربية :

١ – سكين واحد لكل رجل .

٢ – نجوم حظر التجوال الجدد .

٣ – المهمة الاستوائية .







فى هذه الرواية يحاول بنى كامبا بطلها، الذى يحمل الرقم (٩) فى قسم الخدمة السرية فى مؤسسة نيزا الاستخباراتية، مخاطرا بحياته، تدمير منظمة المافيا الإفريقية الدولية التى تحاول حكم إفريقيا كلها عن طريق زرع رؤساء عملاء لها فى كل دولة من الدول. هؤلاء الرؤساء يقودهم جميعا الدكتور ثندر. يقع بنى كامبا فريسة للعقيد سوبتا . تلك المرأة الجميلة، وينسى بنى كامبا حبه الصادق لتلك المرأة الجميلة عندما يبدأ فى اختراق القاعدة التى يعمل فيها كل من الدكتور ثندر وهذه المرأة. يضاف إلى ذلك أن تلك الرواية تعد من بادرات أدب الخيال العلمى فى كينيا .

الغلاف/ حازم محمد